سكين واحد لكل رجل

تأليف: تى . م . ألوكو

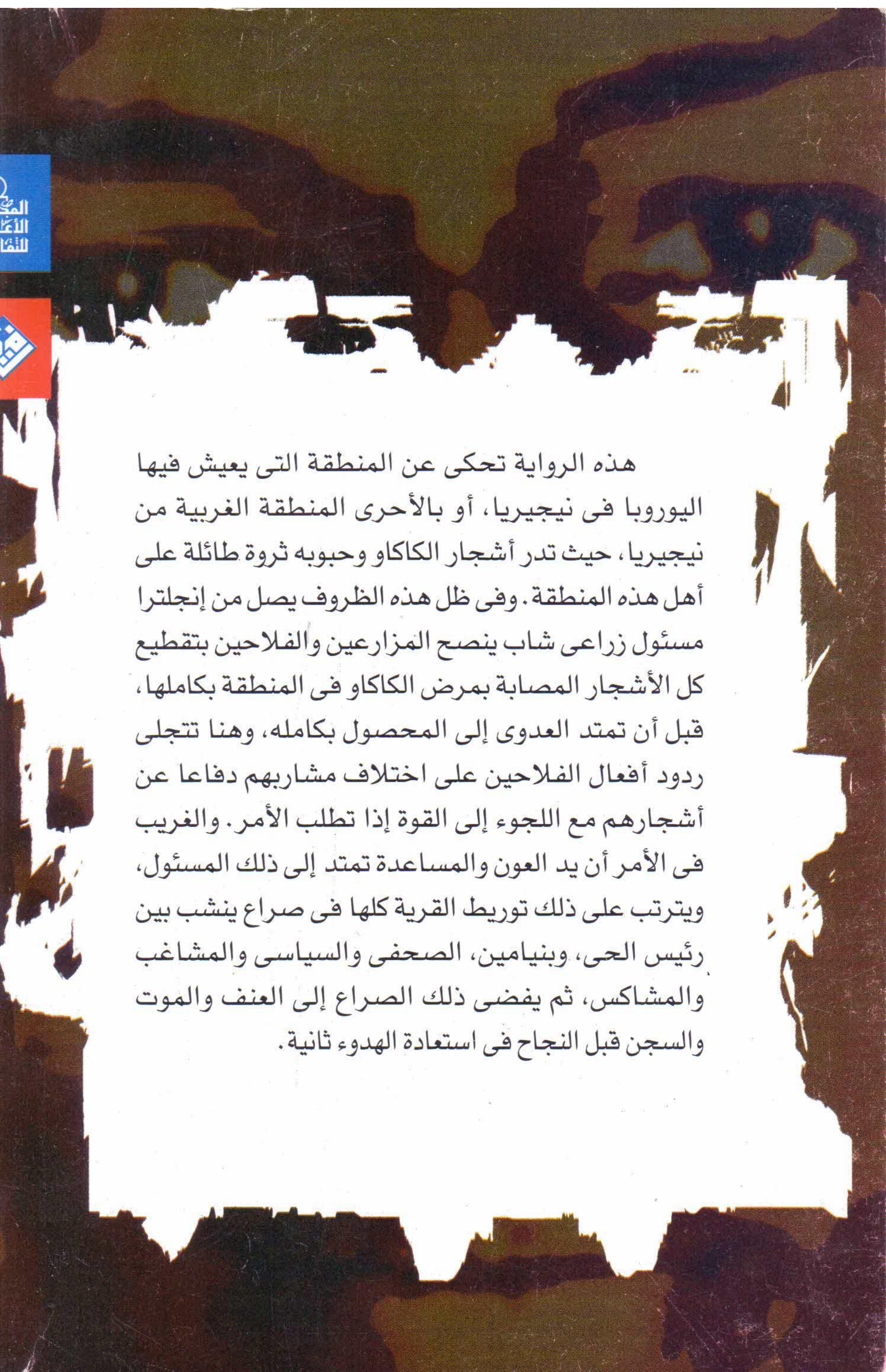
ترجمة وتقديم: صبرى محمد حسن



المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة

683



هذه الرواية تحكى عن المنطقة التى يعيش فيها اليوروبا فى نيجيريا، أو بالأحرى المنطقة الغربية من نيجيريا، حيث تدر أشجار الكاكاو وحبوبه ثروة طائلة على أهل هذه المنطقة. وفى ظل هذه الظروف يصل من إنجلترا مسئول زراعى شاب ينصح المزارعين والفلاحين بتقطيع كل الأشجار المصابة بمرض الكاكاو فى المنطقة بكاملها، قبل أن تمتد العدوى إلى المحصول بكامله، وهنا تتجلى ردود أفعال الفلاحين على اختلاف مشاربهم دفاعا عن أشجارهم مع اللجوء إلى القوة إذا تطلب الأمر. والغريب فى الأمر أن يد العون والمساعدة تمتد إلى ذلك المسئول، ويترتب على ذلك توريط القرية كلها فى صراع ينشب بين رئيس الحى، وبنيامين، الصحفى والسياسى والمشاغب والمشاكس، ثم يفضى ذلك الصراع إلى العنف والموت والسجن قبل النجاح فى استعادة الهدوء ثانية.

المشروع القومى للترجمة

سكينٌ واحدٌ لكلِّ رجُل

تأليف

تى . م . ألوكو

ترجمة وتقديم

صبرى محمد حسن



٢٠٠٤

المشروع القومى للترجمة

إشراف : د . جابر عصفور

- العدد : ٦٨٢
- سكين واحد لكل رجل
- تى . م . ألوكو
- صبرى محمد حسن
- الطبعة الأولى ٢٠٠٤

هذه ترجمة كتاب :

One Man

One Matchet

by : T.M.Aluko

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تقديـــــم المترجم

تيموثى ألوكو : الإنسان والأعمال

اسمه تيموثى Timothy موفولورنسو Mofolorunso ألوكو Alukio، حاصل على درجة البكالريوس والماجستير والدكتوراه فى الهندسة . ولد ألوكو فى اليوم الرابع عشر من شهر يونيو من العام ١٩١٨ الميلادى ، فى مدينة لليشا Llesha بولاية أويو Oyo فى نيجيريا . وتزوج من جانيت Janet أدبيسى Adebisi وأنجب منها بنتا واحدة وخمسة أولاد .

تلقى ألوكو تعليمه المدرسى بمدرسه الثالوث المقدس فى لليشا فى الفترة من ١٩٢٦ إلى ١٩٣١ . هذا يعنى أنه التحق بالمدرسة الابتدائية عندما كان فى السادسة من عمره . ثم التحق فى العام ١٩٣٢ الميلادى - أى عندما كان فى الرابعة عشر من عمره - بمدرسة القديس چون التى بقى فيها إلى العام ١٩٣٣ الميلادى ، ليلتحق بعد ذلك بالكلية الحكومية فى مدينة إيبادان Ibaden ، فى الفترة من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٨ ، ليلتحق بعدها بكلية يابا Yaba العالية ، فى مدينة ليجوس فى الفترة من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٢ التى درس فيها الهندسة المدنية وتخطيط المدن .

وفى الفترة من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٠ التحق بجامعة لندن فى إنجلترا ، ثم درس أيضا فى جامعة نيو كاسل - أبون - تين فى الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٦٩ حيث حصل على درجة الماجستير فى هندسة الصحة العامة . كما حصل على درجة دكتوراه الفلسفة فى الموضوع نفسه من جامعة ليجوس فى العام ١٩٧٦ الميلادى .

شغل ألوكو منصب مهندس التنفيذ فى إدارة الأشغال العامة بمدينة إيبادان ، ثم شغل المنصب نفسه بعد ذلك فى كل من أويو Oyo وأوشوجو ، ثم ليجوس فى الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٦ . وشغل بعد ذلك منصب مهندس المدينة فى مجلس مدينة ليجوس فى الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٠ . وفى الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٦ شغل منصب مدير الأشغال العامة والسكرتير الدائم لوزارة الأشغال فى الولاية الغربية ، أى فى غربى نيجيريا .

وفى الفترة من ١٩٦٦ إلى ١٩٧١ شغل منصب كبير الباحثين ، فى الهندسة المدنية ، فى جامعة ليجوس . كما عين مسئولًا للمالية ، فى الولاية الغربية فى الفترة من ١٩٧١ إلى ١٩٧٣ ، وفى العام ١٩٥٠ الميلادى عين عضواً مشاركًا فى معهد تخطيط المدن فى جامعة لندن ، كما حصل على زمالة معهد المهندسين المدنيين البريطانى فى العام ١٩٦٠ الميلادى . كما حصل أيضا على زمالة جمعية المهندسين المدنيين فى لندن فى العام ١٩٦٢ .

فى العام ١٩٥٩ الميلادى نشرت له الشركة النيجيرية للطباعة والنشر رواية بعنوان : زوجة واحدة لكل رجل . أما دار نشر هاينمان فقد نشرت له فى العام ١٩٦٤ الميلادى رواية بعنوان : سكين واحد لكل رجل ، وفى العام ١٩٦٦ الميلادى نشرت له الدار نفسها رواية بعنوان : قريب وأوسطى ، كما نشرت له فى العام ١٩٧٠ روايه بعنوان : الرئيس : الوزير المحترم ، وله رواية أخرى بعنوان : صاحب الجلالة ، المتعبد نشرتها دار هاينمان . وله رواية يوشك أن ينتهى منها بعنوان : أمور خاطئة فى الميناء .

والرواية التى بين أيدينا هنا ، عن المنطقة التى يعيش فيها اليوروبا فى نيجيريا : أو بالأحرى المنطقه الغربية من نيجيريا ، حيث تدر أشجار الكاكاو وحبوبه ثروة طائلة على أهل هذه المنطقة . وفى ظل هذه الظروف يصل من إنجلترا مسئول زراعى شاب ينصح المزارعين والفلاحين بتقطيع كل الأشجار المصابة بمرض الكاكاو فى المنطقه بكاملها ، قبل أن تمتد العدوى إلى المحصول كافة ، وهنا تتجلى ردود أفعال الفلاحين على اختلاف مشاربهم دفاعا عن أشجارهم مع اللجوء إلى القوة إذا ما تطلب الأمر ذلك . والغريب فى الأمر أن يد العون والمساعدة تمتد إلى ذلك المسئول الزراعى الشاب من الرجل الأبيض الأسود ، أو إن شئت فقل : من رئيس الحى النيجيرى الجديد ، ويترتب على ذلك توريط القرية كلها فى الصراع الذى ينشب بين رئيس الحى وبنيامين ، الصحفى والسياسى والمشاغب والمشاكس ، ثم يفضى ذلك الصراع إلى العنف والموت والسجن قبل النجاح فى استعادة الهدوء ثانية .

صبرى محمد حسن

الفصل الأول

مرض الكاكاو – ذلك التهديد الجديد لرفاهة الفلاحين من ناحية والصناعة الأولى للشعب من الناحية الأخرى . قال رئيس الحى الأبيض إن ذلك المرض هو الموضوع الرئيسى للاجتماع . وقف ذلك الموظف مرتدياً بدلته كاكية اللون المترهلة ، بينما وقف إلى جواره كاتب المجلس كيما يترجم ما يقوله ذلك الموظف إلى اللهجة المحلية . أوضح ذلك الموظف مدى أهمية مشكلة مرض الكاكاو ؛ الأمر الذى جعل مسئول الزراعة يأتى بنفسه قاطعا المسافة الطويلة بين مركز الرئاسة وهذا المكان ؛ كيما يتحدث إلى الفلاحين حول هذا الأمر الجلل ، وتمنى أن ينصت الفلاحون وينتبهون إلى كل ما يتعين عليه أن يقوله لهم هو شخصياً ، ثم إلى ما يقوله الرئيس يوسف Joseph آجاى Ajayi، الذى يمثل الفلاحين .

اتخذ ممثلو القرى ورؤساء القرى أماكنهم فوق المقاعد الخشبية بعد جلوس رئيس الحى . كان الإرهاق يبدو على ذلك الموظف . كما كانت قاعة House المحكمة Court مملوءة بالبشر عن آخرها ، يضاف إلى ذلك أن ذلك الهواء الراكد الرطب هو والتهوية غير المناسبة جعلا المكان غير مناسب ، بل متعب تماما لذلك الرجل الإنجليزى .

وقف مسئول الزراعة ليتحدث إلى المجتمعين . وقال إنه لم يكن سعيدا بوجوده بينهم . قال إنه كان يتمنى أن يتظاهر بالسعادة ، ولكن لم يتحقق له ذلك التمنى ؛ والسبب فى ذلك أن الموقف الذى صادف زيارته كان خطيرا للغاية ، بل إن الأمر بلغ من الخطورة حداً جعل الحكومة تحول مبالغ كبيرة من الأموال التى كانت قد رصدتها للمشروعات الأخرى ، إلى مقاومة ذلك المرض . يضاف إلى ذلك ، أن الحكومة قد أوفدت اثنين من المتخصصين إلى معهد Institute الأبحاث Research الزراعية Agricultural الاستوائية Tropical، الكائن فى جزر الهند الغربية ، ليدرسا هناك أسباب ذلك المرض وعلاجه . أكد مسئول الزراعة أن الوفاة هى العلاج الوحيد . من هنا ، قامت الحكومة بإرسال فريق خاص من العاملين فى مجال مرض الكاكاو ومعهم ممثلين عن اتحادات الفلاحين التعاونية إلى البلدان المجاورة التى خلّف مرض الكاكاو فيها دمارا واسعا ، ولولا التدخل السريع والفورى من قبل حكومات تلك البلدان لجلب ذلك المرضُ الدمارَ الأكيد على الصناعة أو إن شئت فقل : المحصول الرئيسى فى تلك البلاد . أعرب مسئول الزراعة عن سروره ؛ لأن ممثلهم ، الذى هو واحد منهم ، من أبناء إيباجا Ipaja ، كان يحضر الاجتماع وأنه سوف يحكى لهم عن كل ما شاهده ورآه .

كرر ذلك الموظف الحكومى مرارا ذلك المعيار البالى من معايير السياسة الحكومية قائلاً : « هذا البلد ، بلد زراعى فى المقام الأول . ومستقبل بلادكم يرتكز عليكم أنتم أيها الفلاحون » . وتوقف الموظف

الحكومى عن الكلام كيما يعطى الفرصة لكاتب المجلس للقيام بالترجمة . وهنا أومأ رجل أصلع صغير الحجم برأسه قبولا لتلك المجاملة . ومع ذلك بقى الرئيس Chief مومو بلا حراك .

واصل مسئول الزراعة حديثه قائلاً : « ومع ذلك ، فإن جهود الحكومة تساوى لا شىء ، بدون تعاونكم معها » . وهنا رحب الأصلع الصغير بذلك الكلام بإيماءة من رأسه تدل على الموافقة . وهنا راح الموظف يتطلع من مقعده إلى المجتمعين وقد انتفخت أوداجه بالسعادة . لقد بدأت الحكومة مؤخرا تقر بأهمية الفلاح وتعترف بها . لقد بدأت الحكومة التركيز بالفعل على ما يجب التركيز عليه . ومع كل ذلك ، بقى الرئيس مومو رابط الجأش وبلا حراك أو انفعال . سوف لا يعبر عن رأيه إلا بعد أن يقف على مقاصد كلام مسئول الزراعة . لقد بلغ من الخبرة والحنكة حدا يصعب معه وقوعه فى شباك الكلام المعسول الذى يقوله الرجل الأبيض .

اختتم مسئول الزراعة كلامه قائلاً : « وإيمانا منى بذلك التعاون ، آمل أن تنصتوا باهتمام إلى ما سيقوله لكم الرئيس يوسف آجاى ! واسمحوا لى أن أقول : إن الرئيس يوسف كان عضوا شهيرا ومرموقا جدا من أعضاء الفريق الذى قام بالجولة . لقد كنا ومن استضافونا معجبين به تماما . ومبلغ علمى أنه شخصية بشوشة تماما ، إنه مندوب أو إن شئت فقل : ممثل تزهو به أية جماعة من الناس فى أى يوم من الأيام . وبعد أن ينتهى الرئيس يوسف من الحديث إليكم ، أتمنى أن تراقبوا بدقة الشرائح التى سوف أعرضها عليكم من خلال فانوس

العـرض . وسـوف تشـاهدون من خـلال تلك الشـرائح الأسلوب الذى يستخدمه إخوانكم الفلاحون فى البلاد المجاورة لمقاومة مرض الكاكاو » .

يتقدم الرئيس يوسف أجاى إلى المقدمة . كان رجلا فارع الطول مـثل العـمـلاق . ثم عدَّل الرجل أكـمـام ملبـسـه الوطنى agbada بأن سـحبـهـا إلى كـتـفـيه ثم راح يكيل التـحيـات للحـاضـرين على الطريقـة اليروبوية Yoruba ، كان يشعر بالسعادة لوجوده بينهم مرة ثانية ، فهم أصدقاؤه وأهله . هذا لا يعنى أنه لم يكن سعيدا بين إخوانهم الفلاحين الذين كانوا يستضيفونهم أينما ذهبوا وحيثما حلوا . واقع الأمر ، أنه هو والفريق الذى كان معه ، لقوا حفاوة بالغة ، وسوف يشهد فى أى يوم من الأيام بالكرم الحاتمى الذى لقوه. فالفلاحون هم الفلاحون فى أى مكان بطوله وعرضه فيما يتعلق بتقديم الطعام الذى يأتى من منتوج الأرض الأم .

تحدث يوسف أجاى عن الرحلة ، وأطنب قليلا مركزا على قدرة الله من ناحيـة ومـهـارة الرجل الأبيض الذى استطاع أن يجـعل الماء وحـده يحمل تلك السفينة الكبيرة التى استعملها هو وبقية جماعته فى السفر .

ووصف يوسف أجاى وصـفـا دقـيقـا ومـفـصَّـلا ذلك الدمـار واسع الانتـشـار الذى جـرَّه مـرض الكاكـاو على المزارع . شـاهـدوا مـزارع بكاملها وقد خلت أشجارها من أوراق الكاكاو . شاهدوا أشجاراً محملة بقرون الكاكاو الصغيرة التى تحولت إلى اللون البنى وذوت وماتت قبل النضـج . شـاهدوا أشـجـاراً أخرى تحمل بعض القرون القليلة التى كبر

حجمها ولكن تفحم لونها بسبب المرض . قال يوسف آجاى ، إن الأمر كان مريعا ويدعو إلى الحزن والأسف . كما اقشعر بدنه لرؤية الأشياء المريعة التى شاهدها .

والشجرة ما إن يهاجمها المرض حتى تتحول إلى شجرة ميتة ، وقد أوضح يوسف ذلك وركز عليه تماما . وراح المرض ينتقل منتشرا من شجرة إلى أخرى إلى أن تمكن فى النهاية من تطويق المزرعة بكاملها . والجانب المزعج فى كل ذلك الموقف يتمثل فى عدم معرفة أى علاج لذلك المرض . ولو قدر لذلك العلاج أن يكون موجودا ، لاستطاع الرجل الأبيض الحصول عليه وتقديمه لهم . إنهم جميعا يعرفون مدى مهارة الرجل الأبيض فى الأمور والأشياء كلها .

أخذ يوسف آجاى نفسا عميقا ؛ كيما يركز على أهمية الخبر القادم ، ثم أعلن على المستمعين باهتمام بالغ أن العلاج الوحيد لذلك المرض هو قطع كل الأشجار التى ظهرت عليها أعراض المرض .

وبعد أن تمثل المستمعون مغزى ومعنى ذلك الإعلان الكئيب قابلوه بتقطيب جباههم تقطيبا بشعا وكريها . وتهامس الرجال وراحوا يتلفتون حولهم وينظرون إلى بعضهم بعضا . وهمهموا وتمتموا ودغدغوا فيما بينهم .

صفَّر الأصلع الصغير خجلا وأسفا وهو يقول : " تقول إننا يتعين علينا قطع أشجار الكاكاو - شجرة الثروة كلها !" ، وبدا عليه الخوف وخيبة الأمل . وفغر الأصلع فاه دهشة وهو ينظر إلى الجماعة مندهشا من ذلك الانتهاك لحرمة تلك الشجرة التى كان يعتبرها رب الثروة كلها .

تنهد الرئيس مومو ، وهز رأسه . لم يكن يتوقع فى يوم من الأيام الحصول على أى شىء من الرجل الأبيض ، ومن ثم لم يندهش لذلك الاقتراح الشاذ والغريب . وتناول مظلته وغطاء رأسه من تحت المقعد ، ونفض التراب عنهما وهو يتملكه الغضب ، ثم هم بالانصراف ؛ إذ لم يكن لديه وقت لسماع أولئك الذين يتكلمون مثل هذا الكلام .

ولكنه توقف فجأة فى منتصف الطريق عبر الصالة . ثم استدار حوله وحملق فى الرئيس التعيس يوسف آجاى ، بعين الشر . وصاح مومو قائلاً : " آجاى ، إنه أنت الذى أريد التحدث معه . أنا لا أود الحديث مع ذلك الرجل الأبيض الذى يجلس خلفك . لماذا ، يصف نفسه بأنه فلاح - فلاح بحق وحقيقة ، بلغت يداه من الرقة والنعومة حداً يصعب معه عليهما أن تمسكا بالفأس بدون أن تتفققا ، فلاح له ظهر بلغ من التصلب حدا يصعب معه أن ينحنى فى المزرعة ، فلاح ، له قدمان بلغا من الرقة والنعومة حدا يصعب عليه معه أن يسير بلا حذاء " .

يصمت الرئيس مومو ويزداد الجو حدة وتوترا .

" هو ليس واحداً منا . إنه لا يفهم الصعوبات التى نمر بها ونحن نتعهد أشجار الكاكاو عندما تكون نبتات صغيرة إلى أن تصبح أشجارا ناضجة . إنه لا يعرف كمية العرق الذى نمسحه من على جباهنا ومن على وجوهنا فى أثناء عملنا فى ضوء الشمس ، إنه لا يعرف عدد الحشرات التى لسعتنا ، ولا عدد الأشواك التى وخزت أقدامنا . لو كان

على علم بكل تلك الأشياء لما قال لنا : إننا يجب أن نقطِّع أشجار الكاكاو بأيدينا . هل ننتظره إلى أن يطلب منا أن نقطع رءوس بعضنا بعضا قبل أن نفهم أنه يريد تدميرنا والقضاء علينا بحق ؟ نحن نعلم علم اليقين أنه لا يحبنا . ولا يحب بلدنا - نحن نعرف أنه يحب أبينو Apeno ولا يحب إيباجا Ipaja ". تفحصت عينا الرجل المجتمعين . وانهالت من كل جانب الإيماءات التى توحى بالموافقة على ما يقوله ذلك الرجل . ويستأنف الرجل كلامه قائلاً : "عندما طلبوا منا حضور هذا الاجتماع ، حسبنا أنهم ربما يكون لديهم ما يقولونه لنا . ظننا أنهم ربما سيعطوننا المزيد من النقود نظير الكاكاو ، من منطلق أنهم أدركوا مدى المعاناة التى نقاسيها . حسبنا أنهم ربما تعاطفوا معنا وطلبوا منا عدم دفع الضرائب بعد اليوم . أليست هذه هى الأشياء التى نطالب بها إلى يومنا هذا ؟ ولكن ما الذى حصلنا عليه عوضا عن تلك الأشياء ؟ "، وهنا انساح الرجل ببصره مرة ثانية عن الحلية التى يقف عليها وراحت عيناه تتجولان خلال لحظة من الزمن بين المجتمعين . ويردف الرجل قائلا بنبرة تدل على الاحتقار والازدراء قائلاً : 'يقولون إننا يجب أن نقطع أشجار الكاكاو . ولماذا نقطع أشجار الكاكاو ؟ يقولون : إننا يجب أن نقطع تلك الأشجار لأنها مريضة . ها . ها . ها ! وأشجار الكاكاو مريضة ، أتسمعون ذلك ؟ هل تسمعون جميعا أن الأشجار مريضة ؟ ألا يتسبب المرض فى اعتلال صحة الإنسان الأبيض نفسه ؟ ألم يمت رجل أبيض منذ أيام قلائل - هل استطاع أخوه الطبيب الأبيض إنقاذه ؟ لم يستطع أحد إنقاذه نظرا لأن ذلك اليوم الذى توفى فيه ذلك الرجل كان

هو اليوم المحتوم لعودته إلى أرض Land الموتى the Dead . ألم يَعِد الرجل الآلهة ، قبل أن تحمل فيه أمه وقبل أن تلده أيضا ، بأنه سيعود إليهم فى ذلك اليوم المحتوم ؟ يقولون : إن الرجل الأبيض يعرف كل شىء . صحيح ، إنه يعرف كل شىء . ولكن هل بوسع ذلك الرجل الأبيض ، بكل معرفته ومعارفه ، تغيير ذلك اليوم المحتوم ؟ إذا كنا لا نستطيع أن نحول بين أى رجل وبين الموت فلماذا نحتار ونشغل بالنا عندما تموت شجرة من الأشجار ؟ وإذا ما ماتت شجرة ، ألا نستطيع زراعة بذرة أخرى حتى تخرج منها شجرة أخرى ؟ وأنت ، أيها الرئيس ، أنت ، يا يوسف آجاى " ، وهنا بدأ يلوح مهددا بمظلته" وأنت يا من تشرب مثلنا من مياه نهر إجبارا Agbara أنت ، يا يوسف آجاى ، يا ابن أرضنا ، ويا رئيس بلدنا ، أنت تشارك أيضا فى تلك المؤامرة المجنونة التى تحاك ضد أهلك وعشيرتك – أنت .. أنت .. أنت بنفسك " ، ويدير الرئيس مومو ظهره ، بعد أن حال الغضب بينه وبين مواصلة الكلام ، ثم يغادر مكان الاجتما ع .

لم يفهم رئيس الحى ولا مسئول الزراعة ذلك الذى قاله الرئيس مومو . كان الرئيس مومو قد تكلم مستعملا لهجته الخاصة من لهجات لغة اليوروبا ، التى لم يجتز ذلك الموظف المدنى العجوز من مستوياتها سوى المستوى الأول فقط . وبالتالى لم يكن ذلك المؤهل كافيا تماما لفهم فلاح غاضب لا يتكلم لغة اليوروبا الفصيحة المعمول بها فى الحكومة ، وإنما بلهجة الأغانى السائده فى إيباجا . ومع ذلك ،لم يخطئ المستمعون نبرة التهديد وإشاراته عندما كان يلوح الرئيس مومو بمظلته .

غطى صوت الكاتب العالى على الفوضى التى أعقبت ذلك ، وراح يصفق بيديه ويكرر الصياح عدة مرات طلبا للهدوء . أما رئيس الحى فقد راح يطلق صفارته ، إلى أن أمكن استعادة شىء من النظام .

التمس الكاتب العالى ، بعد ذلك ، من الحاضرين أن يعفوا ويصفحوا عنه . وأوضح الكاتب ، أن مثل هذا السلوك لم يكن منتظرا من مثل هذا الاجتماع من اجتماعات الرؤساء ، وكبار القوم ، وقادة المجتمع . لقد أغفل ذلك الاجتماع كرامة هؤلاء الزعماء الوطنية ، وقلل من مكانتهم فى نظر الرجل الأبيض . وهم ، إن كانت فكرة تقطيع أشجار الكاكاو لا تروق لهم أو تعجبهم ، فليس من حقه أن يلومهم فى ذلك . التصرف الأمثل فى مثل هذه الحال هو أن يقولوا لكل من رئيس الحى وموظف الزراعة أنهم بحاجة إلى شىء من الوقت حتى يتمكنوا من دراسة تلك المشكلة المستعصية ، وأنهم سوف يعودون إليه بالرد فى يوم من الأيام . هذا هو ما يعرف بالدبلوماسية فى السياسة الدولية . ويتعين على كل هؤلاء الناس ألا تغيب عن بالهم أساليب الخدمة الاجتماعية المختلفة التى طلبوا من الحكومة العمل بها والالتزام بها أيضا فى بلدة إيباجا . كانوا يطالبون بمستشفى . كانوا يريدون مياها نقية تنساب من خلال الأنابيب والمواسير . وإذا ما واصل هؤلاء الناس ذلك السلوك غير المسئول مع رئيس الحى ، فقد يدفعه ذلك إلى كتابة تقرير ظالم ، الأمر الذى سيجعل الحكومة تتخطى بلدهم فيما يتعلق بمسألة المرافق .

تكلم عدد كبير من الناس فى آن واحد ، بعضهم غاضب مستاء ، وبعضهم يتخوف من غضب الرجل الأبيض ، وبعض ثالث يصيح صياحًا غير مفهوم ، ولكنهم جميعًا كانوا يؤكدون أنهم لا يريدون تقطيع أشجار الكاكاو .

وتوقفت عند هذه المرحلة أعمال الاجتماع مرة ثانية عندما دخلت شخصية لها قيمتها . كان صاحب هذه الشخصية يرتدى الملابس الإنجليزية ، شأنه شأن جونسون ، كاتب رئيس الحى ، ولكن إذا ما حكمنا عليه من واقع حُلته المصنوعة من صوف المارينو الفاخر وحُلة جونسون المصنوعة من صوف أدنى مرتبة ، نجد أنه كان أكثر أهمية وأكثر تعليما أيضا . كانت تتدلى من يده اليمنى عصا كان يتكئ عليها ، كما كان يتدلى من فمه غليون . كانت تعلو طوله الذى يصل إلى ستة أقدام ، قبعة من طراز البورديليون Bourdillion رمادية اللون ، كما كان يلبس فى قدميه حذاء أسود مدبب الطرف .

صاح أحد الحاضرين قائلا :" السيد بنيامين "!

قال آخر عندما تقدم بنيامين لاحتلال مقعده فى الصف الأول : "مرحبا . أنت وحدك الذى تستطيع فهم ذلك الذى يقوله الرجل الأبيض" .

" لقد جئت فى الوقت المناسب يا سيد بنيامين بنيامين ".

راقب الرجلان الأبيضان القادم الجديد أثناء جلوسه فى مقعده ، كان أصغرهم يراقبه بشىء من الفضول ومسحة قليلة من الضيق والتبرم من ذلك الشاب الأسود المتعلم ، الذى أصر على ارتداء ملابس

الرجل الأبيض الدافئة فى ذلك الطقس الرطب ؛ ولكن ستانفيلد Stanfield رئيس الحى ، لم يكشف عن ذلك الذى كان يدور فى داخله بشأن ذلك القادم الجديد وبشأن الملابس التى كان يرتديها ، عندما كان يجلس فى مقعده .

تساءل جريجورى ،مسئول الزراعة ، موجها حديثة إلى ستانفيلد ، بالرغم من أن عينيه كانتا تتركزان على بنيامين بنيامين ، قائلاً : " من ذلك الشاب الذى وصل لتوّه ؟ هل من المحتمل أن يقول شيئا طيبا ؟"

قال چيم Jim ستانفيلد : " صباح الخير يا سيد بنيامين بنيامين . أنت لست فلاحًا تماما ، أنت بالقطع لست من ممثلى الفلاحين . ولكن ما دمت هنا فلعلك تسمح لنا بالوقوف على رأيك فى هذا المرض المخيف . هل توافق على حتمية موافقة هؤلاء الفلاحين على تقطيع الأشجار المصابة فى مزارعهم ، حتى يتسنى لهم إنقاذ بقية الأشجار الموجودة فى المزارع ؟ أم أنهم ينبغى عليهم ترك تلك الأشجار تنشر المرض بين بقية الأشجار الأخرى ؟ وهم إذا ما وافقوا على الخيار الأول فلن يخسروا سوى بضع شجيرات قليلة . وإذا ما اختاروا الخيار الآخر ، فهذا يعنى تماما أنهم سيخسرون كل مزارعهم . فأى الخيارين تفضل يا سيد بنيامين بنيامين ؟" .

وقف الرجل استعدادا للكلام . فألقى أرضا عصاه التى كان يتوكأ عليها . ثم تناول بعد ذلك منديلا أصفر أخرجه من جيب الجاكت Jacket الداخلى . ثم أبعد النظارة عن عينيه وراح ينظف عدساتها مستعملا فى

ذلك المنديل الأصفر . ثم أعاد النظارة إلى وجهه مرة ثانية ، وأخرج الغليون من فمه ، ثم تناول عصاه التى يتوكأ عليها مرة ثانية . وفى النهاية بدأ يتحدث بالإنجليزية ولكن من خلال جونسون Johnson .

" أستأذنكم فى أن تحيوا السيد ستانفيلد ، رئيس الحى ، وأن تحيوا أيضا رفيقه أيضا ، السيد جريجورى مسئول الزراعة ، وذلك باسم كل من الأوبا Oba ورؤساء وأهل إيباجا . أرجوكم أن تقولوا لهم إننا نقدر جهودهم حق قدرها . ولكن ذلك الذى نريد من الحكومة أن تفعله لنا فى إيباجا هو ألا تقطعوا أشجار الكاكاو . الحكومة ليست بحاجة وليست مضطرة إلى فعل ذلك حتى تثبت لنا قوة الرجل الأبيض . ونحن على علم ومعرفة بتلك القوة . أرجوكم أن تقولوا لرئيس الحى ، إن ما نريد من الحكومه أن تفعله لنا حاليا ، هو استرداد أرض إجبودود Igdoobudu هذا هو كل ما نريد . يا كبار إيباجا ويا شبابها ، أليس ذلك هو الذى يشغل بالكم ؟ أليست أرض إجبودود هى كل ما تريدون استرداده من أهل أبينو ؟" طالبهم بكل ذلك فى انفعال شديد .

وهنا توقف الاجتماع من جديد . إنهم جميعا يريدون استرداد الأرض . يريدون استردادها على وجه السرعة .

إجبودود ؟ دوت هذه العبارة دوىَّ الجرس فى ركن ما من أركان ذاكرة ستانفيلد . لم تكن هناك جدوى من وراء متابعة موضوع مرض الكاكاو والإلحاح عليه . ولكن نظرا لعدم استعداده لمناقشة موضوع الأرض المتنازع عليها ، فقد أعلن انتهاء الاجتماع .

الفصل الثانى

عندما عاد رئيس الحى إلى استراحة الغابة فوق التل الموجود خارج المدينة قدم لرفيقه سيجارة أخرجها من علبة مفضضة ، مكتوب عليها الأحرف الأولى من اسمه . ثم تناول هو أيضا سيجارة وراح الاثنان يدخنان فى صمت فترة من الوقت .

قال جريجورى وهو يلقى عقب سيجارته عبر النافذة فوق أرضية الشرفة الخرسانية :" أعوذ بالله من هذه البلاهة ، أيها الرجل ، هذا كله خطأ فى خطأ . ألا يفهم هؤلاء الناس أننا نعينهم ونقدم لهم العون " ؟

تساءل ستانفيلد مفكرا ومتأملا :" هل الأمر بهذا القدر من البساطة ؟ " ثم راح يتجول فى أنحاء الشرفة جيئة وذهابا . وهنا انضم إليه رفيقه وقدم له سيجارة أخرجها من علبة صغيره تناولها من الجيب العلوى للقميص الذى كان يرتديه .

" إذا كان هؤلاء الفلاحون لا يفهمون حتمية تقطيع أشجار الكاكاو المصابة كلها ، فذلك يعنى أن نهاية صناعة الكاكاو هنا قادمة لا محالة ولا مفر منها . وهنا سنحزم نحن أمتعتنا أيضا - سنحجز مكانا لأنفسنا على أول سفينة من سفن البريد . كان الاجتماع يسير على

ما يرام إلى أن فضه ذلك الجدع bloke بالله عليك يا چيم ، لماذا لا نضع ذلك الجدع فى الحجز التحفظى ؟ "

قال رئيس الحى : "سيجر ذلك المتاعب علينا بحق" ، ثم نظر عبر ذلك المنحدر الخشبى الذى يمتد مسافة ربع ميل ، الذى من المفروض أن يحمى الاستراحة من الناموس الذى ينقل الملاريا والذى كان يعشش فى كل أنحاء البلدة . "نضع الرئيس مومو فى الحجز التحفظى ؟ وما أسباب ذلك يا هنرى "؟

" تسألنى عن السبب ؛ للوقوف فى وجه التقدم . وهؤلاء الأفارقة المغرمون بسفك الدماء ، يتعين علينا حمايتهم من أنفسهم ، وحمايتهم أيضا من الجهل . أعوذ بالله من كل ذلك ". وأردف الرجل يقول :" لابد من حماية هؤلاء الأفارقة من أفكارنا الخيالية عن الديمقراطية . والسبب فى ذلك أننا فى بريطانيا ابتكرنا نظاما للحكم يقوم على النقاش والجدل اللذين يبدو أنهما ناجحان بشكل أو بآخر . وأنا أرى أننا يجب أن نسير على الأساليب المتبعة نفسها فى أفريقيا المدارية . كما أرى أيضا أننا ينبغى علينا الحصول مسبقا على الموافقة على كل إجراء من الإجراءات قبل اتخاذ القرار . ولكن ما فائدة النقاش مع أناس لا يفهمون ذلك الذى نتحدث عنه ، ويصرون على عدم فهم دوافعنا وحوافزنا "؟

" هنرى ، إنها الديمقراطية البرلمانية ، التى تعد الإسهام الوحيد من جانب بلادنا فى الحضارة . وهذا هو الذى سوف يخلد ذكرى بريطانيا إلى الأبد بعد أن غابت الشمس عن إمبراطوريتنا " .

" آه ، الديمقراطية البرلمانية ! أنتم يا من تعملون فى الإدارة يغيب عنكم أن ديمقراطيتنا البرلمانية استغرق ظهورها زهاء ثمانمائة عام . وما زال ذلك الظهور مستمرا إلى يومنا هذا . نحن لم نأت إلى بلادهم إلا منذ ثمانين عاما ، وكنا نعلمهم طوال هذه الفترة وقف قتلهم لبعضهم بعضاً ، ووقف بيع بعضهم لبعض فى إطار الرق والعبودية . يضاف إلى ذلك ، أننا نعمل على توحيدهم تحت حكومة واحدة وللمرة الأولى " .

" وأخيرا ، من هو ذلك اللقيط المبالغ فى ملابسه الذى أنهى الاجتماع " ؟

قال ستانفيلد :"يا إلهى ، هذا هو بنيامين بنيامين . أحد المثقفين الأفارقة . رجل محلى ، يتمتع بقدر كبير من النفوذ على كل من الأوبا (الملك) Oba القديم وعلى الرؤساء أيضا . ولعلك تذكر النغمة الأخيرة التى سيطرت على الدورة الثانية التى نظمت فى ولتشاير Wiltshire فى العام الماضى . ونحن يتعين علينا أن نشرك معنا المثقفين الأفارقة فى كل ما نقوم به ".

" يا إلهى ، هذا كلام فارغ . إنه لا يبدو عليه أى شىء من الثقافة . إن تعين علينا أن نأخذ معنا كل مواطن يرتدى سترة وبنطالا ، ويهوى أن يقول عن نفسه إنه متعلم ، وإن تعين علينا أن نأخذ معنا أيضا كل رئيس من رؤساء الغابات من أمثال الرئيس مومو الذى يخدش سطح التربة ويود أن يقال عنه إنه فلاح - إن قدر لنا أن نأخذ كل ذلك ، سأقول لك إننا خسرنا سباق تنمية أفريقيا قبل أن يبدأ ذلك السباق ".

" يجب عليك أن تصبر عليهم . وأنا لابد من أن أعترف هنا بأنى أحس شيئا من التعاطف مع بنيامين بنيامين . أنت تعلم أن هذه مجرد رؤية ، رؤية قيادة الأهل .ألا تعرف معنى ذلك بالنسبة إليه ؟ " .

" أنا أفهم ذلك . هذا موسى آخر يقود شعبه ليخرج به من قيد الاستعمار والإمبريالية . أعطنى المزيد عن هذا الرجل . ما خلفيته ؟" .

" أخشى القول ، إن خلفيته ليست كبيرة . فقد بدأ بداية متواضعة وقد طرد هذا الرجل من المدرسة الابتدائية التابعة للبعثة التبشيرية قبل أشهر قليلة من أداء امتحان الصف السادس . وقد طرد من المدرسة بسبب الكلام الفارغ الذى يأتيه التلاميذ - خطاب غرامى أرسله لفتاة فى المدرسة نفسها " .

" لقد فهمت ، لقد فهمت الآن " .

" لا ، أنا لا أظن أنك فهمت . الأمر لم يكن ينطوى على شىء من الضرر ، ولكن المشكله كما تعلم تتعلق بمدرسى البعثات التبشيرية القديمة . مبلغ علمى أن ناظر المدرسة كان فظا .

وبعد ذلك راح بنيامين بنيامين يبحث عن عمل فى أبينو على امتداد فترة طويلة من الزمن. وفى النهاية ، عثر على عمل فى إدارة من إدارات الأخبار فى واحدة من الصحف ، هى صحيفة الناشيونال نيوز National News، هذا إن صح تذكرى . بدأ بنيامين بنيامين عمله مراسلا عن الأعمال الاجتماعية - أنت تعرف تلك الأمور بالطبع ،

الزواج والوفيـات ، الوصـول من الإجازات الخـارجـيـة أو بعـد إنهـاء الدراسة فى الخارج ، وكذلك السفر بسبب النقل " .

" يا إلهى ، حقـا ، إنهم يصنعون شيئـا من كل تلك الأشيـاء فى الصحف المحلية ، أليس كذلك ؟" .

" كانت تقارير مليئة بالكلمات الطويلة والتلميح بالتهديد ، وهذا هو نوع الأسلوب الذى يستهوى قراء مثل هذه الصحف ويجعلهم يتلهفون عليه . كما أن بنيامين بنيامين كان من المقربين إلى محررى الأخبار" ؛ وهنا توقف ستانفيلد Stanfield ليشعل سيجارة أخرى . ثم دخن لفترة قصيرة راوده على إثرها شىء من التردد .

" وبعـد ذلك ، وبدلا من أن يظل بنيـامـين بنيـامين داخل الصـخب الاجتمـاعى ، راح يخوض فى مياه القومية والمياه الوطنية الأعمق .كما يحدث فى كل الأحوال ، خرج بنيامين بنيامين على القانون . كان الأمر يتعلق بمقـال طويل ملىء بالاستطراد ، أساء فيه إلى سمعة الجميع اعتبـارا من السكرتير Secretary الاستعمـارى Colonial ومرورا بالحـاكم وانتهـاء بكبير القضـاة ورئيس الشـرطة . ولم يكن ديك Dick باتررزورث Batrersworth حـانيا أو لينا معه : فقد حكم عليه بالسجن مدة ستة أشهر" .

وهنا علق جريجورى قائلاً : "وهذا طيب أيضا" .

قال ستانفيلد : " لقد كان مخطئًا عندما وقَّع عليه ذلك الحكم . لأن هذا الحكم الغليظ يضع الرجل على طريق الاستشهاد" .

"يا إلهى أهذا صحيح ؟ " .

" قرأ بنيامين أثناء وجوده فى السجن كثيرا من المواد المتنوعة التى هرِّبت إليه عن طريق أصدقائه الصحافيين من ناحية ، وعن طريق السجَّانين من ناحية أخرى . قرأ الكثير عن تشكيل الأحزاب السياسية وتنظيمها ، كما قرأ أيضا تاريخ الحركات السرية (أو إن شئت فقل : غير المعلنة) فضلا عن قراءته الكثير عن حرب العصابات وطبيعتها وأساليبها . وهو الذى تقدم أيضا بأطروحة عنوانها دور الرئيس Chief فى أفريقيا الغد " .

"يا إلهى أهذا صحيح ؟ تقول إنك حصلت على كل هذه المعلومات أثناء وجوده فى السجن ؟ " .

" كانت كفاءة أفراد هيئة السادة(*) على درجة عالية فى تلك القضية . ولا يجب أن يغيب عنك أن رئيس الشرطة كان واحدا من أولئك الذين شهَّر بهم بنيامين بنيامين" .

"بعد أن خرج من السجن ، التحق بعمله مرة ثانية ، ذلك العمل الذى أبقوا له بابه مفتوحًا ، وراح يكتب المقالات والمقالات ، بعضها موقع باسمه والبعض الآخر - وهو الأكبر والأعم - تحت اسم مستعار .

(*) استعمل المؤلف لهذه الكلمة كلمة إنجليزية هى Cid وبالرجوع إلى المراجع اتضح أن هذه الكلمة مشتقه من كلمة إسبانية هى بدورها مشتقة من اللغة العربية ولكن فى صيغة التأنيث . هذه الكلمة هى « سيد » Sayyed . إذن فالمرجح هنا أن تكون ترجمة الكلمه هى : « سادة » نظرا لأن الهيئات والدول وكذلك الأفراد تميل إلى تعظيم نفسها ، ناهيك عن حدوث ذلك فى بلد مستعمر يدير المستعمرون شئونه . (المترجم)

" وهو يمضى حاليا نصف وقته هنا فى إيباجا ، أما النصف الآخر من وقته فهو يخصصه لمنصب السكرتارية Sceretariat فى أبينو Apeno وهو يجمع المادة المطلوبة لكتابة كتاب عن تاريخ أهل إيباجا . وهو يتمنى التصريح له بالاطلاع على التقارير التى تعدها رئاسة الاستخبارات ، ولكننا لن نمكنه بطبيعة الحال ، لن نسمح له بذلك " .

قال جريجورى :"عجبًا ، إنه لا يزال صبيا . وهو يؤرخ لأهله ، أهذا ما تقول ؟ سوف يكون آخر فصول ذلك الكتاب هو " وفاة صناعة الكاكاو " اسمعنى يا چيم ، أنا أعترف بأن ذلك الرجل فيه شيء من الشخصية ، كما أعترف أيضًا بأنه شخصية مشرقة وبهيجة يمكن أن تضفى مزيدا من الحياة على الروتين الممل فى مكتب المدير Administator ولكن ، واقع الأمر ، أننا ينبغى علينا أن نأخذ الشخص على ما هو عليه - شخص مشاغب أو مثير للمتاعب . كلما عجلنا بحبسه كان ذلك أفضل . ولكنك تراه هنا من حولك حرًا طليقا ، ومادمت قد أعرت انتباهك لكلام أولئك الرؤساء والفلاحين كبار السن الذى لا طائل من ورائه ، فلن تتمكن من تنفيذ أى شيء . يا إلهى ، إنهم يسببون الكثير من الحيرة ".

هز ستانفيلد رأسه وقال :" مازلت أحس بأنك لاتحتمل صبرا على هؤلاء الأولاد ، يا هنرى . قال :"يجب ألا نسمح لتحمسنا للحصول على النتائج السريعة بأن يقتل فينا على الإطلاق قدرتنا على الحصول على النتائج التى نريدها . وهذا أمر سهل المنال إذا لم نكن حريصين وواعين تمامًا ".

" ما هذا الذى تقول ؟ " .

" أنت تعرف ، أننا نركز على سياسة زرع الديمقراطية البرلمانية فى أفريقيا قبل أن نتركها ونغادرها ، أو قبل أن نُخْرَج منها ، إعتمادا على من منهما يحدث أولا .. ونحن إذا لم نُخْرَج من أفريقيا فلابد أن نسمح للأقلية عالية الصوت وعالية الصراخ ، التى تفكر حاليا نيابة عن الأغلبية الجاهلة ، بمعرفة ما نفعل والأسباب التى دفعتنا إليه . ولا يكفى على سبيل المثال ، أن نعرف أنت وأنا أن الأشجار المريضة لابد من إزالتها اليوم ، إذا أردنا لها ألا تجر الموت على بقية الأشجار غداً . يجب أن نسمح لأشقاء الرئيس مومو ، وللمحرر الصحفى ، ولناظر المدرسة ، ولقائد جيش Army الخلاص Salvation ولكل أقاربه المقربين حتى وإن كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة – بالوقوف على هذه الحقائق . يجب أن نحصل على تأييد الرئيس مومو فى فهم الأسباب والحيثيات التى يقوم عليها كل أمر من الأمور المحيطة بهم . ولكن لا يجب أن يغيب عنا أن السباق الجديد على أفريقيا لا يمكن الفوز به إلا إذا استطعنا الفوز بعقلية الأفريقى أولاً . الصبر ، والتعاطف ، والفهم – هذا هو كل ما نحتاج إليه " .

قال الرجل الأصغر سنا الذى لم يحاول إخفاء تهكمه :" الناس يقولون إن أفريقياًّ سوف يتولى منك رئاسة الحى" .

قال ستانفيلد بود وحب : " يودو udo أكبان Akpan هو زميل طيب وعظيم " .

" يبدو لى أن الأمر رائع . ما عليك إلا أن تُوقع بين عشيرتين فى موطنه قبل أن يطلب النقل من الورطة التى هو فيها " .

" أنت ، ياهنرى ، تحكم على يودو Udo حكمًا قاسيا تماما » .

" لا تخطئنى . فأنا معجب بعقل هذا الزميل . يقولون : إنه يجىء ترتيبه الثانى بعد الأول فى الكلاسيكيات . يقال إنه مثَّل جامعة كمبردج فى الكريكت . وهو رجل ممتاز من رجال النوادى وما إلى ذلك من تلك الأمور . ولكن ماذا يساوى ذلك إلى جانب ما جمعه من نصف مليون فرد ، بين رجل وامرأة ، هم أفراد قبيلته ، ليحصلوا منه فى النهاية على قيمة المنحة التى اشتروها له كى يسافر إلى بريطانيا ويتعلم فيها ؟ لم يكن هناك أحد فى مركز رئاسته يعرف أى شىء عن الكريكت قبل مجيئه هو إلى ذلك المكان . وبعد أن خلقت العشيرتان له شيئا قليلا من الشغب ، الذى ضخمه بحكم قلة ذوقه وقلة فهمه ، إلى ما يقرب من المظاهرة ، طلب نقله إلى أى مكان يكون أكثر أمنا من البلاد . أنا أؤكد لك أن هذه الخطة لن تنجح . أنا على يقين من ذلك تماما" .

" يودو Udo رجل عظيم . لديه من الفهم والإدراك أكثر مما تظنه أو تخاله" .

" أنت ترى أننى أخطأت عندما وضعت أولئك الأولاد فى مواضع رؤساء الأحياء فى مناطقهم التى يقيمون فيها . هذا لم يحدث بالتأكيد فى البدايات بأى حال من الأحوال" .

أجاب جريجورى إجابة سريعة تنم عن الحدة وسرعة البديهة قائلا : " كان ينبغى أن تكون تلك ميزة " . وهنا حاكاه على سبيل الاحتقار والازدراء عندما قال : " اسمح للجدع بالعمل فى المنطقة التى يعرف أهلها والتى يعرفه أهلها . ما السبب وراء احتياج رئيس الحى ، مثلك ، إلى مترجم مثلما تفعل أنت هنا : " تحية الرجل الأسود الأبيض لك أنت والأوبا (الملك) oba، ورؤساء إيباجا " .

" أنا لا أتفق معك فيما تذهب إليه . أنت عندما ستلتقى يودوUdo أكبان Akapan سوف تغير رأيك فيه . وعشائر الوطن الذى يعيش فيه تنحدر من إحدى القبائل المحاربة . هم أناس أشداء . فى الأيام الخوالى كان يمكن محو يودو بدون أن يبقى له أثر . هؤلاء الناس بدأوا يتقاربون من السلام Pax البريطانى Britannica فى الوقت الراهن " .

" لا يزال هذا الزميل بحاجة إلى البقاء والعمل بين أهله وذويه . أنا لا أصدق ولا أومن بتلك المادة التى توحى بأنه من قبيل الأنبياء الذين ليست لهم كرامة فى أوطانهم . هل تسمح لى بسيجارة أخرى ؟" .

الفصل الثالث

ذات مساء ، بعد مرور ثلاثة أسابيع على ذلك الاجتماع المشئوم ، اجتمع مجلس كبار Elders إيباجا فى الشرفة الملكية الواسعة الخاصة بمجمع أوبا [الملك] Oba مدينة إيباجا . جلس أعضاء المجلس على كراس ومقاعد يصدر عنها صرير . أما هو ، أو إن شئت فقل : الأوبا Oba [الملك] فكان يجلس على كرسى له ظهر عال مصنوع من خشب الماهوجنى ، وموضوع فوق منصة عالية مصنوعة من الطين وكان يمسك فى إحدى يديه ذيل حصان ، بينما تلألأت فى أصابع يده اليسرى وهى تتكئ على مسند الكرسى ، خمس حلقات ثقيلة مصنوعة من الفضة . كان أوبا يلبس بلوزة بيضاء مطرزة تطريزا ثقيلا بالحرير الأخضر ، وكان يضع على كتفه اليسرى أحد طرفى لفافة سائبة الطرفين مصنوعة من القطيفة البيضاء ، فى حين كان يضع على رأسه غطاء رأس أبيض صغير .

جلس ثلاثة من حاشية البلاط الملكى يتحادثون فى الطرف البعيد من الشرفة الملكية . كان يوجد بالقرب منهم برميل صغير من زيت النخيل سعته عشرة لترات وكان الزبد الموجود على سطح الزيت فى البرميل يوحى بأنه لم يجر تخفيفه بعد .

قال الرئيس العجوز وهو يلوح بذيل الحصان الذى كان يمسك به فى يده :"يا كبار إيباجا ، أرحب بكم جميعا ، وأتمنى لكم أمسية طيبة. أنا الذى أرسلت فى طلبكم ، أرسلت إليكم جميعا كيما تأتوا إلى مجمعى ". هنا توقف الرئيس العجوز برهة كى يعطس ؛ وقد أكسبه ذلك العطس تشميت الحاضرين من الرؤساء ، إذ من المعتقد أن الإنسان عندما يعطس إنما يطرد الشر من خلال أنفه ومن خلال فمه . والشخص الملكى عندما يفعل ذلك يهنئه الحاضرون على اجتياز تلك العملية بنجاح .

واصل الأباجا Apaja حديثه قائلا :" اعتدنا منذ شهور كثيرة على الاجتماع هنا فى مجمعى . هنا التقى الأباجا الأول ، مؤسس إيباجا Ipaja ، رؤساءه وهنا أيضا التقى آبائى وأجدادى رؤساءهم وناقشوا معهم شئون الدولة وهم حاليا يرقدون جميعا هنا" .

ويشير الأباجا إلى الطرف البعيد من المجمع الذى دفن فيه أسلافه الذين جلسوا على كرسى إيباجا .

" إنهم جميعا ينامون هنا . لكنهم يسمعون كل ما نقول . هم يتنفسون السلام ولعل ذلك كان السبب وراء اجتماعاتنا هنا فى أمن وسلام داخل مجمعى ، ولكننا عندما بنينا مقر المحكمة وأقمناه ، أخذنا نجتمع فى مقر المحكمة . ومنذ أن بدأنا اجتماعاتنا فى مقر المحكمة لم نعد نشعر بالأمن والسلام . ونحن لم نع أو نفهم . وهذا هو السبب الذى جعلنى أطلب من قارع الجرس فى بلاطى أن يدعوكم جميعا إلى

الحضور إلى مجمعى فى يومنا هذا . يا كبار إيباجا ، أنا أرحب بكم جميعا هنا . ولتصحبكم جميعا روح مؤسس إيباجا ".

جلس الأباجا فى كرسيه مرة ثانية بعد إبداء هذه الملاحظات التمهيدية ، وبعدها وقف واحد من الكبراء وخطا أربع خطوات طويلة على شكل نصف دائرة فى وسط الجماعة . ثم استلقى منبطحا على معدته على سبيل التحية قائلا :"يا مالك إيباجا Kabiyesi أطال الله عمر الحذاء المرصع بالخرز الذى يزين قدميك الملكيتين . وأطال الله عمر أشياء السلطة المرصعة بالخرز وأمد الله فى حكمك لنا ". ثم أردف قائلا وهو يفتش الجماعة من حوله بناظريه منطلقا من وضعه غير المحترم : "الزملاء ، كبراء إيباجا . هل سوف تتحقق هذه الأشياء أم لا ؟ " .

رد الجميع بما مفاده أنهم يتمنون أن يتحقق الدعاء بطول العمر لرئيس إيباجا. ونهض العجوز واقفا على قدميه ، وراح ينفض التراب عن ثيابه مستخدما راحة يده اليمنى . ثم مشى ليجلس على الكرسى الذى كان يجلس عليه من قبل . كان تعبير ذلك الرجل عن التمنيات الطيبة إشارة واضحة وكافية على موافقته على ملاحظات رئيس إيباجا (أو إن شئت فقل : مالك إيباجا أو مليكها) ، التى مفادها أن شرفة المجمع الملكى أكثر أمنا وسلاما عند نظر أمور الدولة الخطيرة . وأردف رئيس إيباجا أن سبب ذلك هو أن :"الكاتب أبلغنى أن صديقى الطيب رئيس الحى قد كتب لى كلمات غير طيبة فى رسالة أرسلها إلىَّ . عندما قرأ الكاتب علىَّ كلمات تلك الرسالة أصابنى الحزن ؛ لأن تلك الكلمات لم تكن طيبة ، إنما كانت تفيض غضبا . من هنا فقد أرسلت

فى طلبكم جميعا ، يا كبراء إيباجا ، علكم تستمعون إلى ذلك الكلام الغاضب الذى أرسله أو كتبه لنا رئيس الحى . كما أرسلت أيضا فى طلب بنيامين بنيامين كيما يقرأ لنا الرسالة وهو أكثر تعليمًا من الكاتب . وهذا هو السبب الذى جعلنى أرسل إليه ليقرأ لنا الرسالة " .

تقدم بنيامين بنيامين ، محدثًا ضوضاء كبيرة وهو يتجه صوب الجزء المنخفض من المنصة . وكان كعادته مرتديا الملابس الإنجليزية . وحيا الحاضرين جميعهم بإيماءاته إلى اليمين وإلى الشمال . ثم وضع عصاه التى يتوكأ عليها على الأرض ، وأخرج الغليون من فمه ، ورفع القبعة عن رأسه . وبعد أن تقدم ثلاث خطوات إلى الأمام ، انبطح مستلقيا على معدته ، على امتداد طوله الذى يصل إلى سته أقدام بالرغم من ارتدائه كل من السترة (الجاكت) والبنطال ورباط العنق . قال بنيامين بنيامين :"مولاى Kabiyesi، مالك إيباجا . سليل مؤسس أقدم الأسر الملكية على سطح الأرض . أنا أعبدك . وأنا أعبد الأشياء المطرزة التى فى يدك الملكية . وأنا أعبد الحذاء المطرز الذى تلبسه فى قدميك ... وأعبد الأرض التى تطؤها قدماك الملكيتان ، كما أعبد الكلمات الملكية التى تخرج من فمك الملكى . يا أبا إيباجا ، تحياتى المتواضعة لكم جميعا ".

وأشاح الأباجا بذيل الحصان إلى الأعلى قائلا :" انهض . أمثالك الذين على هذا القدر من العلم ، لا ينبغى أن ينبطحوا على الأرض مدة طويلة . وإلا فسوف تعانى من آلام الظهر "!

أبدى أحد الكبراء ملاحظة قائلا : "ظهره حاليا يقوى تماما على تحمل هذا الشيء "!

بعد أن نهض بنيامين بنيامين واقفا طلب من الكاتب أن يعطيه الرسالة ثم أخرج من جيب السترة العلوى نظارة وضعها متأرجحة فوق قنطرة أنفه . ثم تصفح الرسالة مدة لحظة فى صمت ، وكشفت إيماءاته ، وكذلك تكشيراته عن تقييمه وتقديره لأمر مهم من أمور الدولة . ثم بدأ بعد ذلك يقرأ الرسالة بصوت عال بالإنجليزية على الحاضرين .

« صديقى العزيز ،

أنا على ثقة بأن كاتب المجلس قد أبلغك بسلوك ممثلى رابطة فلاحى إيباجا غير المقبول فى أثناء اجتماعهم مع مسئول الزراعة الإقليمى فى اليوم الثانى عشر من شهر يوليو . ولم يجر ذلك السلوك الخزى والعار على الحاضرين وحدهم وإنما على أهل إيباجا بصفة عامة .

مشاغل مسئول الزراعة الإقليمى كثيرة جدا . وهو يرعى مقاطعتين يعد تقسيمك من خلالهما تقسيماً واحداً من تقسيمات عدة . يضاف إلى ذلك أن اتحاد الفلاحين عندك ليس سوى جزء واحد من عشرة أجزاء هى مجموع الفلاحين فى المقاطعتين . وبالرغم من ذلك ، فقد انتزع مسئول الزراعة نفسه من الأعمال المهمة فى مركز رئاسته وأجبر نفسه على أن يقطع بالسيارة ما يقرب من مائة ميل ليصل بعدها إلى

الفلاحين عندك كيما يتحدث إليهم . لكن فلاحى إيباجا كشفوا عن عدم اهتمامهم وسوء تقديرهم لتضحية ذلك الموظف بوقته . كما كشف أولئك الفلاحون أيضا عن جهلهم المطبق بالسبب الرئيسى للاجتماع . ولو كانوا قد فهموا ذلك لكشفوا بلا أدنى شك عن موقف مستنير يتصف بالعقلانية .

حكومة البلاد على قناعة تامة بأن كارثة خطيرة تهدد صناعة الكاكاو ، وبالتالى فهى تهدد رفاهتك أيضا ،هذه الحكومة تنفق الكثير من الوقت ومن المال فى مقاومة أمراض الكاكاو ولذلك فهى تنقذك أنت وأسرتك من هذه الكارثة . ومع ذلك ، كشف ممثلوكم من خلال موقفهم أن قسمك لا يستحق الاهتمام الذى تنوى الحكومة أن تعطيه إياه . سوف تركز الحكومة انتباهها ، بطبيعة الحال ، على أولئك الذين سوف يتعاملون معها فى جهودها التى تبذلها لمقاومة المرض ، وسوف تهمل الحكومة أولئك الذين يجعلون من أنفسهم ، بسبب الجهل وعدم المعرفة ، عقبة تحول بين الحكومة وبين عملها .

قد يعنى ذلك أن فلاحى إيباجا قد أدركوا أنهم قد ضللوا فى موقفهم الذى اتخذوه وأنهم قد تبينوا سبب ذلك التضليل حاليا . إن كان الأمر كذلك ، فإن الحكومة على استعداد – وهذا هو ما يؤكده لى مسئول الزراعة الإقليمى – لمواصلة مقترحاتها . وأنت يتعين عليك تأكيد موقف فلاحى إيباجا الراهن وتبلغنى بذلك برسالة فور عودتى من الجولة التى أقوم بها حاليا » .

صديقكم الطيب

يودو أكبان

رئيس الحى

وبعد أن انتهى من قراءة الرسالة المكتوبة باللغة الإنجليزية ، تلك القراءة التى لا لزوم ولا فائدة منها ، راح يترجمها جملة بعد الأخرى على أفضل نحو ممكن ، إلى اللهجة المحلية . وبعد الترجمة دار نقاش حول الرسالة استهله الأباجا نفسه .

"يا كبراء إيباجا . لقد استمعتم إلى كلام الرجل الأبيض المفعم بالغضب . كلام مفعم تماما بالغضب والاستياء . فماذا سنفعل ؟ ".

كرر رجل عجوز أطرم ، وأصلع وخوّاف ، كلام الأوبا Oba قائلا : "كلام مفعم تماما بالغضب والاستياء . فماذا سنفعل" ؟

قال كبير آخر مبديا ملاحظته :"يتعين علينا تنفيذ كل ما يقوله الرجل الأبيض . إيباجا مملوكة له حاليا . إنه يمتلك العالم أيضا ".

"يجب أن ننفذ ما يقوله الرجل الأبيض ؛ لأننا إذا لم ننفذ ذلك سوف يتسبب لنا فى كثير من المتاعب . وأنا لا تعجبنى متاعب الرجل الأبيض ولا أرضى عنها".

وأعقب ذلك صمت دام شيئا من الوقت إذ كان الرجال يتفكرون فى الأمور . وهنا بدأت الظلال الناتجة عن ضوء الفانوس تظهر على الجدار . وراح الأطرم الأصلع يشخِّر شخيرا لينا . وهنا أنبأ البرق والرعد عن اقتراب هبوب العاصفة .

قال الأوبا Oba : " يا كبراء إيباجا ، صرحوا بما فى أذهانكم . هل يجب علينا تقطيع أشجار الكاكاو أم لا ؟ هذا أمر جد خطير ومهم . وقولوا ما يدور فى أذهانكم" .

أطال بنيامين بنيامين النظر إلى الورقة التى كان يمسكها فى يده ، وقد راح فى تفكير عميق . ثم قال متعجبا :"مثلما توقعت تماما . هل تفهمون هذا التاريخ ٢٤ من شهر يوليو من العام ١٩٤٧ الميلادى" . " قال ذلك وهو يمرر الورقة على أفراد الجماعة ، بينما كان يشير بنظارته إلى التاريخ . وشعر الجميع بالفخر لأنه أخذهم جميعا بعين اعتباره . وفتحوا كلهم عيونهم وأصاخوا سمعهم . ومع ذلك فإن الحروف السوداء أو الحمراء ، أو حتى الأحرف الكبيرة أو الصغيرة كلها تعنى شيئا واحدا عند أولئك الكبار ، كبار إيباجا ، هذه الحروف لا توصل لهم سوى شىء غامض ، تعقيد من الحروف لا معنى له عندهم سوى أنه بعض من الخطوط والمنحنيات والنقط ليس إلا .

"ذلك التاريخ هو ٢٤ من شهر يوليو . أى منذ خمسة أيام مضت . ولكن ستانفيلد رئيس الحى غادر أبينو Apeno فى اليوم السابع عشر من شهر يوليو . أى قبل تحرير ذلك الخطاب بأسبوع واحد . الأكثر من ذلك أن تلك الرسالة لم تكن موقعة من ستانفيلد" .

انتظر الرجل برهة كيما تفعل عبارته فعلها . ولكن ذلك الذى كان واضحا لبنيامين بنيامين لم يكن كذلك عند أولئك الكبراء . حقيقة مغادرة ستانفيلد لأبينو Apeno فى تاريخ معين وحقيقة تاريخ الرسالة فى يوم آخر ، لم يكن لها معنى أو مغزى عند أولئك الكبار .

قال بنيامين بنيامين فى صبر وتأن :"سأوضح لكم مقصدى . هذه الرسالة كتبت بعد سبعة أيام من مغادرة ستانفيلد مدينه أبينو . وبالتالى لا يكون هو الذى كتبها " .

قال أحد الحاضرين متفاخرا :" لقد فهمت الآن . أهذا يعنى أن كاتب الرجل الأبيض هو الذى كتب هذه الرسالة ، بعد أن كان الرجل الأبيض قد سافر إلى بلده طلبا للراحة طيل ثلاثة أشهر " . وراح الرجل يتجول بين أفراد الجماعة وهو يشعر بالرضا والارتياح . وضحك الجميع لبساطة الأمر ويسره .

"سادتى الآباء . هذا أمر خطير . هذه الرسالة لم يكتبها كاتب رئيس الحى ، ولم يكتبها ستانفيلد رئيس الحى نفسه . هذا كله نحن نعرفه . الذى كتبها هو السيد أكبان Akapan " . توقف المتكلم يتبين تأثير ما يقول . ثم واصل كلامه قائلا:" أنا أعرف ، يا آباء المدينة ، أنكم مشتاقون لمعرفة من يكون السيد أكبان هذا . إنه رئيس الحى الجديد . والمهم فى كل ذلك أنه ليس رجلا أبيض على الإطلاق ".

يتوقف المتكلم مرة ثانية كيما يتبين تأثير ما يقول ، ثم أردف أحد الرجال قائلا فى بطء :" الرجل ليس رجلا أبيض . ومع ذلك تقول إنه رئيس الحى . فكيف يحدث ذلك" . ودار الرجل على رفاقه . إذ لم يعن هذان الأمران أى شيء عنده .

"إذا لم يكن الرجل أبيض فكيف يمكن له أن يكون رئيسا للحى؟ "

"نعم ، هو ليس أبيض . فقد قررت الحكومة أننا عندما يطرد الرجل الأبيض سيكون لدينا رؤساء أحياء من دمنا نحن . وأنتم تعلمون أن لدينا بالفعل أطباء وكثير من المحامين ولكنهم من الأفارقة وليسوا من البيض " .

أكد أحد الرجال الحقيقة التي مفادها أنه يوجد بالفعل بعض الأطباء الأفارقة . وقال أيضا إنه يعرف طبيبا يعيش في إحدى البلدان الواقعة بعد مدينة أبينو . وقال إن ذلك الطبيب هو ولد أحد الرجال الذين تعرف عليهم عندما كان يعمل بالتجارة في تلك البلدة منذ سنوات كثيرة . وقال أيضاً إن ذلك حدث منذ سنوات كثيرة قبل أن تبور تجارته وقبل عودته إلى مزرعة إيباجا .

قال بنيامين بنيامين بعد ذلك إن الحكومة استشارته بوصفه " المستشار السياسي للأوبا oba" هو وأهل إيباجا ، قبل أن تتخذ قراراً بشأن تنصيب رئيس حي أفريقي لحيهم الذي يقيمون فيه ، وأنه وافق على فكرة الحكومة بعد أن تشاور مع أبناء إيباجا المتعلمين في الخارج . ولكنهم أعطوا الحكومة شرطا مفاده أن من يشغل ذلك المنصب ، أيا كان ، لابد من أن يكون متفاهما ويجب أن يتوحد هو بنفسه مع أهداف وآمال أهل إيباجا . وقال إنه يود من سيده ومن مولاه الأوبا ومن آباء المدينة أن يؤيدوا صواب التصرف الذي أقدم عليه .

قال الأوبا :"استمر ، واصل حديثك . قد تصرفت ، بطبيعة الحال ، تصرفا صحيحا ، أنت ورفاقك تعرفون ذلك الذي يحدث في هذا العالم .

هل تظن أننا نعرف أو نسمع عن أى شىء هنا" ؟ تنقل الأوبا بناظريه بين أفراد الجماعة ، فلم يعارضه أحد ." واصل كلامك يا ولدى" .

لم يستطع أحد الحاضرين التغلب على شكوكه فتساءل :"ولكن .. كيف يمكن لرجل أسود أن يصبح واحداً من رؤساء الأحياء ؟ " .

استطرد بنيامين فى حديثه قائلا :"مولاى ، وآباء المدينة . هذا هو السبب وراء وجودى بينكم هنا . لأثبت لكم أن الرجل الأسود مساو للرجل الأبيض .

وما يفعله الرجل الأبيض يستطيع الرجل الأسود أن يفعله أيضا . لقد اتفقنا نحن أبناء إيياجا المتعلمين أن يكون رئيس مدينتنا من السود . وحددنا لذك شرطا واحداً كبيرا ؛ مفاده أنه يتعين على ذلك الموظف أن ينفذ ذلك الذى نطلب منه تنفيذه استهدافا لتقدم الأرض الأم . وأنا نادم على القول بأن تلك الرسالة كتبها رئيس الحى الجديد" ، وهنا لوح بنيامين بالرسالة إلى المستمعين المعجبين به وأردف قائلا: "ليست هذه هى الطريقة التى يخاطب بها رئيس الحى أوبا أفريقيًا عظيما ومبجلا هو ومجلس كبرائه" . ثم قرأ عليهم باللغة الإنجليزية - الفقرة الثالثة . ثم استأنف حديثه قائلا :"تهديد وتخويف هذا هو الواقع فعلا . الأساليب المضادة لكل من الاستعمار والإمبريالية . الإهانة والتحقير . والعجيب أن ذلك آت من شخص له نفس لوننا . يجب أن نبلغه بأننا لن نسمح بمثل هذا الغثاء والكلام الفارغ فى هذا البلد العريق . وأنا باعتبارى مستشارك السياسى ، أرجوك أن تقر عينًا يا سيدى ومولاى ومعك مجلس كبراء المدينة . أنت فى مأمن من عملاء

الاستعمار والإمبريالية ، سواء أكانا أبيضين أم أسودين . لن يجرؤ أحد على المساس بشجرة واحدة أو حتى لمسها ، أيا كان نوعها أو حجمها ، فى أية مزرعة من مزارع أهل إيباجا . لن يحدث ذلك مادام هناك دم يجرى فى شرايين بنيامين بنيامين المستشار السياسى للأباجا هو ومجلسه" .

فى اليوم التالى جرى تحرير رسالة إلى ضابط الحى لإبلاغه أن أباجا (ملك) مدينة إيباجا ومعه مجلس الكبراء قد درسوا باستفاضة النقاط التى أثارها رئيس الحى فى الرسالة التى أرسلها إليهم . وأبلغوه أنهم لم يستطيعوا الموافقة على الاقتراح الذى مفاده أنهم يتعين عليهم تقطيع أشجار الكاكاو ، استناداً إلى ذلك السبب الواهى الذى يزعم أن تلك الأشجار مريضة . وشكروا رئيس الحى على قلقه واهتمامه برفاهة أهل إيباجا . ومع ذلك ، فهم يودون منه أن يثبت لهم اهتمامه الحقيقى برفع الخطأ الكبير الذى ارتكب ضد أهل إيباجا عندما استولى الرجل الأبيض The white Man الأول على الأرض التى يطلق عليها اسم إجبودودو Igbodudu، ثم أعطيت بعد ذلك للآبينِّيين Apenos، الأعداء الحقيقيين مدى الحياة للأباجيين . وأبغلوه أيضا ، أنهم يتطلعون ، بعد أن أصبح واحد من الأفارقة رئيسا من رؤساء الأحياء ، أن يتفهم مشاعر أهل إيباجا نحو تلك المسألة المقدسة فى قضية الأرض . "نود أن تعرف أن مخزوننا من الصبر الذى يبدو غير قابل للنفاد من الناحية النظرية ، قد أوشك على النفاد " ، هكذا استطردت الرسالة . "وعليه

يتعين عليك استعمال نفوذك الجيد للعمل على رد أرضنا - أرض أجدادنا ولنا بطريقة مشروعة التى أخذت منا بطرق غير مشروعة - لنا بطريقة مشروعة . وإذا ما فشل ذلك ، فنحن الأباجيين ما زلنا نعرف كيف نعاقب الأبينُيين Apenos وبالطريقة التى عاقبهم بها أجدادنا قبل مجىء الرجل الأبيض . إن ساعة الاعتراف تقترب فيما بيننا وبين الأبينيين . ولا تنس أنك أفريقى مثلنا . وأولو الألباب يفهمون بالإشارة " .

الفصل الرابع

لم يكن مرض أشجار الكاكاو المشكلة الوحيدة التى كانت تواجه الإدارة Administration فى مدينة إيباجا ، فقد سبق لجيمس ستانفيلد أن تعاطف مع خيبة الأمل والإحباط اللذين أصابا الشاب جريجورى Gregory بالطريقة ، أو على النحو الذى أدى إلى توقف المؤتمر وإنهائه . كانت لديه خبرة طويلة فى العمل فى الإدارة الاستعمارية وكان يعرف جيدا أيضا أن لا شىء ينجح من المرة الأولى فى أفريقيا المستعمرة . إذ لن يكون هناك ما يمكن أن يفعله أمثال ستانفيلد وأمثال جريجورى فى أفريقيا . لن يكون هناك ما يكتبه أمثال هيلى Hailey وأمثال برهام Perham اللذان يكتبان عن أفريقيا . ولن يكون هناك مكتب استعمارى فى لندن يواصل توفير التقارير والإحصائيات عن مدى مشكلة الإدارة الاستعمارية وحجمها والعبء الذى يحمله الرجل الأبيض والكفاح الذى لا يعرف الخضوع أو الاستسلام - الذى تشنه الإدارة البريطانية على الطبيعة القاسية فى أشد أرجاء أفريقيا ظلاما .

وطوال الأيام السبعة عشر التى كان ستانفيلد يسلم فيها مهام منصبه إلى يودو أكبان الصغير ، راح الرجل الكبير يشرح للقادم الجديد الأمور الإدارية المعقدة ومع ذلك غطت شروحاته وتوضيحاته

قسما كبيرا من الموضوع . فقد أبلغه بكثير من الأمور التى كان يظن أنها ضرورية للمناقشة ، ولكنه لن يجدها فى أى من التقارير أو الكتب أو حتى فى أوراق السياسة . أبلغه أيضا أنه عندما كان رجلا أبيض كان يظن أنه ذلك ، وذلك من واقع سنوات خبرته الطويلة فى شرق أفريقيا فى البداية ثم بعد ذلك فى غرب أفريقيا ، كما أخبره أيضا أنه لديه من المؤهلات ما يمكنه من معرفة أسلوب تفكير الأفارقة وطريقة تصرفهم . وأبلغ أكبان أن تعيينه ليكون خلفا له فى إيباجا إنما هو تحقيق لطمحه فى حياته العملية ، الذى مفاده أنه قبل أن يتقاعد من الخدمة سوف يدرب أفريقيًا أمينا على مهام عمله ويسلمه إليه . كان يتمنى أن يعتبره أكبان والدًا له وألا يتحرج ويوجه إليه أى سؤال يرى أنه قد يكون له معينا ومرشدًا . كما أعطاه أيضا عنوان منزله فى ساندر ستيد Sander stead، فى مقاطعة سيرى Surey، وطلب منه أن يكتب إليه بين الحين والآخر عن أحواله ، وأنه سوف يكتب إليه فى المقابل ليقدم له النصيحة . قال ستانفيلد بعد أن صافح أكبان قبل أن يصعد إلى مصعد الركاب فى السيارة البيكب Pickup الهيلمان التى نقلته من إيباجا إلى أبينو فى المرحه الأولى من الرحلة إلى الشاطئ : " يايودو ، يا ولدى .. نجاحك نجاح لى . إلى اللقاء يا يودو ، أتمنى لك حظا سعيدا" .

قبل يودو أكبان عرض الصداقة الذى تقدم به ستانفيلد . قبله ولكنه أوجس منه خيفة . حسب أنه كان يعرف نوعية ذلك الرجل منذ أيام الدراسة فى بريطانيا . كانا يفهمان بعضهما ويحترمان بعضهما ويتحدثان مع بعضهما بطريقة جيدة . كانا يدعوان الطالب الأفريقى إلى

منزليهما كيما يشعر أنه إنسان مثلهما : وأن مسألة لونه أمر لا أهمية له . ولكن يودو كان يحس دوما أن هناك شيئا ما لا يعرف كنهه بالرغم من كل المحاولات التى كانا يبذلانها - كان يقف بين الأفريقى والإنجليزى ويحول دون التفاهم بينهما ، هذا الشىء كان يولد دوما انطباعا لدى أكثر الإنجليز تفاهما ، مفاده أن الأفريقى البارز أو المتميز إنما هو من قبيل الاستثناء ، أى أنه أمر نادر تماما ، وأن جراثيم الوحشية والجنس والقتل الطقوس إنما تعيش وتترعرع خلف البشرة السوداء .

هذا يعنى أن رئيس الحى الجديد كان سيعالج مهام عمله الجديد فيما يتعلق بالإدارة الأفريقية بطريقة أفريقية خالصة . وأولى تلك المشكلات الخاصة بمدينة إيباجا إنما كانت تتمثل فى النقاش الدائر حول الرئاسة فى دائرة الأوبا (الملك) ، كان يودو قد قرأ ملف ذلك النزاع مرة واحدة . ومن خلال تلك القراءة أمكنه الحصول على الضروريات وليس التفاصيل . وهذا الأمر معتاد جداً فى المنازعات على الرئاسة : فهذا كرسى من كراسى الرئاسة شاغر منذ ستة عشر شهرا ، ويتصارع عليه حوالى ثلاثة وعشرين متنافسا ، وقد انخفض عدد أولئك المتنافسين إلى اثنين فقط والأوبا Oba ومعه صناع الملوك يفضلون المرشح أولووكيرى Olowokere وهذا الاسم معناه " الرجل الغنى ليس صغيراً " (تذكر أكبان أنه صادف ذلك الاسم فى مكان ما) . فى حين يؤيد أبناء إيباجا المتعلمون فى الداخل والخارج مرشحا آخر ، رجل وصل تعليمه إلى الصف السادس ، يشغل منصب كاتب رئيسى مساعد فى إحدى إدارات الحكومة فى أبينو Apeno .

كان ستانفيلد قد دوّن فى الملف " أنه فى الحالة المعقدة ، كما هى الحال فى سائر حالات الرئاسة ، فإن أولووكيرى هو المفضل فى إيباجا ، باعتبار أنه هو المختار من قبل صناع الملوك . هذا يعنى ، أن هاتف الغيب إيفا Ifa، كما يقول صناع الملك ، قد أعلنه أو اختاره . وهو ليس ملما بالقراءة والكتابة ، لكنه شهير جداً وثرى جداً أيضاً " .

" أما أبوسيدى Abosede، الذى رشحه اتحاد التحسين فى إيباجا فليس شهيراً أو محبوبا عند كل من الأوبا والرؤساء . وهم يشكون من أنهم لا يعرفونه جيداً . ويجب أن نلاحظ هنا أنه بالرغم من أن الإلمام بالقراءة والكتابة يعد أمرا مطلوبا ، فإنه ليس شرطا من شروط الرئاسة ".

كان نزاع إجبودودو Igobodudu الخاص بالأرض منغصا خطيراً آخر من بين المنغصات الأخرى الداخلة ضمن مهام أكبان الجديدة . كان العمر المسجل لذلك النزاع يقدر بحوالى اثنين وثلاثين عاما ، هذا يعنى أن ذلك النزاع كان أكبر منه هو شخصيا من حيث السن ، كما أنه كان يكبر ترشيحه فى الخدمة الإدارية بحوالى ثمانية وخمسين عاما. وفى تقرير من تقارير الاستخبارات وصل عدد صفحاته إلى ست صفحات ، أتت الحشرات على نصفها ، كان الرئيس السابق فى هذا المنصب والذى يدعى العقيد هجز Higgs قد دون تفاصيل وأسباب اضطراب حدث بين القرويين الإيباجيين من ناحية والقرويين الأبينيين من الناحية الأخرى ، وأن مكان ذلك الاضطراب كان يبعد مسيرة يوم واحد فى اتجاه الشرق .

كان قد سبق لأكبان قراءة ذلك التقرير فى مركز الرئاسة الإقليمى . وهو يحمل معه حاليا ملف تلك القضية فى أول زيارة يقوم بها لإيباجا على أمل أن قراءته لذلك الملف فى إيباجا ربما تمكنه من الحصول على الصفحة المفقودة ، ويبدو أن تلك الصفحة بصفة خاصة قد نزعت عن قصد من الملف نظرا لوجود كعب الورقة . يضاف إلى ذلك أن النصف غير المستعمل من الصفحة الأخيرة فى التقرير كان مدونًا عليه محضر باهت ، وتاريخه أحدث من تاريخ النقوش الرئيسية :" قسم ضائع من التقرير . وقد تعمد شخص ما نزع ذلك القسم حتى يتسنى له إحباط جهودى لحل لغز أو مشكلة نزاع إجبودودو الخاص بالأرض . ألملم أشيائى وأعود إلى سالى Sally قبل أن يصيبنى مس من الجنون . لا أستطيع تحمله أكثر من ذلك ". وبعد ذلك المحضر السلس كان هناك رسم تخطيطى سريع - عبارة عن صورة لفتاة كانت تمسك رأس كلب من الكلاب ذات الشعر الطويل الناعم ومن خلفها كوخ إنجليزى فى فصل الشتاء . كانت الفتاة ترتدى قميصا وتنورة ، كما أن وجهها كان يشع حسنا وجمالا : لا يمكن توجيه اللوم لأى من الإداريين العاملين فى مجال الخدمة الاستعمارية لصاحب الجلالة ، على عودته إلى مثل ذلك الوجه الحسن الجميل . ولكن يودو لم يكن مجرد إدارى فحسب ، فقد أقسم على الوصول إلى أعماق سر ذلك النزاع الخاص بالأرض .

وبينما راح خادمه الوفى يحاول إشعال مصباح تيللى Tilly الغازى ، قام أكبان بتحديد معالم خط الهجوم . وسأل مندوب الشرطة أن يعرف من راعى الاستراحة ما هى الكنيسة من بين كنائس البلد التى يطلق عليها اسم كنيسة القديس چون .

تساءل راعى الاستراحة قائلا :" كنيسة القديس چون ؟ " ثم أردف قائلا إنه يعرف الكنيسة وإذا كان الرجل الأبيض الأسود يود معرفتها فبوسعه أن يصحبه إلى الكنيسة .

" فى أى اتجاه سنمضى ؟"

" تقول ، فى أى اتجاه ؟ لماذا هذا السؤال ، هناك بطبيعة الحال ". قال العجوز ذلك الكلام وهو يمسح بإحدى يديه نصف الأفق تقريبا .

" اسأله أيضا ، أيها المنسق ، إن كان يعرف مكان الكنيسة الكاثوليكية أيضا ؟ "

" الكنيسة الكاثوليكية ؟ أنا أعرفها بالطبع . وإذا كان السيد Master يود الذهاب إلى هناك فأنا على استعداد أن آخذه أيضا إلى هناك ".

أطال أكيان النظر إلى الرجل قبل أن يسأله :" وأين توجد الكنيسة الكاثوليكية ؟"

" أين الكنيسة الكاثوليكية ؟ لماذا ؟ هناك بطبيعة الحال !" وأشار الرجل إلى المساحة التى سبق أن أشار إليها ، ولكنه فى هذه المرة كان أقل تحديدا .

قال المنسق لراعى الاستراحة باللهجة المحلية :" أنت أحمق ".

" وأنا أبلغك أنك خسرت عملك ، يا قاطع الطريق . وأنا أنصحك بألا تتلاعب برئيس الحى لا شىء سوى أنه رئيس حى السود . يجب أن تقدم له ردوداً وإجابات تنم عن الفهم والذكاء " .

هنا أيقن أكبان أنه لا يمكن أن يعتمد على راعى الاستراحة أو يثق به مرشداً له فى العثور على الكنيسة التى كان يود معرفة مكانها . وهنا قرر أكبان أن يثق بخططه الخاصة فى العثور على تلك الكنيسة وذلك بعد أن يصل إلى منتصف المدينة .

وبعد تناول العشاء المكون من الدجاج المندى والأرز المسلوق ، والمغسول بكوب من نبيذ البوردو ، الذى جرى تهريبه عبر الحدود من غرب أفريقيا الفرنسى ، واصل أكبان مسيره مع المنسق فى سيارته الفورد بريفكت من طراز العام ١٩٤٥ وقطعا الطريق الترابى الذى يلف حول التحدرات الغابية الواقعة بين الاستراحة والمدينة . كانت السيارة تنحرف تحاشيا لمحاصرة الأغنام والماعز داخل أنوار السيارة الرئيسية . وراحت الأغنام والماعز تتجمع على شكل جماعات صغيرة ، غير مدركة تماما الخطر الداهم الذى يكمن وراء تلك الأنوار . وراح أكبان يتأمل عجز الحيوانات عن التعلم من التجربة القاسية ، إذ خطر بباله أنه شاهد مرارا سائقى سيارات النقل ، وهم أقل انتباها أو اهتماما من المسئول الإدارى ، عندما يقتلون أو يشوهون تلك الحيوانات الأليفة .

لاحظ أيضا جماعات من الأطفال وهم يلعبون الألعاب أو يروون الحكايات الشعبية وهم جالسون فى الشرفة ، التى كانت تضيؤها أضواء المصابيح الخافتة المصنوعة من الصلصال وتشتعل باستعمال زيت النخيل . وسرح ذهنه فيما إذا كانت إيباجا ستتنعم ، فى حيِّه ، فى يوم من الأيام بمزايا الكهرباء ، التى صدر بحقها (نقلا عن

محاضرة التسليم والتسلم) تقرير إلى مركز الرئاسة الإقليمى على أن تكون جزءا من برنامج التنمية الخمسى . وخطر بباله للحظة أنه لم يحدد موعداً مع راعى الكنيسة . فلربما لا يكون موجوداً فى الكنيسة ، أو ربما يكون مشغولا بموعد آخر . الرجل الإنجليزى من عادته فى إنجلترا ألا يقوم بزيارة رسمية بدون تحديد موعد سابق . ولكن ، هو حاليا فى أفريقيا ، أفريقيا الخاصة به هو ، وليس فى إنجلترا ، فى هذه الأرض السعيدة ، تجد أبواب منزل المواطن مفتوحة لإخوانه المواطنين فى أى وقت طوال اليوم . يضاف إلى ذلك أن كرم المواطن الأفريقى الأصيل للجميع سواء أكانوا مواطنين أم غرباء ، فى أى ساعة من ساعات النهار . كما عرف على الفور أيضا أن رئيس الحى ترحب به كل منازل إيباجا - اللهم باستثناء منازل المجرمين والمتهربين من الضرائب .

سأل مرتين عن الطريق : سأل فى المرة الأولى كاتب مبيعات انتهز الفرصة لكى يثبت لمن هم حوله معرفته باللغة الإنجليزية بأن راح يستعمل الكلمات الطويلة وكذلك الجمل المتشابكة . وفى المرة الثانية ، كان مرشده تلميذا فرح عندما عرض عليه توصيلة مجانية إلى الكنيسة وبيت قسيس كنيسة القديس چون .

وبتوجيه من التلميذ وقفت السيارة خارج بيت القسيس راعى الكنيسة .

قال التلميذ : " هذا هو منزل راعى الكنيسة ، يا سيدى " .

وهنا نزل أكبان من السيارة وأبقى على بابها مفتوحاً كى ينزل كل من التلميذ والمنسق . وهنا كان قد تجمع حولهم جمع من الأطفال الفضوليين وصاح واحد واثنان من أفراد ذلك الجمع منادين باسم ذلك التلميذ المرشد . وهنا ابتسم التلميذ الحظيظ لهما ابتسامة تنم عن أهميته ، بينما كان يرتقى السلم المؤدى إلى باب منزل راعى الكنيسة . ولكن رئيس الحى لم يتبع مرشده فى ارتقاء السلم على الفور . وإنما تخلَّف قليلا ليتأمل مبنى الكنيسة الجديدة التى يجرى إنشاؤها . شاهد العقود الحجرية العظيمة والأعمدة الخرسانية الضخمة التى كانت تحمل تلك العقود . كما شاهد أيضا الإطار المصنوع من الخشب والسقالات المصنوعة من الخيزران . كما شاهد أيضا جمالونات الأسقف التى كان يجرى تجميعها على أرض الكنيسة ، كما تناهت إلى مسامعه أيضا الجلبة والضوضاء الصادرة عن النجارين هم وصبيانهم وهم يُجمِّعُون تلك الجمالونات إلى بعضها باستعمال المسامير . لم يكن أكبان خبيرا فى البناء أو الهندسة أو العمارة ، وإنما استطاع أن يلاحظ من بعد مجموعة من الأشياء التى لم تكن تسر الخاطر فى ذلك المبنى الجديد . وراح يتأمل ذلك الإيمان العظيم الذى هو بمثابة الأساس فى كل مشاريع بناء الكنائس ، الإيمان الذى جعل جماهير المصلين فى الكنائس يعجلون بالقيام بالمشروعات التى تتكلف آلافا عدة من الجنيهات ، قبل أن تتوفر لها حتى ولو مائة جنيه . الإيمان الذى جعلهم يركنون إلى العطايا السنوية التى يجنونها فى عيد الشكر ، ومبيعات الأسواق المصاحبة لذلك العيد ، فضلا عن الارتكان أيضا إلى عطايا

العام المقدمة من المؤمنين ، والارتكان أيضا إلى الجنيه الواحد أو الجنيهين اللذين يأتيان بين الحين والآخر من ولد مخلص أصاب خيرا فى إحدى المحطات التجارية البعيدة .

لم يكن راعى الكنيسة فى منزله ، وإنما وجد فيها خادمها . قال الخادم إن راعى الكنيسة لم يكن بعيدا وأن بوسعه أن يستدعيه من غرفة ملابس الكهنة والشمامسة التى كان يتناقش فيها مع اثنين من كبراء الكنيسة .

وبينما كان يودو أكبان ينتظر مجىء مضيفه من غرفة ملابس الكهنة والشمامسة ، أحس بالارتياح البالغ وهو يجلس فى غرفة جلوس المكتبه الخاصة بمنزل البعثة التبشيرية . وراح يتصفح الصور الموجودة فى التقويم الكنسى والتى كانت مثبتة بالمسامير على الجدار . وشاهد ، وجه نيافة أسقف المنطقة وهو ينظر إليه كما لو كان يلومه . وتحلق من حول الأسقف الكهنة وأكليروس الكنائس المختلفة التابعة للمطرانية . لم يكن يودو أكبان من رواد الكنيسة مع أنه تعلم فى إحدى مدارس الكنيسة فى الجزء الذى يعيش فيه من البلاد . كان لا يبالى تماما بكل ما يفعله أولئك الذين يقومون على أمر الكنائس . وطوال السنوات الأربع التى عمل خلالها كاتبا صغيرا فى أحد المكاتب الحكومية وذلك قبل حصوله على منحة حكومية للدراسة فى المملكة المتحدة – لم يكن أكبان قد تأثر بسلاح الحركة الوطنية الذى كان يدين أعمال التبشير الدائرة فى البلاد . وفى المملكة المتحدة حضر أكبان اجتماعات اتحاد الطلاب التى كان الوطنيون الناشئون : يقرعون فيها أطروحات طويلة ليثبتوا بها

أن بعثات التبشير الكنسية ليست سوى جيش متقدم من جيوش الإمبريالى البريطانى ، وأن المهمة الحقيقية لتلك البعثات إنما تتمثل فى التمهيد والإعداد الذهنى ، وتركيز أبصار وأذهان الأفارقة الذين دخلوا المسيحية على نعم وبركات مملكة السماء ، فى الوقت الذى نقل فيه الإمبريالى البريطانى كل الأشياء الجميلة هنا فى مملكة الأرض . وبالرغم من تأثير هذه الحركة الكبيرة على بعض زملائه الطلاب ، فإن يودو أكبان ظل معتدلا فى آرائه السياسية .

قال جوسياه Josiah فى أثناء دخوله غرفة جلوس المكتبة :" مساء الخير أيها الأخ ، وكان الله فى عونك ".

وقف أكبان ، ومشى ثلاث خطوات نحو مضيفه ، ومد له يده وهو يقول :" ؛ مساء الخير يا راعى الكنيسة .

" أنا آسف يا سيدى لأنى لم أحطك علما مسبقا بأنى قادم إليك اسمى يودو ـ أكبان ؛ وأنا رئيس الحى الجديد ".

ضغط راعى الكنيسة على يد زائره ضغطة توحى بالدفء الأخوى.

" مرحبا بك يا سيدى ، فى منزل قسيس راعى الكنيسة . هذا يا أخى ، شرف عظيم لكل من السيدة أوليا Olaiya ولى أنا شخصيا . تفضل بالجلوس ، على هذا الكرسى " ، قال هذه العبارة " إنه أجمل كرسى من بين الكراسى الثلاثة ، فى اتجاه الزائر ..." هذا الكرسى مكسور . تفضل يا سيدى بالجلوس وخذ راحتك " .

جلس يوبو أكبان . وأوحى بانطباع ينم عن ارتياحه . ثم تناول بعد ذلك علبة السجائر .

" يبدو أنك تدخن الغليون يا سيدى . لكن هل تأذن لى بأن أقدم لك سيجارة ؟ أنا متأكد من أنها سوف تعجبك".

" أنا لا أدخن السجائر يا أخى . وأنا راض عن الغليون وسعيد به . وأنا عندما أدخن الغليون ، يتضح تفكيرى ".

"إذاً ، هل تأذن لى بتدخين سيجارتى ؟ وأنا عندما أتحدث إلى أناس مهمين ، أحس أن تدخين السيجارة يجعل أفكارى تنساب انسياباً هينا لينا ".

" لابد أنها كانت ترغب فى لقاء زائر مهم مثلك يا سيدى . وبالرغم من أنها ليست هنا ، فإننى آمل أن تذوق طعم عصير البرتقال الذى تصنعه هى بيديها " .

وبعد مشروب البرتقال المنزلى الصنع الذى تظاهر أكبان بالتلذذ به قال : "أنا على يقين من أنك سوف تتفهم السبب الذى دفعنى إلى زيارتك بمناسبة أول زيارة أقوم بها لمدينة إيباجا . يجب أن تعلم أن تعيينى رئيسا للحى هو على سبيل الاختبار والتجربة . وأنا أود أن أبذل كل ما فى وسعى لإنجاح هذه التجربة ، وذلك من أجل صالح الرجل الأسود . وأنا أعلم أنه بدون التعاون والاسترشاد بتلك القلة القليلة من الأفارقة التى تجمع بين التعليم وكبر السن ، سوف لا تنجح التجربة . فهل تسمح لى بزيارتك بين الحين والآخر طلبا للنصيحة ؟ " .

لم يفعل الرجل الأكبر سنا شيئًا سوى أن أومأ برأسه ؛ إذ كان من الواضح أنه قد غلبه تواضع الشاب الصغير ورغبته فى التعاون معه . هنا واصل أكبان حديثه قائلاً :

" أعلم إنك فى إيباجا من سنوات كثيرة . وأعلم أيضًا إنك تعرف الناس الذين يترددون على الكنيسة وأولئك الذين لا يترددون عليها أيضا . فضلا عن معرفتك أيضا بتاريخ هؤلاء الناس هم وتقاليدهم وعاداتهم، ومن بين المشكلات الخاصة التى تواجه الإدارة حاليا مشكلة النزاع الدائر حاليا حول الأرض بين أهل إيباجا وأهل أبينو Apeno . وأنا على يقين أيضا أن من بين كبار الكنيسة أناسًا بلغوا من العمر حدا يسمح لهم بأن يرووا تاريخا دقيقا وصادقا لتلك الأرض المتنازع عليها، وهم إذا ما أعطوك مثل هذه الرواية فسوف تكون رواية دقيقة وصادقة . وأنا إذا ما طلبت منهم مثل هذه المعلومات فسوف يستثير ذلك شكوكهم فى دوافعى من قبل هذا الطلب وبالتالى لن يعطونى معلومات دقيقة . وأنا على يقين من أنك على استعداد لمعاونة الإدارة ومساعدتها فى ذلك الأمر . وغنى عن القول ، يا سيدى ، أن المعلومات التى سوف تقدمها فى هذا الصدد سوف تعامل بأقصى قدر من الثقة " .

صمت جوسيا Josiah أوليا Olaiya برهة ، بعد أن أنهى زائره حديثه . وراح يسرح بفكره وهو يدخن ثم نهض واقفا على قدميه وبدأ يقطع مكتبته جيئة وذهابا .

"سيدى ، أنا لا أكاد أصدق ذلك ، وأنا سعيد لأنى طال عمرى إلى أن رأيت هذا اليوم ، الذى أصبح فيه رجل له مثل لونى رئيسا للحى .

الشكر لله رب الجنود والقوات الذى أعطانى العمر كى أرى هذا اليوم ، الذى وجدتنى ، أنا راعى الكنيسة البسيط ، أحظى بزيارة أول رئيس حى من أفارقة هذه الأرض - أنا جوسيا أوليا ، الذى لا يحمل درجة جامعية ولست طبيبا أو محاميا .

وفيما يتعلق بتاريخ أرض إجبودودو Igobodudu (الأرض المتنازع عليها) ، فسوف أجد من بين كبار الكنيسة رجلا يحكى تلك القضية ويرويها لى . وسوف أدونها لك بعد ذلك . هذه الأرض التى تتحدث عنها لا يوجد أى شىء عن ذلك التاريخ ليس معروفا للرئيس مومو . والرئيس مومو ، يا أخى ، واحد من الرجال الذين يتعين عليك التعرف إليهم " .

وبعد حوار عام دام دقائق معدودات . استأذن يودو أكبان فى الانصراف وتمنى لمضيفه ليلة سعيدة .

كان على يودو أكبان وهو فى طريق عودته إلى الاستراحة أن يتوقف بسيارته فى الشارع الرئيسى كى يفسح الطريق أمام السيارة الكبيرة التى أنبأ عن اقترابها فيض كبير من الصياح والزَّمْر . لاحظ أكبان أن الزمر كانت له نغمة محددة إذ كان عبارة عن زمرتين طويلتين متبوعتين بثلاثة زمرات قصيرة . هذا الزمر هو والصراخ أولوو Olowo، الذى كان يسبق السيارة هما اللذان صرفا الأطفال عن ألعابهم ، تاركين الشرفة ليشاركوا فى الصراخ أولوو Olowo .

تساءل أكبان : " لماذا كل ذلك ؟ " موجها كلامه إلى منسقه بينما كانت السيارة تقترب منهم ببطء .

" إنه أولوو Olowo، الرجل الثرى " .

" تقول الرجل الثرى " قالها أكبان مغمغما وهو ينظر إلى صالون السيارة الأولدزموبيل Oldsmobil، آخر موديل ، وهى تقترب منه وتتركه فى المكان الذى كان يقف فيه ، وكان الراكب الوحيد فى الكرسى الخلفى من تلك السيارة يلوح له بيده بطريقة تنم عن الاحترام والتقدير .

ولم يخيب أكبان ظن منسقه الذى انتهز الفرصة التى طرح عليه فيها رئيس الحى السؤال ، وراح يحكى له المزيد والمزيد عن أولووكيرى Olowokere . كان أولووكيرى أثرى أثرياء هذه البلاد . كان مليونيرا . وقد التحق مؤخرا بنادى أصحاب الملايين فى أثناء آخر زيارة قام بها إلى أبينو . لقد دفع مليون جنيه ثمنا لتلك السيارة ، التى كانت أطول سيارة فى الدنيا كلها .لم يكن مسموحا لأحد بشراء تلك السيارة سوى أصحاب الملايين ، ولا يركبها إلا هم ... كان أولوو Olowo ثريا جدا بحق . كان بوسعه أن يذهب إلى بلاد الرجل الأبيض ، لكن الذى منعه من ذلك هو النزاع على رئاسة أوباندا Obanda . أما الآن وبعد أن وقع الحاكم أوراق اعتماده رئيسا لأوباندا ، فسوف يذهب إلى بريطانيا على وجه السرعة .

الفصل الخامس

أمضى يودو أكبان ليلة ليلاء ؛ نظراً لأن ضوء القمر كان يسطع داخل الاستراحة من خلال النوافذ التى لم تكن تغطيها الستائر ، ونظراً أيضًا للنقيق الذى كان يصدر عن قبيلة من الضفادع التى كانت فى المجرى المائى القريب من الاستراحة ، ونظراً أيضًا للصوت الذى كان يصدر عن الخفير الذى يحرس الاستراحة فى أثناء الليل ، والذى كان ينبعث بين الحين والآخر ليثبت كفاءته وكفايته فى عمله أمام رئيس الحى الجديد .

كان أكبان على وشك أن يروح فى النوم ، بالرغم من الصياح الذى كان يدوى منبعثًا من كل الديكة التى كانت فى إيباجا ، وفجأة صحا من جديد إثر ضوء كان ينبعث داخلاً الغرفة ، قادمًا من مصباحى إحدى السيارات . لم يقف الأمر عند هذا الحد ، نظراً لأن الضجيج الصادر عن اقتراب تلك السيارة أيقظه تماما وطرد النوم من عينيه . ومرت السيارة .

كان بوسع رئيس الحى أن يرفض مقابلة أى إنسان فى تلك اللحظة غير المناسبة من صباح ذلك اليوم ، ولكنه آثر أن لا يفعل ذلك

فى هذه المرة بالذات ، والسبب فى ذلك ، أن الزائر ، كائنا من كان ، لابد من أن يكون قد شاهده وهو يندفع نازلا من الفراش ، داخل الاستراحة . وعلى كل حال ، فقد استغل وقته فى ارتداء ملابسه قبل أن يبدأ التجوال فى غرفة الجلوس .

نهض رجلان كانا فى غرفة الجلوس عندما شاهدا يودو أكبان يقترب منهما . وقام أحدهما بتقديم نفسه هو وصديقه إلى أكبان فقال :

" صبحك الله بالخير يا رئيس الحى . أنا بنيامين بنيامين . وهذا هو أولووكيرى Olowokere، المدير الإدارى فى شركة أولووكيرى للنقل " .

" صبحك الله بالخير ، ياسيد بنيامين بنيامين "، قال يودو أكبان هذه العبارة وهو يمد يده مصافحًا بنيامين بنيامين ثم أردف قائلا : " صبحك الله بالخير أيضًا ، يا سيد "، ثم صافح الزائر الاخر ." لقد جئت فى ساعة مبكرة تماما ، بالتالى فقد جئت لأمر مهم جدا بلا أدنى شك " .

" إنها عادة آبائنا ، يا رئيس الحى ، أن يتناولوا الأمور المهمة الخاصة بالدولة عند طلوع الفجر . ونحن فى بلادنا نسوى منازعاتنا مع طلوع الفجر . ومواعيد الاجتماعات الأسرية المهمة تكون أيضًا عند طلوع الفجر ".

رد أكبان وقد ثار بعض الشىء للطريقة التى كان الرجل يتكلم بها قائلاً :" أنا أفهم ذلك " .

"ولقاؤنا مع أول رئيس حى أفريقى ، وكذلك ترحيبنا به فى مدينة إيباجا القديمة - لم لا ، إنه لأمر مهم ومناسبة مهمة تستحق أن تتم فى الوقت الذى تصيح فيه الديكة ، أى قبل أن ينطق الفم بأى كلام آخر . وأنا بنفسى ، حضرت هنا نيابة عن الأوبا Oba وعن كبراء البلد ونيابة أيضًا عن أهل إيباجا . وبصحبة أثرى أثرياء مواطنى إيباجا وأكثرهم استنارة ، جئنا لنقدم لك يا رئيس الحى ، يدنا اليمنى ، يد الصداقة والتعاون" ، واستطرد يقول : " ونحن بوصفنا أفارقة تربط بيننا قضية واحدة مشتركة ، ألا وهى طرد الرجل الأبيض من هذه الأرض ، لابد أن نتعاون جميعًا فى هذه المغامرة والمخاطرة المشتركة . وأنت يا رئيس الحى يجب أن تثق بى ، ويتعين على أن أثق بك أيضًا . والثقة تولد الثقة ، ها، ها ! " .

قال أكبان معبرًا عن خيبة أمله من خواء الهدف من الزيارة : " أشكرك ، وما الذى بوسعى تقديمه لك " ؟ طرح أكبان ذلك السؤال بينما كان يصرف انتباهه عن بنيامين بنيامين المزهو بنفسه .

" السيد أولووكيرى لايتكلم الإنجليزية ، ومع ذلك فهو واحد من المواطنين المستنيرين جدا ، ولديه كثير من الأفكار التقدمية . والذى لا شك فيه أنك سمعت أنه هو الخيار الذى وافق عليه أهل إيباجا . كلهم يتغنون بفضائل هذا الرجل ويمتدحونه .

وهو لم يأت ، بطبيعة الحال ، إلى هنا اليوم دفاعًا عن مسألة الرئاسة أو توسلا لها . لقد جاء معى اليوم لمجرد الترحيب بأول رئيس للحى من بين الأفارقة وتقديم فروض الطاعة والاحترام . والذى لا شك

فيه أنك تود أيضًا تبادل الاحترام الذى قدم لك .... ستقف على كل ذلك حالاً " – وهنا أخرج من جيب الصديرى مظروفًا قدمه إلى أكبان – " هذه هى بعض المعلومات المفيدة عن رئاسة الأوبانلا والأمور المتصله بها .

" ياسيد بنيامين بنيامين ، أنا أقدر لك رغبتك فى المساعدة ، ويتعين على أن أشكرك على هذا . ولكن واقع الأمر أن المستندات التى من هذا القبيل يتعين تقديمها إلى المكتب" .

" إذا لم تأخذ هذه الظروف بعين الاعتبار فسوف يعد السيد أولووكبرى ذلك إهانة له هو شخصيا . وأنا أرى أنك وأنا سوف تكون علاقتنا على ما يرام إذا ما تجاوزنا مرحلة الشكليات . وقبل كل شىء ، لا يجب أن يعرف كبير الكتبة فى مكتبك أى شىء مما يدور بينى وبينك . وأظن أننا يتعين علينا أن نتركك حتى تستعد للنزول إلى مكتبك . صبحك الله بالخير ، نراك فى المكتب يا رئيس الحى " .

راح يودو أكبان يقلب الأمر مرارًا وتكرارًا طوال فترة استعداده للنزول إلى مكتبه . وتوصل مرارا وتكرارا أيضا إلى استنتاج مفاده أنه بدأ بداية غير موفقة مع بنيامين بنيامين ، وراح يلوم نفسه بعد ذلك على ما فعله . لقد كان رئيسًا للحى ، ويتعين عليه أن يضفى على نفسه شيئا من النفوذ . أدرك أنه أخطأ عندما التقى أولئك الذين يفدون إلى مكتبه دون سابق موعد . وفى مثل هذه الساعة غير المناسبة أيضًا . ومما زاد الطين بلة ، أن بنيامين بنيامين بلغ من الجرأة حدا جعله يسلم له

شخصياً وفى الاستراحة وثيقة رسمية كان ينبغى أن تمر من خلال القنوات البيروقراطية المعتادة فى المكتب .

وبينما كان يودو أكبان يعبر بالصمت عن استيائه من فشل المقابلة ، كان كل من بنيامبن بنيامين وأولووكيرى سعيدين بنجاح المهمة التى قاما بها إلى رئيس لحى . إذ كانا يحتسيان الويسكى فى غرفة الجلوس الموجودة فى الطابق الأول من مبنى شركة النقل .

" اسمع يا بنجا Benja أنا أعترف لك بأنى كان يتملكنى الخوف ونحن نتجه بالسيارة نحو أعلى التل . فقد ساءلت نفسى : لو افترضنا أنه سيمسك بنا ، فماذا سنفعل ؟ ولكنك جرىء بحق يا بنجا " .

" يجب أن تعلم ، أننا لا يجب أن نخاف أولئك الناس أو نخشاهم . وأنت تعرف أيضاً كيف كنت أتعامل مع رئيس الحى الأبيض عندما كان هنا . إنه مجرد خادم للناس . ولابد من أن يقول الناس له ذلك بصفة دائمة " .

رد أولو Olowo الذى كان يتيه إعجاباً بذلك الرجل الذى سيضع رئيس الحى فى مكانه قائلاً : " يا لك من بنيامين" .

يتجرع بنيامين بنيامين شيئاً من الويسكى ويقول مؤكداً : " أنت ، ما إن يعرف أولئك الناس أنك لم تقل الهراء أو الكلام الفارغ ، وأنهم يتعين عليهم قبولك نداً لهم ، ستجد أن كبار هؤلاء الموظفين المدنيين بدءا بالرئيس المقيم Resident وانتهاء برئيس الحى الجديد سوف يحترمونك ويجلونك " .

" كنت أخشى أن يستدعى لنا الشرطة بعد أن أعطيته النقود . ليس هناك شيء لا تستطيع النقود تحقيقه ".

" أبلغته أن النقود للشراب . كما أخبرته أيضاً أن لا يفتح المظروف إلا بعد أن يغادر المكان . كما كلفنى أيضا بأن أشكرك على ثمار الكولا ".

" يا لك من بنجا ! أنت تعرف كيف تصرف الأمور . أظن أن الخمسين جنيها كلها كانت فى المظروف .

وهل تظن أنه سوف يؤيد ترشيحى بعد ذلك ؟ سوف يكتب أشياء طيبة عن الرئيس المقيم ؟ وهل تظن أنه لن يقول عنى أننى لم أحصل على أى قدر من التعليم المدرسى ؟ وهل تعتقد يا بنجا أن الخمسين جنيها مبلغًا كافيا ، أم أنى ينبغى أن أعطيك المزيد لتعطيه لرئيس الحى "؟ ثم نهض قبل أن يستمع إلى رد بنجا واتجه صوب درج فى إحدى الطاولات المجاورة وأخرج منه رزمة من ورق البنكنوت الأحمر . وأخذ منها عشرين ورقة ثم أعطى الباقى لبنيامين بنيامين " . وهذه ثلاثون جنيها أخرى منها خمسة وعشرين جنيها لرئيس الحى ، وخمسة جنيهات لك أنت شخصيا ، يا بنجا . هذا نظير أتعابك ، وعندما ينتهى الأمر بكامله فسوف تحصل على مكافأتك كاملة ... اسمعنى يا بنجا ، لماذا يمتلك الإنسان المال مادام لا يستطيع إنفاقه على شراء كل ما يدور فى خاطره ؟ لدى المنازل . ولدى أيضا النساء ، كما أن لدى أيضا الأطفال . عندى أيضا سبع سيارات نقل وسيارتان ... الشيء الوحيد

الذى لم أحققه بعد فى هذه الدنيا هو أن أصبح رئيسا . مهما كلفنى ذلك يا بنجا ، فسوف يتعين أن أكون أنا الأوبنالا ، أى الرجل الثانى بعد الأوبا Oba (الملك) نفسه " .

رد عليه بنيامين بنيامين مؤكدا :" ستكون ذلك ، يا رئيسى . ومادمت أنا مستشاراً سياسيًا للأوبا Oba ولأهل إيباجا ، ستظل أنت أيضا الأوبنالا ".

غادر بنيامين بنيامين منزل أولو olowo مترنحا ، بفعل الويسكى وراضيا تماما عن نفسه ، راضيا لأنه كان يعلم أن أولو olowo لم يكن يعرف أن المظروف لم يكن يحتوى سوى على التماس يتعلق بالرئاسة وليس فيه أى شىء من النقود على الإطلاق .

الفصل السادس

كان أوبا Oba إيباجا ورؤساؤه ، فى دار المحكمة ، يلتقون رئيس الحى الجديد بناء على أمر منه . كان الأوبا يجلس على كرسى الرئاسة الموضوع فوق حلبة مرتفعة ، فى حين كان يجلس عن يمينه فى كرسى آخر من كراسى الرئاسة رئيس الحى الجديد . أما الرؤساء فكانوا يجلسون حسب أقدميتهم ، على ستة كراس كانت موضوعة على جانبى كل من الأوبا ورئيس الحى . كان سعاة المحكمة ومراسلوها يقفون أمام الحلبة ، وهم يحملون مراوح الرؤساء ومظلاتهم .

كان بنيامين بنيامين ، المستشار السياسى الفريد لكل من الأوبا ورؤساء إيباجا يجلس فى مكان مرموق فى المقدمة ولكن أسفل الحلبة ، فى حين كانت المقاعد الموجودة فى القسم الرئيسى من المبنى ، يجلس عليها أناس جاءوا ليشاهدوا رئيس الحى الأسود الجديد ويستمعوا إلى فعاليات اجتماعه مع كل من الأوبا والرؤساء .

افتتح أحدث الرؤساء وأصغرهم سنا تلك الفعاليات بالدعاء بطول العمر للأوبا . ثم أشار بعد ذلك إلى واحد من الصبية الذين يحملون المراوح والمظلات ويقفون أمام الحلبة . وصعد الصبى إلى أعلى الحلبة ،

وهو يحمل قرعة يابسة تستعمل وعاء ، كانت مغطاة ، ثم سلمها إلى الرئيس . وفتح ذلك الرئيس الحديث تلك القرعة اليابسة وأخرج منها ثمرتين كبيرتين من ثمار الكولا . ثم قدم هاتين الثمرتين وهو جاث على ركبتيه إلى الأوبا (الملك) ونظر الأوبا لحظة إلى هاتين الثمرتين . ثم قال بعد ذلك : " أبتهل إلى روح إجوبودود Igobodudu مؤسس إيباجا أن تنضم إلينا وتكون معنا . أنا أدعو والدى هو وأسلافه الذين جلسوا على عرش إيباجا أن يشاركوا معنا فى هذه الفعاليات . وإذا كان من بيننا أحد هنا له طوية شريرة ، فلعله يشرق ويزدرد ريقه بعد المشاركة فى هاتين الثمرتين من ثمار الكولا . ولتظل روحه هائمة ملعونة وهى تحوم حول الأرض . ثم قسم الأوبا الثمرتين إلى أقسام صغيرة ، اختار منها قسما لنفسه ، ثم دعا يودو أكبان ليختار أو ينتقى لنفسه قسمًا آخر ، ثم سلم بقية الأقسام للرئيس الحديث ليوزعها على بقية الزملاء ، وراح الأوبا يمضغ القطعة التى أخذها لنفسه بحماس ظاهر .

وبعد الانتهاء من طقس ثمار الكولا قال الأوبا : " يا كبراء إيباجا ، أود منكم أن تنصتوا إلى كلام الرجل الأبيض الأسود . أريدكم أن تصيخوا السمع إليه . فقد أرسل لى رسالة مفادها أنه يود الحديث معى هنا فى هذا الصباح ومن ثم فأنا أود منكم الاستماع إلى ما يقول ".

نهض رئيس الحى كى يتحدث إلى المجتمعين وقال :

" أحييك ، أيها الصديق الطيب ، أوبا (ملك) إيباجا . وأحييكم أنتم أيضا يا رؤساء إيباجا . كما أحييكم أيضا ، أنتم أيها السادة الحضور "، قال هذه العبارة وهو ينظر فى اتجاه بنيامين بنيامين . لم يفهم رئيس الحى الجديد مبررات وجود بنيامين بنيامين فى ذلك الاجتماع . ولكن نظرا لوجود آخرين ضمن هيئة المحكمة لم يكونوا من بين الرؤساء ، فقد آثر ألا يثير القلاقل والمتاعب إذا ما طلب من بنيامين بنيامين مغادرة مكان الاجتماع . يضاف إلى ذلك ، أن بنيامين بنيامين كان من حاشية الأوبا ومن المقربين إليه ، ومن الذين يحظون أيضا بثقة الأوبا . وواصل رئيس الحى الجديد حديثه بعد أن أشار إليه كاتب المجلس بما يوحى أنه قد أنهى ترجمة التحية إلى اللهجة المحلية .

" أنا سعيد بهذه الفرصة التى هيأت لى الالتقاء بكم هنا فى مدينتكم إيباجا . وقد أتيحت لى أيضًا فرصة التقاء بعض منكم أيها الرؤساء فى مركز الرئاسة فى أبينو Apeno . ولكن نظرا لأن هذه هى المناسبة الأولى للتحدث إليكم كهيئة فى بلدكم فأنا يسعدنى أن أقول : " تحياتى لكم ". وأنا على يقين أننا جميعا سوف نتعاون فى إدارة الحى بالحكمة والعدل ، وذلك سعياً إلى رفاهة أهل إيباجا وسعادتهم " .

وبعد أن تناول رئيس الحى الجديد بعض الموضوعات التى لا ضرر منها ولا ضرار قال : " يتعين على أن أذكركم ، يا معشر الأوباوات Obas والرؤساء ، بأنكم أقسمتم على تطبيق القانون الوطنى والأعراف الوطنية تطبيقا عادلا . وقد تصفحت سجلات بعض القضايا التى استؤنفت أمامى محولة من محكمتكم الوطنية . واتضح لى تمامًا أن

بعضا من تلك القضايا لم تعمل العدالة فيها إعمالا تاما . وأنا على يقين من أنكم ، أيها الرؤساء ، قد أخفقتم فى دراسة كل من الأدلة التى كانت أمامكم قبل أن تتوصلوا إلى القرارات التى اتخذتموها . وقد عز علىَّ فى قضية أو قضيتين فهم الأسباب التى جعلتكم تعكسون الأحكام التى كانت تبدو عادلة تماما من واقع الأدلة المقدمة للمحكمة ، وذلك فى الوقت الذى لم يتيسر فيه أى دليل جديد يحتم عليكم تغيير القرار . الزمن الذى نعيشه زمن متغير ، وأنتم يا معشر الأوباوات والرؤساء ، يجب أن تعلموا وتتعلموا أيضا التغير مع الزمن ومسايرته . الأشياء التى أقبل عليها الرؤساء وفعلوها فى الماضى ، دون اعتراض عليها من أهل إيباجا ، هذه الأشياء لم تعد على ما يرام ، ولن يقبلها الجيل الجديد من أهل إيباجا . وأنا أركز هنا ، بصفة خاصة ، على ضرورة تغيير أفكاركم عن الإدارة والعدالة تغييرا كاملاً . ولابد من إعطاء العدل للطرف الذى يكون الحق فى جانبه . أما مسألة القوة فى جانب من فأمر لا يهم ولا يعول عليه ..." .

وهنا توقف رئيس الحى الجديد برهة من الوقت ، جفف فيها عرق جبهته ثم أردف قائلا :

" يتعين علىَّ أن أعود ثانية إلى مسألة تقدير الضرائب وتحصيلها . كنت أتمنى ألا أقول ذلك الذى يتعين علىَّ قوله فى الظروف الراهنة ، ولكنى أجد لزاما علىَّ أن أعبر عن رفضى البات وعدم رضاى تماما عن الطريقة التى عبرتم بها عن كل ما يتعلق بمسألة تقدير الضرائب وتحصيلها هذا العام . وأنا على قناعة تامة بأن كثيراً من الالتماسات

التى تقدمتم بها لم تكن قائمة على أى أساس . وأرى من واجبى أن أذكركم ، أيها الرؤساء ، بواجبكم فى التمييز بين المسائل الصعبة حقيقة والمسائل التى تبدو صعبة ، فكل ما يتعلق بتقدير الضرائب وكل ما يتعلق بالالتماسات الخاصة بها يجب أن يكون أمينا وصادقا من ناحية معالجة الرؤساء لواجباتهم والقرارات التى يتخذونها بدون خوف أو محاباة ، وأنا يؤسفنى أن أقول ، إننى بعد أن درست الالتماسات المقدمة بشأن الضرائب لدى الكاتب ، وجدت لزاما على أن أنحى جانبا كل التقديرات التى راجعها رؤساؤكم ، ورأيت أن أبقى على التقديرات الأصلية بدلا من تلك التى جرى تنقيتها ومراجعتها ". ثم توقف رئيس الحى برهة من الوقت كيما يتمكن كاتب المجلس من تتبعه فى الترجمة . ثم استأنف حديثه قائلاً : " وإذا كان لابد من أن أقول شيئًا : فإن أناسا كثيرين جرى تقدير الضرائب عليهم بأقل مما يجب .

" الأثرياء من الناس يتعين عليهم أن يدفعوا ضرائب كبيرة من أجل تنمية بلدانهم ومن أجل توفير المرافق الاجتماعية للمجتمع الذى يعيشون فيه . يضاف إلى ذلك ، أن كل إنسان ، سواء أكان غنيا أم فقيراً ، أو متوسط الدخل ، يتعين عليهم جميعا أن يدفعوا الضرائب على قدر مواردهم . مسألة تهرب أى إنسان من الضرئب تشير إلى إنعدام الإحساس بالمسئولية المدنية . هؤلاء الذين يريدون التقدم والمرافق يتعين عليهم أن يدفعوا لها ثمنا . وأنتم لا يمكن أن تطالبوا بالتقدم والاستقلال بصوت واحد وترفضون فى الوقت ذاته تحمل المسئوليات التى تصاحب التقدم والاستقلال . ويجب أن تعلموا أن حكم

الرجل الأبيض القديم آخذ فى التلاشى بصورة متدرجة كيما يحل محله الحكم الذاتى . ونحن نرى الآن ونفعل أشياءً كثيرة ترمز إلى تغير منظومة كثير من الأشياء . ولا يجب أن نقول : إن الإفريقى غير قادر على حكم نفسه نظرًا لأنه ليس كفؤًا لذلك أو لأن المجتمع الذى يعيش فيه فاسد من أساسه .

أحييكم أيها الأوبا ويا أيها الرؤساء ، وهأ نذا أعيد لكم هذه المسائل كيما تنظروا فيها ثانية بمزيد من الاهتمام " . ثم يجلس رئيس الحى بعد ذلك مجهداً ، ويروح يجفف حبات العرق من فوق جبهته .

كان الأوبا هو والرؤساء يستمعون فى صمت إلى حديث رئيس الحى . واستمر الصمت قليلا بعد انتهاء رئيس الحى من كلامه ثم جلوسه . وهنا نظر الأوبا العجوز إلى رؤسائه وقال : " يا كبار إيباجا ، هذا الكلام الذى وجهه ذلك الرجل الأسود الأبيض خطير جدا . ترى ماذا يجب أن نفعله فيما يتعلق بهذا الكلام ؟ وما الرد الذى يتعين علينا أن نعطيه إياه ، يا كبار إيباجا ؟ ". قال الأوبا هذه العبارة وهو يبدو عليه التعب والإعياء ، ثم أردف قائلا : " خبرونى بذلك الذى يدور فى أذهانكم ".

قال أحد الرؤساء : " سيدى صاحب السيادة ، ويا سيد إيباجا . هذا الرجل الذى تحدث إلينا منذ برهة قليلة ، هذا الرجل الذى قال كل هذه الأشياء – هذا الرجل ليس إفريقيًّا على الإطلاق . هو رجل أبيض بكل تأكيد . يجب أن نحرص وألا يخدعنا لون بشرته . ألم تلاحظ تعبيرات وجهه ؟ " . طرح الرئيس هذا السؤال وهو ينظر إلى رئيس الحى، وأردف قائلا : " أقول لك ، إنه ليس إفريقيًّا على الإطلاق " .

وتكلم رئيس آخر مبدياً أسفه : " إنه ليس واحداً من قبيلتنا . ونحن لا نفهم لغته . وهو أيضا لا يفهم لغتنا . إذن ، كيف له بالنظر فى الأمور التى من هذا القبيل مثلنا " ؟

وهنا تعجب يودو أكبان مندهشًا عن السبب الذى جعل الكاتب يتوقف عن الترجمة . وهنا تحدث أحد الرؤساء إلى الكاتب قائلا : " أرجو أن تساعدنى على أن ألتمس من الرجل الأسود الأبيض ألا يغير قرارات لجنة تقدير الضرائب ، قل له إننى رجل عجوز ومن ثم فإن مبلغ السبعة عشر شلنا وست بنسات التى كتبها أمام اسمى أول مرة لابد من أن تلغى ؛ لأننى رجل عجوز كما ترى ، قل للرجل الأسود الأبيض إننى لم أعد أقوى على العمل فى المزرعة مثلما كنت من قبل" .

قال الأوبا : " يا كبار إيباجا ، ما الذى ينبغى أن نفعله ؟ هل ندفع ذلك الذى فُرِض علينا فى الأساس ؟ أم هل يتعين علينا أن نلتمس من الرجل الأسود الأبيض أن يكون رحيما بنا ؟ يا كبار إيباجا ، نحن كلنا موجودون هنا ، والرجل الأسود الأبيض موجود هنا أيضًا . كما أن روح إجبودود تحوم حولنا كما أنها بيننا أيضًا . ودعونا نقول له ذلك الذى يدور حاليًا فى أذهانكم " .

" أنا ليس عندى نقود حتى أدفع . يجب أن نتقدم بالتماس إلى الرجل الأسود الأبيض " . نهض الرئيس مومو ليتكلم فقال : " سأقول ما يدور فى ذهنى بمنتهى الصراحة . وسوف أتحدث باعتبارى واحداً من أهل إيباجا ، وباعتبارى رئيسًا من رؤسائها . مليكى وسيدى ، أنت ورؤساؤك تثيرون انتباهى . لماذا نتكلم كلنا كما لو كنا نساءً أو أطفالاً ؟

لماذا نخاف ذلك الشاب الصغير ، الذى يدعى رئيس الحى ؟ ألم تخفض تقديرات الضرائب ، فى عهد رؤساء الأحياء البيض فى الماضى" ؟

ونظر الرجل فى وجوه الموجودين حوله وقرأ فيها التصميم والإدانة . ثم استطرد قائلا : " من فى إيباجا لا يعرف أن التقدير الأول يكون مرتفعًا دومًا ؟ وعندما كتب الكاتب ثلاثة جنيهات أمام اسم كل واحد منكم ، ألم تذهبوا وتتقدموا بالتماسات إلى الرؤساء ، ألم تذهبوا أيضا لمقابلة الكاتب فى منزله ؟ وأنتم عندما تفعلون ذلك ، ألا يرحمونكم ، ألم يطلبوا منكم دفع خمسة عشر شلنا بدلا من الجنيهات الثلاثة الأصلية . وأنتم بعد الكولا لكل من الأوبا والرؤساء والكاتب أيضا ، سوف تدفعون مبلغًا أقل من الجنيهات الثلاثة الأصلية التى دونها الكاتب أمام كل اسم من أسمائكم . ترتب على ذلك أن كل واحد كان سعيدا - أنتم أيها الأوبا وأيها الرؤساء - أليس الكاتب هو الآخر سعيدا" ؟ ثم نظر إلى ذلك المحترم الذى كان يشعر بالحرج وهو يدون ذلك الكلام الفارغ على صفحة الورق الموضوعة أمامه .

"يتعين علينا دفع ضرائب قهرية ، والسبب فى ذلك أن رئيس الحى رجل أسود" .

"ولكنى أحذركم أن ذلك الرجل الذى تحدث إلينا منذ فترة وجيزة لا يعدو أن يكون رجلا أسود البشرة ليس إلا . لا يجب أن ننخدع بمثل هذه البشرة . كما يتعين علينا عدم الوقوع فى الخطأ الذى مفاده أن هذا الرجل واحد منا ".

استأنف الرئيس مومو كلامه وهو يعبر بيديه وإشاراته عن احتقاره لكلام رئيس الحى فقال : " بالقطع ، هو ليس واحداً منا . لو كان والده واحداً منا ، وموجوداً بيننا اليوم ، لأعطى مشاكلنا المزيد من الاهتمام " .

قال الأوبا وقد اعتراه القلق : " أرجوكم ، أن تصرحوا بما يدور فى دخائلكم . ولكن فى كل ما تفعلونه أرجوكم ألا تسيئوا إلى والد الرجل الأسود الأبيض . إذ ليس من الصواب إقحام والده فى هذا الشأن " .

زاد فضول يودو أكبان زيادة كبيرة لمعرفة ذلك الذى يقولونه كله ، إذ كان حتى تلك اللحظة يحافظ على الوقار المنتظر من وظيفته . غير أن الطريقة التى تحدث بها الرئيس مومو وكذلك الطريقة التى كان يشير بها إلى يودو مستخدما فى ذلك يديه ، جعلت الأخير يطلب من الكاتب أن يترجم له ذلك الذى كان يقوله الرئيس .

ارتفع كاتب المجلس إلى مستوى المناسبة . وقال إن الرئيس كان يتحدث عن أن الموضوع بلغ من الأهمية حداً وجد المجتمعون أنفسهم معه عاجزين عن اتخاذ قرار حكيم على الفور ، وبخاصة إذا ما بقى رئيس الحى بينهم .

" إذن يتعين علىَّ هنا أن أترككم ، أيها الأوبا وأيها الرؤساء ، حتى يتسنى لكم مواصلة كلامكم . وأنت يا سيد جونسون ، لا تنس أن تكتب

لى عن النتيجة التى وصلت إليها مناقشاتهم ". صافح يودو أكبان الأوبا ، الذى فتح فاه عندما شاهد رئيس الحى يجمع أوراقه ويخرج متباهيا من مكان الاجتماع .

كان الرئيس مومو أول من تكلم بعد خروج رئيس الحى من مكان الاجتماع . وأبدى ملاحظة مفادها : " إن طريقة مغادرته لمكان الاجتماع على وجه السرعة توحى بأنه لا يكن احتراما لأى أحد منا" .

قال الأوبا : " لقد حيانى . لقد صافحنى . ولكن ، ما الذى سنفعله يا بنجا بنجا ؟ ".

كان غريبا من بنيامين بنيامين أن ينتظرر إلى أن يعطى الكلمة ، قبل المشاركة فى نقاش من هذا النوع . ولكنه راق له اليوم أن يترك الأوبا هو والرؤساء يقعون فى حيص بيص ، ويجدوا أنفسهم بلا حول أو طول ، وأنهم بحاجة ماسة إلى أن يطلبوا منه حلا لمشكلتهم . ويرتمى بنيامين بنيامين ساجداً أمام الأوبا محييا إياه بالتحية المعتادة . ثم نهض من سجوده وقال : " هناك حكمة عظيمة وراء الصلاة القديمة - أتمنى ألا يحتاج المجتمع إلى الكبار . وأتمنى ألا يحتاج مجتمعنا هنا فى إيباجا إلى حكمة ومعايير الرئيس مومو . وأنا أقول له أحسنت فيما فعلت ...

وأنا فى هذه المرة ، وذلك على العكس من المرات السابقة ، لست نادما على قرار مجيئى وجلوسى معكم أيها الكبار فى هذه العملية المعقدة فى إرشاد سفينة الدولة فى ظل الظروف الحديثة .

وأرى من واجبى أن أوضح لكم ، يا سيدى ، حقوقك على مسئول من مسئولى الإدارة ، سواء أكان أبيض أم أسود ، وبخاصة إذا ما أراد مثل هذا المسئول التقليل من سلطتك على رعاياك . والقانون الوطنى هو والعرف والتقاليد الوطنية أيضًا يعطونك أنت ورؤساءك السلطه الكاملة على رعاياك . ويودو أكبان إنما يتدخل بما عمله فى ذلك القانون الوطنى والأعراف والتقاليد الوطنية . وهذا يتعارض مع اتفاقية أو إن شئت فقل : معاهدة الصداقة بين مملكة إيباجا القديمة والمملكة البريطانية . وتلك أشياء لا يعرفها يودو ، ولابد من لفت انتباهه إليها . وأنا أكتب رسالة إلى الرئيس المقيم Resident اليوم كيما يعطى يودو أكبان مزيدًا من المحاضرات عن مثل هذه الأمور ... أما فيما يتعلق بمسألة الضرائب ، فأنتم الذين تعيشون هنا دومًا ، وأنتم الذين تعرفون شعبكم وأهليكم ، كما تعرفون أيضًا ذلك الذى يقدرون على دفعه ، أما رئيس الحى غير الخبير وغير المحنك فلا شأن له بهذا الموضوع . فهل أنتم مقتنعون أن التقديرات الضريبية السابقة كانت عادلة ومعقولة "؟

" لم تكن تلك التقديرات عادلة أو معقولة . وأنا لا أجد النقود التى تمكننى من دفع هذه الضرائب " .

" هل يريد أحد من الحاضرين هنا دفع التقديرات الأصلية "؟

" لا ، أرجوك أن تلتمس من رئيس الحى أن يوافق على ألا أدفع السبعة العشر شلنا والبنسات الستة المدونة قرين اسمى " .

" نحن لن نرجوه ولن نلتمس منه . سوف نقول له إننا سوف ندفع ببساطة التقديرات الجديدة . وهذا هو كل ما فى الأمر . وإذا ما حاول إثارة المتاعب ، فسوف نرفع الأمر إلى المحكمة ".

قال أحد الرؤساء معربًا عن إعجابه : " بنجا بنجا " .

قال الأوبا : " يا كبراء إيباجا ، لقد استمعتم إلى بنجا بنجا ، فماذا نحن فاعلون ؟ هل ندفع التقدير الأساسى " ؟

" لا ، لن ندفع "!

" هل تريدون من الكاتب أن يدون فى سجلاته أنكم لستم متفقين مع الرجل الأسود الأبيض ؟ يجب أن نكون حريصين فى كل ما نفعله . ماذا نفعل ، يا كبار إيباجا "؟

رد عنهم بنيامين بنيامين قائلا : " أيها الكاتب ، سجل فى سجلاتك أن أوبا إيباجا هو ورؤساؤه ، قرروا ، فى اجتماع المجلس اليوم ، وفى وجود ممثلين لمواطنى إيباجا ، الالتزام بقرارات هيئة استئناف تقديرات الضرائب ، وسجل أيضًا أنهم يرفضون بالإجماع التقدير الأساسى . وأن رئيس الحى يتعين عليه مراعاة ذلك ، واحترام رغبات أهل إيباجا " .

فى تلك الليلة ، رأى الأوبا ، بينما كان نائما على حصير على الأرض بجوار كتلة مشتعلة من الخشب ، رأى حلما تعيسا . فقد رأى فى المنام أن البيض يطاردونه ، وأن عددًا كبيرًا منهم كان يقوم بتلك المطاردة ، وأنه نظر من حوله إلى رؤسائه ورعاياه ، فلم ير منهم أحدًا .

ورأى من حوله ، ومن أمامه ومن خلفه ، وعلى مرمى بصره ، أناسا بيضا ، تنم وجوههم عن كراهيتهم له ، ويتكلمون لغتهم الغريبة بطريقة توحى بالغضب . أين شعب الأوبا – رؤساؤه ورعاياه ؟ نادى عليهم . لم ير منهم أحداً فى أى مكان . نادى بنيامين بنيامين لم يعثر عليه فى أى مكان . ونادى على جونسون Johnson، كاتب المجلس . ونادى زوجاته ، وأطفاله . ونادى كل إنسان . لقد انصرفوا جميعا من حوله . هنا هرب هو بنفسه . ولكنه لم يستطع الوصول الى مسافة بعيدة فى أى اتجاه من الاتجاهات ؛ والسبب فى ذلك أن دائرة البيض أطبقت عليه من كل جانب . وهنا خطر بباله أنه يعرف واحداً منهم . إنه يودو أكبان . احتار الأوبا . نظرا لأن ذلك الوجه كان وجه أكبان . العلامات القبلية الموجودة على وجهه تحدد هويته والتعرف عليه بلا أدنى شك . ولكن ذلك الوجه كان أبيض ، مثل الوجوه الأخرى كلها . كما أنه مثل الآخرين الذين كانوا يُطوِّقونه ، كان يجعل هروبه أمرا مستحيلا . وصاح فيه طالبا الرحمة ، ولكن يودو أكبان ضحك من أعماقه للكرب الذى أصاب الأوبا . وبناء على أمر منه ، اندفع أربعة من الرجال نحو الرجل العجوز وقيدوا رسغيه .

وبعد أن أفاق الأوبا من ذلك الكابوس ، ظن أن الأمر قد انتهى فى ذهنه القديم ، ولذلك أحس باضطراب شديد . وتوصل إلى استنتاج مفاده أن يودو أكبان كان رجلا أبيض فى بشرة رجل أسود ، وأنه قادر على نفيه و خلعه من عرش أجداده .

الفصل السابع

وذات ليلة ، أى بعد رحيل رئيس الحى الجديد عن إيباجا بفترة قصيرة ، سار منادى مدينة إيباجا عبر الشوارع غير المضاءة . كان طنين جرسه الأجوف المصنوع من المعدن يحرك هواء الليل . وتوقف مواطنو إيباجا عن كل ما كانوا يفعلونه ووقفوا ساكنين يستمعون إلى الرسالة التى كان يحملها لهم من الأوبا .

"تحياتى لكم جميعا ، يا أبناء ويا بنات إيباجا " ، اندفع صوت المنادى بهذه العبارة فى جوف الليل ، ثم أردف قائلا : " أرحب بهؤلاء الذين جاءوا من المزارع ، وأرحب بأولئك الذين ذهبوا لجلب الماء من الأنهار . وأرحب بهؤلاء الذين ذهبوا إلى الأسواق طلبا للبيع والشراء . مولاى ، مالك إيباجا يحملنى رسالة لكم جميعا . وهو يرجو منكم جميعا يا شيوخ وشباب إيباجا ، ويا رجالها ونساءها التجمع فى مكان السوق صباح الغد عند شروق الشمس . لا يجب أن تغيب قدم واحد عن مكان الاجتماع . ولا يجب أيضا أن يغيب وجه عن مكان الاجتماع . ومن يتغيب عن ذلك الاجتماع يجر على نفسه غضب الآلهة . وسوف يدفع الجزاء على شكل غرامة تدفع برءوس الماعز . يا أبناء ويا بنات إيباجا ، يا شيوخ إيباجا ويا شبابها ، انتهت كلمات الرسالة ، وتقبلوا تحياتى" .

كُنْ - كنُ - كوُن - كون ! كون - كون - كون !- كون - كون - كون !

كَن - كَنْ - كون ! كون - كون - كون ! كون - كون - كون !

من عادة أوبا إيباجا الأباجى ، كلما أراد دعوة رعاياه لحضور مناقشة أو حضور مناسبة من المناسبات ، أن يطلب إلى منادى المدينة أن يقرع جرسه وينادى بأعلى صوته معلنا الرسالة وهو ينتقل من شارع إلى شارع فى أثناء الليل ، وبذلك تكون الرسالة قد تمت فى وقتها . ولكن من رأى بنيامين بنيامين أن أهمية المناسبة كانت تتطلب شيئًا أكثر من الأساليب المعتادة . فقد قرر تقديم ذلك الذى أسماه عنصرا من عناصر الحضارة ليدعم به التقاليد والأعراف . فقد قام قبل عدة أيام بكتابة منشور طويل ودقيق موقع منه ولكنه مختوم ببصمة إبهام الأباجا الأباجى . وقد وزع ذلك المنشور على كل أبناء وبنات إيباجا فى الداخل والخارج . والمنشور يطلب إليهم حضور اجتماع جماهيرى يعقد فى مكان السوق وتجرى فيه مناقشة أمر مهم من أمور الدولة ، وأن ذلك الأمر سوف يؤثر على رفاهة وسعادة أهل إيباجا فى المستقبل بصفة خاصة ، ورفاهة وسعادة البلاد بصفة عامة . وأن الوطنيين بحق سواء أكانوا رجالا أم نساءً ، كبارًا أم صغارًا ، فقراء أم أغنياء ، ومهما كان عقارهم ، يتعين عليهم جميعا أن يشقوا طريقهم إلى مكان السوق لحضور ذلك الاجتماع المهم . كما لا يجب أن تكون المسافة عائقا أمام الوصول إلى مكان الاجتماع - لأن حب البلد يغطى على كل الصعاب المادية ويتخطى المسافات - وواصل الرجل حديثه على ذلك النحو فترة طويلة .

حضر الاجتماع جمع لا بأس به من رجال إيباجا ونسائها ، والمرجح أن ذلك كان هو الجمهور المعتاد الذى كان يمارس عباداته فى ثلاث كنائس مختلفة الملل موجودة فى المدينة ، ولكن من بين هذا الجمع كانت هناك قلة قليلة من ممثلى تلك الفئة التى يطلقون عليها اسم أبناء إيباجا فى الخارج . كان هناك تجار فى المدن والقرى المجاورة . هذا رجل افتعل إجازة مرضية وقطع المسافة كلها قادما من مدينة بعيدة على الضفة الأخرى لنهر النيجر ، يعمل فيها كاتبا فى إدارة السكة الحديد ، لا لشىء سوى حضور الاجتماع .

ترأس الأباجا الاجتماع من الناحية الشكلية أو الظاهرية فى حين كان بنيامين بنيامبن هو الذى يدير الأمور فى واقع الأمر . وافتتح بنيامين بنياميين فعاليات الاجتماع بأسلوب فخم رصين .

"مولاى ، صاحب الجلالة العريقة ، مالك إيباجا ، ويا رعب الأبينيين ، أنا أقدسك . يا ممثل الآلهة هنا على الأرض ، أيها السلف المحبوب من أسلاف مؤسس العالم ، أقدسك . يا أجمل رجال الأرض وأكثرهم أناقة ، ويا أشجع السائفين(*) ، يا من انتصر فى معركه كيريچى Kiriji، ذلك الاسم الذى ترتعد له فرائص أوبا (ملك) الأبينو - أبناؤك وبناتك المجتمعون هنا أمامك ، قدسوك ". وكدليل عملى على ذلك التقديس ، فإن بنيامين بنيامين الذى يرتدى اليوم لباسا وطنيا وردى اللون ، ويطوق عنقه بسلسلة طويلة من الذهب ، خر ساجداً على الأرض وراح يتمسح بأعتاب الأباجا .

(*) السائفين : جمع « سائف » وهو من يحمل السيف ويجيد استخدامه .(المترجم)

استطرد بنيامين بنيامين فى تمسحه قائلا : "أدام الله تاجك المرصع بالخرز ، أبد الآبدين" .

رد جمهور الحاضرين : "آمين" .

"أدام الله حذاءك المرصع بالخرز والذى ترتديه فى قدميك المكليتين إلى أبد الآبدين ".

" آمين".

" أدام الله إلى أبد الآبدين عصا السلطة المرصعة بالخرز التى تمسكها يدك الملكية" .

آمين ! آمين ! آمين "!

ينهض بنيامين على قدميه مرة ثانية ، موجها كلامه إلى جمهور الحاضرين : " أبناء إيباجا وبناتها ، أيها الأبطال ، رفاق الكفاح من أجل استرداد منظمة إيباجا السابقة ، مولاى ، والدكم ، صاحب الجلالة العريقة ، ملك إيباجا ، يأمرنى ويطلب منى أن أرحب بكم جميعا " .

"رد الجمهور : "حياكم الله ".

"يا من تستعر فى داخلهم نيران الوطنية ، استعارا جعلكم تتركون خبزكم اليومى تلبية منكم لنداء الوطنية ، الملك يقول : مرحبا بكم ، وخيرا عملتم ".

"مليكنا ، أدام الله الحكمة "!

"وهؤلاء منكم ، أيها الآباء والأمهات ، الذين تركوا مزارعهم ، ونسيجهم ، وكذلك الذين تركوا أسواقهم من أجل الأرض الأم ، وجاءوا تلبية لنداء مليكنا ، أقول لهم جميعا على لسان مليكنا شكراً لكم " .

"مولانا وسيدنا ! إله إيباجا " .

"كما نوجه شكرنا جميعا ، إلى رؤسائنا ، آبائنا الذين يجلسون فى منازلهم ليتحملوا الشئون الحساسة فى الدولة بتوجيه من الملك ، سيدهم ومولاهم" .

"لعل آباءهم فى السماء يعينونهم ويؤيدونهم" !

"مرحبا بكم جميعا . ومرحبا بكل واحد منكم ، ومرحبا بكل اثنين منكم ، ومرحبا بكم جميعا "!

دخل بنيامين بنيامين بعد ذلك فى حديث هامس مع الأوبا ، الذى تحدث بعد ذلك إلى المجتمعين .

قال الأوبا وهى يلوح بذيل الحصان : "أطفالى ... " .

صاح المجتمعون فرحاً قائلين "مولانا وسيدنا "ثم لوح الأوبا بذيل الحصان تلويحا مفعما بالنشاط والحيوية فى الوقت الذى راح فيه بنيامين بنيامين يصفق بيديه ويصيح راجيا الناس أن يلتزموا الصمت حتى يتمكن الأوبا من استئناف الكلام .

" أبنائى ، رجالا ونساءً ، كبارا وصغارا ، أحييكم جميعا ، وأرحب بكم جميعا" .

"مولانا ، سيدنا "!

" أيها المواطنون ، ويأيها الغرباء ، أحييكم جميعا ... أنا لا أود منكم أيها الشبان الصغار المتعلمون أن تحتقرونا ، وتحتقروا رؤساءكم وكذلك كبار السن . يجب أن تنظروا إلينا نحن الكبار باحترام ... شأنكم فى ذلك شأن بنجا بنجا . وهو يحترمنا ولا يتغطرس علينا بالرغم من المعرفة الكثيرة التى يحملها فى رأسه ... أود منكم أن تبلغوا الرجل الأبيض أن يتوقف عن إزعاجى فى بلدى . فأنا الملك هنا . كما يجب عليكم أيضًا أن تكتبوا له رسالة تخبرونه فيها بإعطائى المزيد من النقود ". ونظر الرجل العجوز من حوله إلى الرؤساء ، الذين أومأوا برءوسهم إيماءً ينم عن الموافقة . "رؤسائى كلهم يودون الحصول على مرتبات . نحن جميعا جوعانون . لقد أوقف الرجل الأبيض كل الأشياء التى كانت تجلب لنا الطعام . أبلغوا الرجل الأبيض أن يعطينا النقود التى نستطيع بها شراء الطعام اللازم لبطوننا ، والذى يحفظ علينا الحياة ويبعد عنا الموت ، النقود التى تمكننا من شراء الملابس اللطيفة التى تشرفنا ولا تشعرنا بالخزى . أبنائى ، انتهى كلامى" .

عندئذ دار حديث سريع بين بنيامين بنيامين والرئيس العجوز ، وكانت حركاته تؤكد أهمية ذلك الذى كان يتحدث عنه الأوبا . واستطاع بنيامين بنيامين هو والأوبا استعادة الصمت بعد فترة الصياح الطويلة التى كان المجتمعون يرددون فيها "، مولانا ، سيدنا "عقب انتهاء الأوبا من حديثه . وهنا أضاف الأوبا قائلا :" هناك شىء واحد مهم أود قوله لكم . إنه موضوع إجبودودو . تلك الأرض هى أرضى وملك لى ، كانت

تلك الأرض ميدان المعركة التى طرد والدى فيها الأبينيين من بلادنا . هرب الأبينيون مثل الفئران ، عندما راح جنودنا يطاردونهم لإخراجهم من الأرض وإجلائهم عنها . لقد أخذ الأبينيون الأرض منى . وأنا أود منكم أن تكتبوا للرجل الأبيض أن يستعيد الأرض ثانية من الأبينيين . قولوا للرجل الأبيض أن يعيد إلى الأرض . إنها أرضى .. انتهى كلامى" .

أخذ رئيس آخر الكلمة . وبعد أداء التحية والاحترام اللازمين للأباجا ، وبعد أن رحب بكل أبناء وكل بنات الأباجا ، أبلغ المجتمعين أن الأبينيين جيرانهم كانوا سلالة من اللصوص والأوغاد ، كما أبلغهم أيضًا أن الأبينو الأول كان لصا ، وأن ذلك كان السبب وراء طرده من قصر مؤسس الأسرة الملكية الرئيسية ، ونفيه إلى أبينو . ومن ثم عليهم أن يفعلوا الشىء الوحيد الصحيح ألا وهو استرداد أرض الإجبودودو من الأبينيين ، تلك الأرض التى سرقها أولئك الأبينيون من الأباجيين .

وهنا أعلن بنيامين بنيامين أن الأوبا ، باعتباره الزعيم الحقيقى للشعب ، قد وجَّه بافتتاح صندوق تبرعات تحرير أرض إجبودودو ، بالتبرع بمبلغ ١٠٠ جنيه إنجليزى . وقد أدى ذلك إلى تصفيق حاد من جمهور الحاضرين - صحبه تقطيب الأوبا العجوز لجبينه بصورة غير مريحة ولا تدعو إلى الاحترام - أملى بنيامين بنيامين على الكاتب الذى كان يدون فى قائمة التبرعات قائلا : "جلالته ، أباجا إيباجا ، مبلغ ١٠٠ جنيه إنجليزى" . وواصل بنيامين بنيامين كلامه قائلا : " الرئيس أوبا

كيكيرى Obakekerc، خمسون جنيها إنجليزيًا" ، ثم تزعم جمهور الحاضرين فى نوبة من التصفيق تحية للرئيس .

ولكن الرئيس العجوز راح يولول رافضا ذلك التبرع .

"أنا لم أقل خمسين جنيها على الإطلاق . فأين لى مبلغ خمسين جنيها" ؟ قال الرئيس أوبا كيكيرى هذه العبارة مسائلا المجتمعين مساءلة جادة وخطيرة ." اكتب عشرة جنيهات أمام اسمى . وأنا عندما تتوفر لدى تلك الجنيهات العشرة سوف أدفعها لك " .

أكد ولد الرئيس من بين جمهور الحاضرين قائلا : "ستدفع خمسين جنيها دوِّن خمسين جنيها ، أيها الكاتب ، يدفعها الرئيس أوبا كيكيرى وليس عشرة جنيهات مثلما قال . إنه فى جميع الأوقات يجىء فى المرتبة الثانية بعد أوبا إيباجا " . وحيا الجمهور الحاضر ذلك التعليق بعاصفة من التصفيق تزعمها بنيامين بنيامين . ودارت عجلة التبرعات على الرؤساء الحاضرين .

قال أحد الرؤساء معارضًا : "عشرون جنيها ؟ .. لا ، أنا قلت عشرة جنيهات فقط " .

" ولكنك قلت فى البداية عشرين جنيها . وقد دوَّن الكاتب عشرين جنيها بالفعل "!

تساءل الرئيس وهو يستشعر القلق : " تقول ، إنه كتب عشرين جنيها ؟ هذا أمر طيب . دون عشرين جنيها أمام اسمى . الرئيس

إيكيتا Eketa الإيباجى ، عشرون جنيها . هذه هى الطريقة التى يجب أن تدون بها المبلغ فى السجل " .

أعلن بنيامين بنيامين : " الرئيس إيكيرين Ekerin خمسة وعشرون جنيها " .

هنا صاح الرئيس إيكيتا قائلا : " أيها الكاتب ، اشطب المبلغ الذى كتبته أمام اسمى . واكتب ثلاثين جنيها بدلا من الخمسين ... فأنا فى كل الأحوال وفى الأمور كلها أقدم من الرئيس إيكيرين ."

"الرئيس مومو الإيباجى ، خمسة عشر جنيها ".

قال الرئيس مومو محتجا : " أنا لم أقل خمسة عشر جنيها . ولكن ما قلته هو جنيهين فقط . ولن أدفع سوى جنيهين فقط " .

"ولكن الكاتب دون خمسة عشر جنيها ".

" اشطب ذلك المبلغ من فضلك ، واكتب بدلا منه جنيهين . أما إذا دون خمسة عشر جنيها فسوف يدفعها من جيبه الخاص . جنيهان فقط ، هما كل ما يمكن أن أدفعه " .

قال أحد الرؤساء : "سأدفع لك خمسة جنيهات . ولكن لا تدون اسمى فى سجلك ".

قال بنيامين بنيامين موضحا : "ولكن ، مطلوب منا أيها الوالد ، أن يكون لدينا سجل بكل هذه المبالغ . ويتعين أيضا أن يكون لدينا حساب منتظم لذلك الرصيد . فنحن ندون الاسم فى البداية . ثم ندون المبلغ الذى يجرى التبرع به قرين كل اسم ".

"كل ما فى الأمر ، هو ألا تكتب اسمى فى سجلك . وأنا عندما أبيع محصول الكاكاو القادم ، هنا يتعين عليك أن تطلب منى خمسة جنيهات" .

وانتقلت كرة الوعود بالتبرعات من الرؤساء إلى أبناء وبنات إيباجا المتعلمين . كان هؤلاء الأبناء والبنات منقسمين فى البداية حول الفكرة التى تقدم بها كاتب السكة الحديد القادم من محطة على الجانب الآخر من نهر النيجر ، كانوا منقسمين إلى جماعات رئيسية وأخرى فرعية حول مسألة إن كان المواطن ينبغى أن يكون حاصلا على شهادة التعليم الثانوى أو التعليم الابتدائى . وتقرر أن يدفع كل خريج من خريجى الكليات مبلغ عشرة جنيهات . لم تكن قائمة الحاصلين على تعليم جامعى طويلة ، ولذلك طالب بنيامين بنيامين من الكاتب أن يدون تلك القائمة من واقع قائمة أسماء اتحاد Union تحسين Improvement إيباجا . أما القائمة الأخرى فكانت أكثر صعوبة ، ووجد بنيامين بنيامين نفسه هو وجماعته فى مأزق فى البداية وبخاصة فيما يتعلق بطرح شبكتهم لتصطاد كل الأسماك المشروعة . "سوف نطلب إلى نظار المدارس ومديريها التعاون معنا . كما أننا سوف ندون الأسماء من واقع السجلات القديمة ، أسماء كل الأولاد والبنات الذين التحقوا بالمدارس منذ افتتاحها" .

وماذا عن أولئك الأولاد والبنات الذين التحقوا بالمدارس فى إيباجا ولكن آباءهم لم يكونوا من رجال إيباجا أو من نسائها ؟ تلك المشكلة ، وبخاصة إذا ما كان الوالدان من الأبينُيين . كان هناك قرار غامض

مؤداه أن أى إنسان يحمل فى عروقه أى قدر من دماء الأبينيين ينبغى التغاضى عنه وعدم إدراجه فى السجلات أو الكشوف مخافة السماح بدخول الخونة إلى صفوف الجيش .

طلب أحد الحاضرين من الكاتب تدوين اسمه ، ويكتب أمامه ستين جنيها . وأدى ذلك إلى تصفيق وهتاف حاد . وهنا أبدى بنيامين بنيامين ملاحظة مفادها أن الجمهور لابد من أن يحيى ذلك الرجل الذى رفض الاقتصار على مبلغ الجنيهات العشر المحدد لكل فرد من أفراد الفئة التى ينتمى إليها . وقد استفز ذلك كاتب السكة الحديد الذى من الضفة الأخرى لنهر النيجر ، وجعله يعد بدفع خمسة وسبعين جنيها . ومعروف أن راتب ذلك الكاتب بعد اثنى عشر عاما من الخدمه كان قد وصل إلى مائة وعشرين جنيها إنجليزيا فى العام .

ووعد أبراهام Abraham أولووكيرى Olowokere، أو إن شئت فقل : أولووكيرى ، صاحب شركة النقل ، الذى اختارة أهل إيباجا ، ليكون الرجل الثانى بعد الأوبا نفسه ، وعد بدفع ثمانين جنيها ذهبيا . وسرعان ما بادر بنيامين بنيامين إلى إبراز مسألة دخول الجنيهات الذهبية فى التبرعات ، التى جعلت من الرئيس المنتخب شخصا متحضراً .

الفصل الثامن

بدأ صندوق استعادة أرض إجبودودو بداية طيبة ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى لجنة المناشدة التى كان بنيامين بنيامين سكرتيرها العام . وبدأ الناس ينتـــقلون من دار إلى دار ، وهم يقنعـــون الناس تارة ، ويرجونهم تارة ، ويناشدونهم تارة أخرى . ذهبوا إلى كل الأماكن ، كلما وحيثما وصلتهم معلومات عن أحد الإيباجيين الذين يعملون بالتجارة .

وفى العاصمة أجروا اجتماعا مع اتحاد الأسلاف فى إيباجا ، فرع أبينو . كان ذلك الاتحاد واحداً من الاتحادات القبلية الرائدة ، التى ازدهر عدد كبير منها داخل العاصمة . كما كانوا يلتقون بصورة دورية فى يوم السبت الأول من كل شهر من الشهور ، وكان الاجتماع ينعقد فى بهو رئيسهم الفسيح ، ذلك الرجل الإيباجى الذى أصاب نجاحا طيبا فى تجارة الأحذية على مستوى التجزئة . وناقشوا فى تلك الاجتماعات أمورا كثيرة مهمة : الالتماسات المقدمة لطلب منح دراسية لأبناء إيباجا المعدمين ، الذين ناشدوا الاتحاد وتوسلوا إليه "واستحلفوه بالله "أن يبادر إلى مساعدتهم ، نظرا لوفاة آبائهم أو لأنهم بلغوا من الفقر والعوز مبلغا يعجزون معه عن دفع المصروفات المدرسية . وكانت هناك

دعوة مفتوحة لحضور الاجتماع المنتظر للاتحاد وذلك تأبينا للذكرى الثانية لوفاة ودفن جدة أحد أعضاء الاتحاد من ناحية ، والنظر فى منازعات الرياسة التى تدور فى بلدتهم ، إيباجا من الناحية الأخرى . "

دعا الاتحاد إلى عقد اجتماع خاص لمناقشة مسألة صندوق التماس استعادة أرض إجبودودو ، وكان بنيامين بنيامين هو ضيف الشرف فى ذلك الاجتماع . قال بنيامين بنيامين بعد أن قدمه رئيس الاتحاد : " أحييكم جميعا ، يا أبطال ويا رفاق تحرير أرضنا الأم . وأنا أحمل إليكم تحيات وبركات والدكم الأوبا إيباجا الإيباجى ".

صاح الحاضرون فى صوت واحد : " أطال الله عمره ".

" أحمل إليكم أيضا تحيات رؤساء إيباجا وتحيات كبرائها . كما أحمل إليكم أيضا تحيات أهل إيباجا . وهم يدعون الله أن يوفقكم فى العودة إلى أوطانكم ومعكم الثروة التى سوف تجنونها من الأرض التى رحلتم إليها ".

" آمين . آمين ".

" تحدث الرئيس إليكم عن الغرض من الصندوق ، وعن تفاصيل ذلك الذى قمنا به نحن أبناء إيباجا . إن تحمس آبائكم وإخوانكم فى الداخل عظيم .. يضاف إلى ذلك أن مبادرة والدنا الأوبا الأباجا إلى التبرع بمائة جنيه إنجليزى هو بحد ذاته أمر مشجع للغاية ".

" قال أحد الحاضرين : " أيها الرئيس ، أرى من واجبى أن أقول شيئًا ما حاليا . لقد قلَّل السيد بنيامين بنيامين هو ولجنة الاستئناف المحلية من شأننا فى هذا الاتحاد . ولما كنا نشكل الاتحاد الأول من بين الاتحادات القبلية الإيباجية فقد كان مفروضا أن نكون نحن أول من يعرف ذلك الأمر منذ فترة طويلة . إن من حقنا أن نُستشار أولا ، قبل أن يحدد أهلنا فى الداخل مقدار التبرعات ، بدءا من الرؤساء وانتهاء بالأطفال . هذا هو ما أردت قوله" .

قال عضو آخر : " يا سيد بنيامين بنيامين ، مرحبا بك ، مرحبا بك مرة ثانية ، وأنا أكررها مرة ثالثة مرحبا بك . نحن نشكرك على تدخلك فى شئون الرياسة فى إيباجا . أقول : نشكرك . ولكنك لم تصبح رئيسا بعد . وأنت لم تصبح بعد أيضا واحدا من صنَّاع المَلِك . فلماذا لا تترك الأوبا وصنَّاع الملك لحال سبيلهم وتدعهم يتخذون قراراتهم بأنفسهم "؟

حذف الرئيس المتكلم الأخير من المضبطة قائلاً : " لقد جئنا هنا اليوم لمناقشة أمر غير موضوع رئاسة الأوبانلا - Obanla جئنا إلى هنا لمناقشة صندوق الاستئناف الخاص بموضوع أرض إجبودودو " .

" ولكن مسألة الرياسة مهمة أيضا مثل مسألة أرض إجبودودو . ولولا وقوع السيد بنيامين بنيامين فى بعض المتاعب والمشكلات لما رجع إلينا فى هذا الأمر . وهو عندما يحدث له ذلك يعرف كيف يهرول إلينا . وهذا هو ما وددت قوله أيها الرئيس " .

أبدى الرئيس ملاحظة قائلاً : " لا يجب أن نسمح لعداوتنا الشخصية أن تذهب بنا إلى شأو بعيد" . وقد استنكر العضو المقصود ذلك الاتهام استنكارا شديدا وقف على أثره ثم انسل خارجا من مكان الاجتماع .

وبعد حدوث شيء من الفوضى والاضطراب قال أحد الحاضرين : " السيد الرئيس ، أنا أرى أنه نظراً لأن اتحادنا هو أقدم اتحادات إيباجا القبلية ، فإننا يتعين علينا أن نساهم فى صندوق استئناف أرض إجبودودو بمبلغ عشرة آلاف جنيه إنجليزى" .

"اقتراح أيها الساة . اقتراح . هل من بينكم من يريد التعقيب على ذلك "؟

" أنا أعقب على ذلك الاقتراح ."

" لقد اقترحنا وعقبنا بما مفاده أننا فى الاتحاد يجب أن نتبرع بعشرة آلاف جنيه إنجليزى إلى صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو . أيها السادة ، هل تودون إدخال أية تعديلات "؟

"تعديل ، أيها الرئيس . أعتقد أن خمسة آلاف تكفى . أما العشرة فهى ثقيلة نوعًا " .

" تعديل بخمسة آلاف جنيه . من الذى يؤيد أو يوافق على ذلك التعديل "؟

" أنا لا أُؤيد التعديل وإنما أود التنبيه إلى التحوط والحذر" .

قال السكرتير : " السيد الرئيس ، أنا أثير هنا نقطة نظام . ليس من حق العضو الكلام عن التعديل أو الاقتراح الأساسى إلا بعد أن يوافق أحد الأعضاء على التعديل . وإذا ما وافق أحد على التعديل يصبح من حق العضو الحديث عنه" .

تساءل الرئيس : " هل هناك من يوافق على التعديل "؟

رد السكرتير : " أنا أوافق على التعديل" ، قال السكرتير هذه العبارة بعد أن صمت برهة قصيرة ، تبين خلالها أن أحداً لا يود الموافقة على التعديل . " وهنا يصبح من حق الأعضاء التحدث عن التعديل أو عن الاقتراح الأساسى أو الأصلى" .

" السيد الرئيس ، أود أن نكون حريصين فى كل ما نقول . ولا يجب أن نشرع فى أشياء ثم نتخلى عنها بعد ذلك . ويتعين علينا ألا نقوم بأعمال تفوق طاقتنا . ونحن لدينا مشروعا لمنح تعليمية للمدارس الثانوية . ونحن جميعا نعلم أن قلة قليلة من الأعضاء هم الذين أسهموا فى ذلك الصندوق . ولعلكم تذكرون أننا قررنا منذ ستة أشهر بناء مبنى يليق من حيث التصميم والتشييد باتحادنا ويصلح أن يكون مقرا له باعتبار أنه أول الاتحادات القبلية التى تأسست فى البلاد " .

"حقا ، قررنا بالفعل أن تصميم الاتحاد لابد أن يكون معتمدا من مهندس معمارى مسجل " .

" هذه الأمور كلها تحتاج إلى المال" .

أومأ الرئيس برأسه علامة على موافقته على ما يقوله العضو .

" يضـــاف إلى كل هذه الأمـــور ، أننا لدينا أيضـــا مـــشكلاتنا الشخصية التى تواجهنا فى محالِّ إقامتنا . مطلوب منا إطعام زوجاتنا وأطفالنا ، ومطلوب منا أيضا إلحاق أبنائنا بالمدارس ، حتى لا يكونوا جهالاً مثلنا ... كما أن المصاريف المدرسية آخذة فى الزيادة . ونحن هنا ، نرى أن الحكومة تريد أن ترفع علينا التقديرات الضريبية . وبعد ذلك ، سوف ترتفع الإيجارات . وبذلك يتبين لكم أن تكاليف المعيشة آخذة فى الارتفاع . ومع ذلك ، فإن الحكومة المؤذية لا تفعل أى شىء نحو رفع رواتب الموظفين المدنيين وأجورهم هم والعمال . من هنا ، يجب أن نكون حريصين فى كل ما نقول أو نفعل ".

ومما خيب أمل الضيف القادم من إيباجا ، أن شخصا آخر أيد ووافق على ذلك الذى قاله العضو الذى نصح بالتزام الحيطة والحذر . فقد حكى الرفاق الإيباجيون عن تجربته المريرة فى عمله الجديد . وبالرغم من الحقيقة التى مفادها أنه كان قد أعطى الكاتب الرئيسى مبلغا كبيرا من النقود على شكل " ثمار الكولا"وذلك قبل الحصول على الوظيفة ، فقد كانوا يهددونه يوميا بالطرد منها . ولكن الرئيس قاطعه بأن ذكَّر أتباعه ورعاياه بأنهم إذا ما أقحموا مشكلاتهم الشخصية فى الاجتماع ، فإنهم سيظلون يراوحون فى محلهم ، وأنهم لن يحققوا شيئًا لمحال إقامتهم . " وأنا أرجوكم أن تسمحوا لنا بأن نسلم أمورنا لله . وسوف يشملها الله برعايته".

شجعت الملاحظة التى أبداها الرئيس بنيامين بنيامين على الكلام مرة ثانية : " كنت أنصت باهتمام بالغ لكل ما قيل . وأنا سعيد جداً لأن الله هيأ لنا هذه الباقة من الرجال لكى يتولوا قيادة ذلك الاتحاد . وأنا أزكى لكم جميعا ذلك الكلام الوطنى الذى قاله الرئيس ... وأود أن أذكركم جميعا بأهمية الأرض فى حياة الفرد وفى حياة الناس أيضا . ترى ، ماذا كان السبب الخفى وراء الحروب التى دارت بين القبائل فى الزمن الماضى ؟ إنها الأرض . لماذا تغزو قوات قبيلة من القبائل أراضى قبيلة أخرى ؟ إنها الأرض . الأرض هى التى دفعت قبيلة من القبائل إلى غزو قبيلة أخرى . ألم يشجع الله نفسه بنى إسرائيل فى الإنجيل على شن الحرب على بعض القبائل المجاورة لهم ؟ ألم يعد الله (سبحانه وتعالى) بنى إسرائيل بالاستيلاء على أراضى الضحايا الذين يغزونهم "؟

واستطرد فى الكلام بطريقة الواثق أو المتيقن .

قال بنيامين بنيامين مؤكدا : " يجب أن ننحى جانبا مشكلاتنا الشخصية . لابد من أن ينصب تفكيرنا أولا وأخيرا على أرضنا الأم العزيزة ؛ إيباجا أولاً .. ودائما . يجب أن نحارب حاليا ودوما من أجل استعادة الأرض التى كانت أرضنا فى يوم من الأيام وستكون النعمة التى سينعم الله بها علينا ، وبفضل الله وبفضل محاولاتكم أيها المواطنون الصالحون ستعود الأرض وتصبح ملكا لنا مرة ثانية . أيها الرفاق ، باسم محاربى إيباجا القدماء كلهم ، ومن أجل أرضنا الأم ،

ولصالح الأجيال القادمة من رجال ونساء إيباجا ، أنا أدعوكم جميعا إلى الاشتراك فى القتال ، القتال من أجل استرداد أرض إجبودودو ".

توصل المجتمعون فى النهاية إلى قرار مفاده أن الاتحاد سوف يجمع ألفين وخمسمائة جنيه إنجليزى ويخصصها للصندوق . كما قرر المجتمعون أيضا فرض ضريبة داخلية حدها الأدنى حوالى خمسة وعشرين جنيها على كل عضو من الأعضاء . ووعد الرئيس بدفع مبلغ ثلاثة وستين جنيها ، على شكل جنيهات ذهبية . ووعد نائب الرئيس بدفع اثنين وأربعين جنيها . وتراوحت التبرعات الأخرى بين خمسة وعشرين جنيها وأربعين جنيها .

قبل أن يغادر المجتمعون أبينو عائدين إلى إيباجا ، التقوا بعضا من أصحاب النفوذ فى العاصمة ، ومعروف أن هؤلاء الأشخاص أصحاب النفوذ يجرى فى عروقهم وبدرجات متفاوتة شىء من الدم الإيباجى ، كما تحتفظ قلوبهم بدرجات متفاوتة أيضا بمصلحة إيباجا . كانوا جميعا أسلافا للعبيد ، الذين استطاعوا ، بعد إلغاء تجارة الرقيق ، أن يشقوا طريقهم عائدين من جزر الهند الغربية ومن البرازيل ، وبعد أن أمضوا سنوات قلائل فى مدينة فريتون Freetown، جاءوا ليستقروا فى العاصمة ويقيموا فيها . عاد هؤلاء الرجال ومعهم غريزة حب التملك ، فضلا عن الثروات الكبيرة التى اكتسبوها وحصلوا عليها . وكانوا قد استطاعوا أن يوفروا لأبنائهم تعليما صارما كاملا ، إضافة إلى أن الكثيرين منهم استطاعوا أيضا إلحاق أبنائهم بالجامعات فى المملكة المتحدة لتلقى التدريب فى مجال القانون والطب . وتبوأ أولئك الأبناء

مراكز مرموقة فى الحياة السياسية والحياة الاجتماعية فى العاصمة . واستطاع البعض منهم اقتفاء أثر تاريخه ورده إلى إيباجا . بعض ثان توفرت لهم معرفة أجدادهم وأسلافهم الإيباجيين عن طريق الإيباجيين المتحمسين الموجودين فى العاصمة ، ورحبوا بتلك المعرفة الجديدة الخاصة بأصولهم ونسبهم وسلالاتهم العرقية ترحيبا شديدا . بعض ثالث سمع عن قراباتهم الإيباجية ولكنهم لم يلقوا لها بالا . وبعض رابع أسف وندم لأنهم جاءوا أصلا من وسط البلاد المتخلف حضاريا .

وبناء على اقتراح العناصر الإيباجية فى العاصمة ، قبل عنصران العرض وجرى تكريمهما من قبل أوبا إيباجا بمنحهما لقبين من ألقاب الرياسة . وتحمل أحد هذين العنصرين مسئولية اللقب وأخذه مأخذ الجد وراح يهتم اهتماما كبيرا بشئون إيباجا ، بأن راح يثقف نفسه عن طريق أخبار إيباجا التى تنشر فى الصحف المحلية ، كما أصدر أمراً إلى البنك الذى يتعامل معه بدفع تبرع سنوى مقداره عشرون جنيها إلى اتحاد أحفاد إيباجا . أما العنصر الثانى ، الذى حصل على اللقب ، فكان رجلا كبيرا معتل الصحة ؛ إذ بلغ من الكبر حداً يصعب معه على ذهنه الاحتفاظ بأى شىء عن إيباجا . لم يفهم ذلك الرجل السبب وراء مطالبة الناس له بالتبرع والمساهمة فى المبالغ التى لا علاقة لها بالكنيسة التى ينتمى إليها وكان يداوم على الذهاب إليها بصورة منتظمة فى العاصمة صباح كل يوم من أيام الأحد .

بحث بنيامين بنيامين هو وجماعته عن هذين الرئيسين واستعانوا بهما . ووجه أحدهما بما معناه أن صديق عمره مسَّاح محترف وأنه

لابد من أن يكلف بمهمة مسح الأرض موضوع النزاع ، وأصدر تعليماته إلى سكرتيره بتحرير شيك مقداره عشرون جنيها ذهبيا .
أما خادم الرئيس الشرفى الإيباجى الثانى فقد أبلغ ممثلى أرض إجبودودو أن طبيب سيده قد أمره بالراحة الكاملة ومنع عنه الزيارات أو مقابلة الأشخاص أيا كانوا . وذلك باستثناء طبيبه ، بطبيعة الحال ، وكذلك راعى الكنيسة التى ينتمى إليها ويتردد عليها .

الفصل التاسع

قاعة محكمة إيباجا الوطنية ، صاح رقيب شرطة الإدارة الوطنية قائلا : " سكوت ! نظام " ! وأطلق صافرته تأكيدا لما صاح مناديا به . وكشف وجه هذا الرقيب الغريب عن خيبة أمله وإحباطه عندما فشل صياحه وصوت صافرته فى تحقيق النتيجة المطلوبة . خلع الرقيب الشرطى طربوشه من فوق رأسه وراح يجفف براحة يده حبات العرق من فوق رأسه الأصلع اللامع . كما حك مقعدة بنطاله القصير بيده التى مسح بها عرق رأسه ، ثم أعاد غطاء رأسه مرة ثانية إلى مكانه . ظهر ذلك الرقيب بمظهر مهيب ومميز وهو يرتدى قميصا أزرق اللون وبنطالا قصيرا أزرق اللون أيضا ، ويضع على رأسه طربوشا أحمر ويتمنطق بحزام أحمر اللون أيضا . ويصيح مناديا من جديد :
" سكوت ! نظام "!

اعترف الشخص الواقف فى قفص الاتهام قائلا : "والدى ، صحيح أننى صفعته . ولو تجرأ على تكرار ذلك الذى قاله لى قبل أن أصفعه ، فسوف أصفعه ثانية ". كان ذلك الرجل نحيفا ، حاد المزاج ، ومن الواضح أنه كان غاضبا ومستاءً من الشخص الذى صفعه .

تكلم ضحية الصفع راجيا المحكمة قائلا : " أيها الآباء ، تحياتى واحترامى لكم جميعا . أطال الله أعماركم حتى تنشروا العدل فى إيباجا قبل أن تلحقوا بآبائكم . كنا نحضر اجتماعا بخصوص أرض إجبودودو . وكان قد حذرنا وأنذرنا الجميع بحتمية حضور الشبان ذلك الاجتماع . وعندما شاهدت أوجو Ojo يسير فى الاتجاه المخالف أخبرته بأنه يتعين عليه حضور الاجتماع . وفوجئت بعد ذلك بصفعة قوية على وجهى . وبعدها شاهدت آلاف النجوم مختلفة الألوان" . أدى ذكر مسألة آلاف النجوم مختلفة الألوان إلى إثارة نوبة من الضحك بين كل الحاضرين فى قاعة المحكمة .

صاح المدعو أوجو Ojo قائلا : " أنت تكذب . أنت تكذب دوما . أنت لم تقل للمحكمة ذلك الذى قلته لى قبل أن أصفعك على وجهك " .

" قلت إن كل أبناء إيباجا كريمى الأصول سيحضرون الاجتماع . وتلك حقيقة " .

صاح أوجو قائلا : " أنت تكذب .. فقد قلت إننى لقيط" .

" كل ما قلته هو أن اللقطاء سوف لا يحضرون ذلك الاجتماع . وأنا لم أقل إنك لقيط . ولكن النحو الذى تتصرف عليه هنا فى المحكمة يجعلنى أشك أنك لست مجرد لقيط وإنما أنت خائن أيضا " .

" أيها الآباء ، أنتم تسمعون ما يقول . أيها الكاتب ، دون فى مضبطتك أن هذا الأحمق السافل يسبنى بأنى لقيط . ويتهمنى بالخيانة . دون كل ذلك فى مضبطتك " .

صاح حاجب المحكمة قائلا : " محكمة ، سكوت ". ثم أطلق صافرته مرتين ثم هز كتفيه . ومع ذلك تواصلت الثرثرة والضحك بلا انقطاع .

صاح الشاكى قائلا : " نعم ، دون كل ذلك فى مضبطتك ، أيها الكاتب . دون فى مضبطتك أننى أنا جابريل Gabriel أقول إن أوجو لقيط . وأقول : إنه خائن . بل أقول أكثر من ذلك . فقد كان والده عبداً . وكذلك أيضا كان جده . وإذا ما لفظ كلمة أخرى ...".

قال القاضى رئيس الجلسة : " كفى ! لقد أثبت عدم احترامك للمحكمة . وأنتما تلعنان بعضكما كما لو كنتما فى منزليكما . يجب أن تحترمانا . فنحن أناس كبار فى السن . كما أنكما يتعين عليكما احترام هذه المحكمة أيضا ".

ينبطح جابريل على الأرض راقدا على صدره ، طالبا العفو والسماح من المحكمة . لقد ندم على ما فعل . ثم نظر إلى أوجو الغاضب ، ثم ضحك بعد ذلك . ثم أردف قائلا : " أيها الآباء ، أنا أعتذر لأوجو عن سبى له . ولكنه هو الذى صفعنى على وجهى فى البداية . وما الذى فعلته له حتى يصفعنى على وجهى ؟ وكل ما قلته له ، هو أننا يجب علينا جميعا حضور الاجتماع لمناقشة آخر تطورات قضية أرض إجبودودو . وقبل كل شىء ، فنحن إن قدر لنا استرداد تلك الأرض من الأبينُيين فسوف نحتاج قطَعاً منها للبناء . وسوف يحتاج صديقى أوجو إلى قطعة كبيرة . أنا آسف ، أيها الآباء على ما بدر منى" .

أبدى أحد القضاة ملاحظة : " هل تدركون وتفهمون ذلك الذى يمكن أن يعود علينا من قضية أرض إجبودودو .. هل تفهمون ما أقول . هل تظنون أن هذين صديقان . أحدهما يسب الآخر بأن والده كان عبداً . كما أن كلا منهما صفع الآخر على وجهه ! تفهمون كلامى . الروح الشريرة التى تسكن إجبودودو هى التى تسببت فى كل ذلك ".

هنا وجه قاضى المحكمة الكاتب قائلا : " أيها الكاتب ، دون فى مضبطتك أن هذين الصديقين اللذين تشاجرا قد تصالحا . وقد حذرتهما المحكمة وأخلت سبيلهما " .

" أنا أتفق معك ، إنها الروح الشريرة فى إجبودودو ".

" وأنا أيضا أتفق معك" .

كانت القضية التى نظرت أمام المحكمة بعد ذلك لرجل نحيف مسن .

صاح الرجل النحيف قائلا : " أيها الآباء ، أرجوكم تخفيض ربطى الضريبى ". وخر الرجل ساجداً على بعد ياردات من المكان المخصص للمدعين فى المحكمة ، وأردف يقول : " أنا رجل مسن .. لقد هجرنى كل أولادى وذهبوا للتجارة فى بلاد الهوسا . ولم يصلنى منهم أى خبر إلى الآن ، وهم لا يرسلون إلى أى شىء من النقود . فمن أين لى بمبلغ الاثنى العشر شلنا التى قالوا لى إنها مدونة أمام اسمى فى هذه الورقة" . ثم تقدم الرجل نحو كاتب المحكمة . " اثنا عشر شلنا أيها الكاتب ، من أين لى بها "؟

تهامس قضاة المحكمة بينما كان الحاضرون يثرثرون حول قضية ذلك الرجل المسن الذى تركه أولاده وهجروه .

أخيرا قال رئيس المحكمة إنهم فهموا وأدركوا أن الشاكى كان رجلا مسنا وأن الربط الضريبى ينبغى تخفيضه من اثنى عشر شلنا إلى شلنين فقط .

" أنا أوافق ، بالرغم من فشل محصول الكاكاو هذا العام ".

" وأنا موافق أيضا . أيها الكاتب دون أمام اسمه شلنين ".

" أشكركم أيها الآباء . إن آباءكم فى السماء يمدونكم بالحكمة أتمنى لكم أن تديموا نشر العدل . ولكن لا يجب أن تساعدونى إلى منتصف الطريق فقط . وأنتم إذا أردتم إنقاذ رجل كسول ، ألا تنقذوه حتى النهاية ؟ هل تتوقفون عند مجرد صناعة بلوزة له ؟ ألا تصبغون له تلك البلوزة أيضا ؟ وعليه قولوا للكاتب ألا يكتب شلنين ، وإنما يكتب لا شيء مطلقا أمام اسمى . أنا رجل مسن . أبلغ من العمر حدا يتعذر معه علىّ دفع الضرائب . وسوف أزوركم جميعا فى بيوتكم لأقدم لكم فرائض الشكر والاحترام ، وذلك فى حدود موارد رجل مسن ضعيف ، أطال الله أعماركم " .

" أيها الكاتب ، الرجل يبلغ من السن حدا لا يستطيع معه دفع الضرائب ، إنه مسن تماما ".

" أنا موافق على ذلك" .

" وأنا أيضا موافق " .

قال الشرطى حاجب المحكمة : " سكوت ! سكوت" ! وأطلق الحاجب صافرته وهو يمد عنقه لينظر إلى الرجل الذى لديه كثير من المال .

أبراهام أولووكيرى Olowokere، نائب الرئيس .

وبينما كان الرجل يدخل قاعة المحكمة راح الحاضرون يكررون اسمه قائلين " أولو ! Olowo، وبالرغم من أن الشرطى حاجب المحكمة راح يطلق صافرته منادياً " سكوت"فإنه أيضا كان يتمتع مع بقية الحاضرين فى المحكمة بتلك الإثارة الناتجة عن وجود رجل إيباجا الثرى بينهم .

خلع أولو Olowo نعليه عند مدخل القاعة . وراح يلوح بيديه لمعجبيه ثم سار متجها فى تواضع إلى المكان الخالى أمام هيئة المحكمة . وفى ذلك المكان خَرَّ الرجل ساجداً على صدره من باب تحية القضاة . " تمنياتى لكم جميعا أيها الآباء بطول العمر . أمد الله فى أعماركم كيما تنشروا العدل فى مدينة إيباجا . ولعلكم تستلهمون الحكمة من آبائكم". وعندما نهض الرجل واقفا على قدميه حيًّاه الحاضرون قائلين : " أولو" Olowo .

نجح الرئيس فى التزكية التى قدمها . فقد أراد أن يعرف السبب الذى دفع أولووكيرى الذى اختير كى يكون من الرؤساء ، إلى المجىء إلى قاعة المحكمة . ترى هل كان يقاضى واحداً لاسترداد دين أخذه منه ؟ هل كان يود من المحكمة معاونته فى محاكمة أحد موظفيه ؟ أم ،

هل كان يريد زوجة جديدة ؟ وتكلم الرئيس كما لو كان يقول : المطلوب منك أن تخبرنا بما تريد ، ثم نرى بعد ذلك كيف سنحققه لك .

قال أولووكيرى : " أيها الآباء ، أنا بحاجة إلى مساعدتكم لى . أود منكم أن تحمونى من مطاردة موظف الضرائب لى . فهو يقول : إننى رجل ثرى ، وطلب منى دفع مبلغ خيالى من النقود . طلب منى أنا وحدى ثلاثين جنيها . فمن أين لى بهذا المبلغ "؟

كان سؤال أولو موجها إلى كل من القضاة والمحكمة . وبينما كان القضاة ينظرون تلك المسألة ، صاح إخوان أولو المواطنون من المقاعد الخلفية يقولون : " أولو ! أولو" ! ثم بدأ حوار ساخن حول قضية الرجل الثرى الذى طلبوا منه دفع ثلاثين جنيها على سبيل الضريبة .

" ثلاثون جنيها ؟ لو أن لى نصف ما عنده من المال فلن أنطق بكلمة واحدة ، وإذا ما طلبوا منى دفع ثلاثين جنيها . واقع الأمر أننى سأكون سعيدا إذا ما طلبوا منى دفع خمسين جنيها . هؤلاء الأثرياء يرفضون دوما إنفاق المال ".

"ولكن لماذا يدفع أى رجل من الرجال مثل هذه الضريبة الكبيرة ؟ أولا وقبل كل شىء ، غالبية الناس يدفع الواحد منهم أقل من جنيهين . اذهب لحال سبيلك واعمل واجمع مالك الخاص ".

" لو قدر لى أن أكون أولو لرفضت دفع أى شىء يزيد عن الجنيهين ".

" سوف يتحسن الأمر . وأنا أقول منذ زمن بعيد إن كاتب الضرائب يصدر تقديراته الضريبية على الناس بطريقة عرفية . سوف أنتظر ما سيفعله فى قضية أولو . يبدو أنه لن يلقى بالا لشكواى . وسوف نرى إن كان سيجرؤ على الوقوف فى وجه مسألة تخفيض الربط الضريبى الذى وضعه أمام اسم أولو " .

علق الرئيس قائلا : " خمسون جنيها .. هذا كثير جدا" .

صحّح كاتب المحكمة الكلام قائلا : " ثلاثون ! ثلاثون جنيها ، يا والدى . ليست خمسين جنيها "!

غمغم الرئيس ثانية ، مُتبعًا التصحيح قائلا : " ثلاثون جنيها ضريبة على أولو . هذا هو القول الفصل" . قال هذه العبارة وهو يتنقل ببصره من زميل إلى زميل .

قال أحد القضاة : " كيف لامرئ واحد بدفع ثلاثين جنيها ؟ رجل واحد فقط "!

صاح أولو معترفا بالجميل : "أيدك آباؤك فى السماء " .

خلى القضاة الثلاثة إلى غرفة المداولة الصغيرة التى كانت عبارة عن غرفة صغيرة خلف مبنى المحكمة . ومن تلك الغرفة خرج رجل معروف بأنه يلعب دور الوسيط بين المدّعين والقضاة . ودار حديث هامس بينه وبين أولو .

ثم عاد الرجل إلى الغرفة ، التى خرج منها القضاة بعد برهة قصيرة ، ومن خلفهم الوسيط .

قال رئيس المحكمة ، بعد أن جلس على مقعده : " خمسون جنيها مبلغ كبير إذا ما دفعه شخص واحد على سبيل الضريبة " .

صحح كاتب المحكمة المقولة ثانية : " ثلاثون جنيها ، يا والدى . ثلاثون جنيها " .

تساءل أولو تساؤلا حاداً : " ما هذا الذى أبيعه حتى أدفع ثلاثين جنيها على سبيل الضريبة "؟

قال رئيس المحكمة : " خفضنا المبالغ الى ثمانية جنيهات . دوِّن أيها الكاتب مبلغ ثمانية جنيهات أمام اسم أولووكيرى Olowokere، الذى جرى اختياره ليكون واحدا من الرؤساء" .

قال القاضى المعاون الأول : " أوافق على دفع ثمانية جنيهات " .

" وأنا موافق أيضا على دفع ثمانية جنيهات ، دوِّن ذلك أمام اسم أولو أيها الكاتب " .

هنا صاح الجمهور مهنئا : " أولوو" !

فى ساعة متأخرة من تلك الليلة اجتمع أباجا إيباجا ومجلس الكبراء فى شرفة منزله ليتدارسوا أمرا خطيرا آخر من أمور الدولة .

بدأ أحد الكبراء قائلا : " يا مالك العالم ، هل صحيح أن الرئيس آجاى Ajayi كان موجودا عندما خرج أولاده على عادات الإيليينين eleyinyins" ؟ طرح هذا السؤال وهو شاك ومرتاب .

قال كبير آخر موضحا : " لم يكن آجاى موجوداً فحسب ، وإنما هو الذى أمر بذلك" . تنهد الأباجا المسن قائلا : " نعم ، هذا صحيح . هذا هو دمارى وخرابى . هؤلاء هم رؤسائى يقتحمون علىً مدينتى " . قال هذه العبارة الأخيرة وهو يشعر بمرارة بالغة .

تساءل رئيس آخر : " أين الرئيس آجاى حاليا ؟ إنه لم يحضر اجتماعاتنا منذ زمن طويل" .

" أبدا ، لم يفعل ذلك . وهو لن يحضر هذا الاجتماع الحالى أيضا ، إنه الآن يتردد على صديقه رئيس الحى الأسود فى أبينو " .

" هذه صدمة كبيرة للميكنا ، سيد إيباجا ومولاها ، وصدمة أيضا لشيوخ إيباجا ، وهذا أمر جلل . فماذا نحن فاعلون فيه "؟

قال أوبا إيباجا وهو يشتكى مر الشكوى : " حقا ، لقد هاجمنى واحد من رؤسائى .. لقد هاجمنى آجاى ! آجاى ذلك الرجل الذى جعلته أنا رئيسا ، والذى طوقت عنقه بعقد من الخرز "!

" الأمر معروض أمام محكمتك أيها الرئيس مومو Momo ، وأنت تعرف كيف تعاقب آجاى ، عاقبه على نحو يجعله يندم على اليوم الذى ولد فيه . أنزل به من العقاب ما لا يمكن أن ينساه إلى يوم مماته " .

قال مومو : " وأنا سوف أحتاط له تماما" .

قال أحد الرؤساء : " لكن ، ألا ترون أيها الكبار أننا نغفل شيئًا واحداً ؟ ألن يغضب آجاى ، إذا ما حكمت عليه محكمة الرئيس مومو بالغرامة ؟ وإذا ما استاء آجاى من الغرامة ألن يستأنف الحكم أمام رئيس الحى ؟ ألا نعرف جميعا أن رئيس الحى صديق له "؟ وهنا ترك ذلك الرئيس الأمر لرفاقه كى يستنتجوا منه المضامين المختلفة .

قال الرئيس مومو معربا عن خيبة أمله وإحباطه : " أنا أعرف ذلك وأفهمه . أنا على يقين من تلك النقطة تماما . بل إن هناك شيئًا آخر هو : إن عاداتنا بدأت فى الاندثار ، ولذلك فإن ذلك الرجل الأبيض الأسود سيقول إنه لا يقر عادة الإيلينين eleyinyin ولا يعترف بها ، وبالتالى سوف لا يعاقب آجاى " .

صمت الجميع برهة . كيف لهم بالالتفاف على يودو أكبان حتى يجعلوه يعاقب آجاى ، ذلك الرئيس الذى أخطأ " ؟

" رئيسى يهاجمنى ويقتحم على مدينتى ! يا كبار إيباجا ، ما الذى حدث فى الدنيا ؟ لقد أهاننى آجاى عندما هاجم عادة الإيلينين eleyinyin فماذا نحن فاعلون فى ذلك ؟ ماذا سنفعل لآجاى ؟ هل ستتركون ذلك الاستهزاء يمر بدون عقاب" ؟

تكلم مومو بعد ذلك فقال : "أليس آجاى واحداً من الإواريفا Iwarafa؟ وهل نحن بحاجة إلى تقديمه للمحكمة قبل أن نعاقبه "؟

نظروا جميعا بعضهم إلى بعض . كان الرئيس آجاى واحداً من الإوارفة الستة ، الذين كان لهم فى دستور إيباجا غير المدون محكمة

سرية من حقها أن تحاكم وتتهم أى عضو وتحكم عليه بالنفى أو حتى بالموت. هذا يعنى أن تلك المحكمة كانت وسيلة من وسائل التخلص من الرؤساء أصحاب النفوذ بدون تقديمهم لمهانة أو إذلال المحاكمة أمام محكمة عامة قبل مجىء الرجل الأبيض .

واعتبارا من تلك الليلة أصبح الرئيس آجاى رجلا مشهوراً .

الفصل العاشر

ذات مساء وبينما كان بنيامين بنيامين وجماعته يطوفون بأبينو بحثا عن التبرعات ، أسرع الرئيس مومو خارجا من منزله فى إيباجا . واصطحب معه صبيا صغيرا كان يحمل له مظلته فى الأمام ، هى ومروحته الكبيرة المصنوعة من الجلد . كان الرجل يتكئ بشدة على عصاه التى كان يتوكأ عليها ؛ فقد كاد النقرس يجعل رجله اليمنى عديمة النفع .

كانت التحيات التى كانت تنهال عليه من يمينه ومن شماله تعرقل مسيره إلى حد ما .

" أعانك والدك السماوى أيها الرئيس"!

" أيها الوالد ، تحياتنا لك إكبارا لسنك ".

كان الرئيس يبخل فى رد التحية . " أشكرك يا ولد ، أشكرك يا ابن النمر Tiger أليس والدك على ما يرام ؟ يا ولد ، انهض ، انهض يا ولد ، انهض يا ولد الأسد Lion وأنت يا ولد الفيل Elephant، فيل إيباجا ، انهض ، هيا قف وانهض من على الأرض .. وأنت يا بنيتى ، كيف حال أبيك ؟ أنا لم أره منذ مدة ".

وعند بيت قسيس كنيسة القديس چون ، صعد الرئيس مومو بصعوبة بالغة درجات السلم الثلاثة المؤدية إلى الشرفة الخرسانية ، وطرق الباب بعصاه التى يتوكأ عليها . ثم جلس متثاقلا على كرسى فى الشرفة ، محاولا استرداد أنفاسه بعد ذلك المسير المتعب ، انتظارا لانفتاح الباب .

فتح جوسيا Josiah أوليا ، الأب المبجل الوقور ، الباب بنفسه ، ورحب بزائره بحماس شديد . صحيح أن مومو ، رئيس صعب ، ولكنه يداوم بصورة منتظمة على الذهاب للكنيسة ، فضلا عن إعجابه براعيها . كان جوسيا أوليا هو الذى يقدم للرئيس مومو النصح والإرشاد فى كل ما يتعلق بالأمور المؤقتة والأمور الروحية .

وبعد الانتهاء من التحية والترحيب ، أخرج الرجل المسن مظروفا متكرمشا من جيوب لباسه الوطنى الواسع الفضفاض Agabada ، وأوضح لراعى الكنيسة أنه تلقى ذلك المظروف من أحد أصدقاء ولده إدكييى Adekeye والذى كان يشاركه التجارة فى قرية أومى Omi " كان ولد ابنى ، الذى كان يذهب للمدرسة مستخدما الطريق المؤدى إلى أبينو ، يود أن يفتح المظروف ويقرأ لى الرسالة التى بداخله . ولكنى رفضت ذلك ، فأنا لا أثق بقراءة تلميذ للرسائل المهمة علىَّ . هؤلاء الصبية ليسوا جيدين . لأنهم لا يقرءون لك سوى نصف محتوى الرسالة . أما النصف الثانى فهم لا يستطيعون قراءته . والسبب فى ذلك هو قلة تعليمهم . وأنا آتى إليك دوما ، فى كل ما يتعلق بالرسائل المهمة . فأنت أيها القسيس ، أفضل بكثير جدا من أولئك الصبية . كما

أنك أكثر خبرة . وهذه كلها أمور مهمة عند قراءة الرسائل . وهذا هو السبب الذى جعلنى أطلب من ذلك الصبى الموجود هنا ، أن يحمل مظلتى ومروحتى ويسير أمامى ، ويدلنى على الطريق المؤدى إلى منزلك " .

فض جوسيا أوليا المظروف ثم أخرج منه محتوياته . ثلاث صفحات من الملاحظات ، مزينة بطريقة سيئة . إضافة إلى أن لطع الزيت وبقع الحبر كانت تطمس كلمة هنا وهناك . كان خط اليد سيئا جدا وتصعب قراءته ولكن أوليا كان معتاداً على قراءة تلك الخطوط اليدوية الصعبة ، كما كان متعوداً أيضا على فك طلاسم الصفحات المتكرمشة . ومضى القسيس يقرأ الرسالة المكتوبة باللهجة المحلية .

" إلى والدى العزيز ، الرئيس مومو ، إيباجا :

يسعدنى من أعماق قلبى أن أكتب لك هذه الرسالة . وأتمنى أن تصلك وأنت سعيد وبصحة جيدة ، مثلما أنا هنا ،ونحن جميعا هنا بصحة جيدة ، وليس بنا أى مكروه . ومن أجل هذه النعمة والنعم الأخرى فنحن نشكر الله Jehovah .

كل أصدقائى هنا يرسلون إليك تحياتهم . وكل زوجاتهم يرسلن إليك تحياتهن أيضا ، وكذلك كل أطفالهم . وهم أيضا يرسلون تحياتهم إلى زوجاتك ، وإلى كل أطفالهن . ومالك الأرض هنا ، هو وزوجاته ، وأطفاله يرسلون تحياتهم إليك . ويودون منك إبلاغ تحياتهم إلى كل من فى المنزل ، بلا استثناء .

سمعت عن شيء محدد هنا آلمنى وأحزننى . بلغنى أنك عندما كان الرؤساء المهمون فى إيباجا ، هم وأعيانها ، يقدمون وعوداً بتبرعات من أجل قضية الأرض الجديدة ، وذلك وفقًا لأهمية أولئك الرؤساء والأعيان بلغنى أنك قلت إنك ستدفع جنيهين فقط . وبلغنى أن الرؤساء الذين لهم مثل مركزك وعدوا بدفع عشرين جنيها ، ووعد البعض منهم بدفع ثلاثين جنيها . والناس هنا يستهزئون بى ويسخرون منى . كما يستهزئون بزوجاتى ويسخرون منهن أيضا . وهم يقولون : إنى ولد رجل بخيل مسن . كما يقولون أيضا إن زوجاتى هن زوجات ابن رجل فقير .

والدى ، لقد أخجلتنى بذلك التصرف الذى أقدمت عليه . أنا لا يعجبنى ذلك التصرف . ولا تنس أنى هنا أشغل منصب نائب رئيس الفرع المحلى لاتحاد أسلاف إيباجا . وتصرفك الذى أقدمت عليه ، قد يجعل الآخرين يفكرون فى إعفائى من ذلك الشرف . والدى ، أنا غير راض عن ذلك التصرف . هل ننكر أن الله أنعم علىّ بكرمه ؟ فأنا لدى ثلاث زوجات ، وسوف أتزوج الرابعة عندما أعود إليكم فى عيد الميلاد .. ألا يعد ذلك إشارة إلى أننا موسرون وفى سعة ؟ لقد بنيت لنفسى بيتا فى مسقط رأسى ،وعندما يمنحنى الله القوة ويعيننى سوف أحضر مُبيِّضا ليقوم بتلييس الجدران والحيطان ، وسوف أحضر نجارا أيضا لتركيب الزجاج فى النوافذ . وأعلم أن قلة قليلة من أقرانى فى هذه المرحله السنية هم الذين بنوا لأنفسهم بيوتا . هل ننكر أن الله أعطانى خيرا كثيرا ؟

لا تنس أنه عند تقسيم أرض إجبودودو على الناس المهمين فى البلدة ، ستكون المساحة التى سيحصل عليها كل واحد ، مناسبة للمبلغ الذى دفعه الابن أو الوالد للصندوق . وأنا بحاجة إلى قطعة كبيرة من الأرض هناك لكى أبنى عليها بيتا من طابقين . وستكون لك غرفتك الخاصه فى ذلك المنزل . فى المنزل الجديد الكبير الذى سنبنيه على أرض إجبودودو .

لقد أخجلتنى وأحرجتنى بتصرفك ،وأرجوك يا والدى ، ألا تحرجنى بتصرفاتك بعد اليوم . أود منك أن تذهب إلى الرجل الذى يجمع التبرعات لقضية أرض إجبودودو وتقول له إنك ستدفع خمسة وعشرين جنيها . كما ينبغى أن تبلغ كل الناس الآخرين أنك سوف تتبرع بخمسه وعشرين جنيها . كما ينبغى عليك أن تقول لهم أيضا إنك والد شخص مهم .

بلغ تحياتى لأهل المنزل جميعا . انتهى كلامى . أدعو الله أن نلتقى على خير . آمين . آمين . آمين" .

ولدك المخلص

أيوب أدكييى Adekeye مومو

نائب الرئيس

ملاحظة : يجب أن تقرأ يوميا أربعة آيات من المزمور ١٠٢ . اعلم أن معلم الدين المسيحى هنا واحد من أصدقائى ، وقد علمنى قراءة المزامير كما علمنى أيضا كيف أستفيد من كتاب الصلاة .

اقرأ أيضا المزمور رقم ١٠٣ . اقرأه من أول آية إلى آخر آية فيه . ولا تنس قراءته بمعدل مرة واحدة كل يوم . أما فى يوم الأحد فيجب أن تقرأه ثلاث مرات" .

أيوب أدكييى

نائب الرئيس

بعد أن انتهى جوسيا J osiah من قراءة الكلمات الأخيرة القليلة المتبقية من الرسالة ، راح يعدل الصفحات مرة أخرى ، ثم طواها بعناية ووضعها فى المظروف الذى سلمه للرجل المسن مرة ثانية . قال جوسيا للرجل العجوز : " لعلك اطمأننت ، أيها الرئيس ، من هذه الرسالة ، أن ولدك بخير وسعيد أيضا ".

" يا راعى الكنيسة ، أنا شاكر لك جدا عطفك عندما تفضلت علىّ بأن قرأت على الكلمات التى وصلتنى من ولدى فى قرية أومى Omi. أشكرك شكراً جزيلاً على ذلك " .

قال القسيس : " أيها الرئيس ، قيامى بمثل هذا العمل يعد شيئا صغيرا جدا . وحرىٌ بنا أن نشكر الله الذى أعطانا نعمة القدرة على قراءة الكلمات التى تصل إلينا من ذوينا البعيدين عنا " .

" الشكر لك يا ربى ، على أن ولدى أرسل إلى هذه الرسالة . أيها الأب الموقر ، إنه لأمر عجيب بحق : ولدى يعيش فى قرية أومى التى تبعد عن هنا مسافة كبيرة . وفى أومى خطر ببال ولدى أن يرسل لى أنا ، والده ، بعض الكلمات . فناجى نفسه قائلا : " يجب أن أكتب إلى والدى بعض الكلمات" . ثم جلس بعد ذلك ، وكتب إليّ ليقول لى ، أنا والده ، بعض الكلمات . وها أنت قد قرأت عليّ كلماته .

وأنت دون أن تصغى إليه ، قرأت عليَّ الفكر الذى يدور فى ذهن ولدى . أيها الأب الوقور ، أشكرك . وأنا أشكر أيضا الرجل Man الأبيض The white إنها معجزة . إنها مجرد خطوة أخرى قد يصبح الرجل الأبيض بعدها إلهًا God ".

خيم الصمت بعد ذلك . قام بعده القسيس بتعديل شريط المصباح الذى كان يتدلى من مسمار مدقوق فى الجدار . ثم هاجم بعوضةً كانت تقف على ساق رجله ، وقتلها بقوة تفوق حجمها إلى حد كبير جدا .

قال الرئيس المسن مندهشا : " أيها الأب الوقور ، أنتم ظرفاء يا معشر المتعلمين تقتلون بعوضة واحدة كما لو كنتم تقتلون فيلا ! لماذا ، لماذا لا تدعون تلك الحشرة الصغيرة لحالها ؟ ما حجم ذلك الجزء منك الذى يمكن أن تعضه تلك البعوضة ، أيها الأب الوقور ، منك لتحدث فيك أثرا "؟

أحس جوسيا أوليا بشىء من الحرج عندما أمسك به ، على حين غرة ، أحد رعايا كنيسته . ولكن جوسيا قال : "ولكن هذه الحشرة خطيرة ، يا سيادة الرئيس ؛ فهى تنقل الموت من شخص إلى آخر" .

قال الرئيس مومو وقد ازداد دهشة على دهشة : " تقول ، تنقل الموت من شخص إلى آخر ". ثم أردف قائلا وهو يشير بإصبعه متشككا ، إلى ذلك الجثمان ، الذى كان منذ لحظة منتفخا بحوالى ملليجرام من دم جوسيا أوليا : " هذا الشىء ، ينقل الموت "؟

أوضح القسيس الأمر قائلا : " البعوض يعض الناس "، وهنا أومأ الرجل المسن موافقا . " بعض هؤلاء الناس يكونون مصابين بمرض الملاريا ". وهنا يومئ الرجل العجوز أيضا موافقا . " عندما تعض بعوضة شخصا مصابا بالملاريا ، فهى تمتص جراثيم الملاريا من دمه ". وهنا قطَّب الرجل العجوز جبينه ، إشارة منه إلى أنه بدأ يضيع منه خيط الفهم . " عندما تعض البعوضة شخصا آخر فهى تنقل جراثيم الملاريا من جسم المصاب إلى جسم السليم . وبذلك يصاب ذلك السليم أيضا بمرض الملاريا . أتفهم ما أقول ، يا سيادة الرئيس" ؟

" أفهم ماذا ، أيها الأب الوقور ؟ أفهم أنك ستصاب الآن بالملاريا لأن ذلك الشىء عضك "؟ ثم أشار مرة ثانية إلى الجثمان وأردف قائلا : " إنها حماقة الرجل الأبيض" !

ثم بصق بعد ذلك فى وسط الحجرة .

قال العجوز بعد شيء من الصمت : " أيها الأب الوقور ، أود منك أن تقول لي شيئا واحداً . الرجل Man الأبيض The white . هو رجل ظريف بحق . هو ملىء بالحكمة . كثير من الحكمة . كما أنه ملىء أيضا بالحماقه والغباء .. كثير من الغباء . هل تسمع ما أقول" ؟

أومأ جوسيا أوليا برأسه علامة الموافقة .

" كتب ولدى على قطعة من الورق ، من مكان بعيدا جداً . وها هى الورقة قد وصلت إلى هنا . أنت لم تكن هناك عندما كتب ولدى الورقة . تلك حكمة . ولم لا إنها سحر . إنها سحر الرجل Manالأبيض The white " .

أنصت راعى الكنيسة مسرورا إلى الرجل العجوز .

" ولكنك ترى ذلك الشيء الملقى هناك ، ذلك الشئ الناقل للمرض .. تلك حماقة من حماقات الرجل Man الأبيض The white هذا كلام النساء . هراء ليس إلا ! شأنه شأن ذلك الكلام الذى قاله الفلاح Farmer الأبيض White الضعيف الهزيل عن أشجار الكاكاو وأنها تنقل المرض بعضها إلى بعض .. أيها الأب الوقور ، الرجال البيض الذين يأتون إلينا هذه الأيام لا يعرفون عملهم حق المعرفة . الأجواد منهم غادروا بلادنا جميعا " . قال العجوز هذه العبارة بحكمة وروية وهو يتناول علبة السعوط الصغيرة من داخل جيب ثوبه الوطنى الوسيع الفضفاض Agabada وبطرف إصبع السبابة فى يده اليمنى يتناول شيئا من السعوط يضعه فى فتحة من فتحتى أنفه ،

ثم يضع شيئا آخر من السعوط فى فتحة الأنف الأخرى . ويعطس العجوز ، ثم يقول : " أيها الأب الوقور ، لماذا لم يعد الرجل الطبيب الأبيض يحضر إلينا بعد "؟

" يا سيادة الرئيس ، هؤلاء الذين لدينا ومعنا حاليا طيبون وأجواد أيضا " .

أومأ العجوز برأسه علامة عدم الموافقة . ثم أردف قائلا وهو يعيد علبة السعوط إلى مكانها الأمين داخل جيب الثوب الوطنى الفضفاض : " كما ترى ، فهذا هو الفلاح الأبيض . لا يعرف ذلك الذى يتحدث عنه . بل إنه صغير جداً إلى الحد الذى يعجز معه عن معرفة ذلك . هو لا يستطيع أن يميز الذرة الشامية عن ذرة العويجة (السرغوم) عندما يكونان فى المزرعة ، فضلا عن أنه لا يستطيع تمييز أنواع اليام المختلفة بعضها عن بعض . وهو يشير علينا حاليا بتقطيع أشجار الكاكاو . فما ذلك الذى يعرفه عن أشجار الكاكاو ؟ وماذا يعرف عن الأشياء التى تزرع فى المزارع ؟ أيها الأب الوقور ، لقد ولَّى الرجل الأبيض الجيد . لا تجعلنا نخدع أنفسنا " .

حاول القس جوسيا تحويل انتباه زائره عن موضوع الرجل الأبيض السيئ وعن مسألة تقطيع أشجار الكاكاو فقال : " يا سيادة الرئيس ، محصول الذرة سيكون طيبا هذا العام . وهذه هى قطعة الأرض الصغيرة التى فى حديقة المنزل ، تحمل عيدان الذرة فيها كيزاناً كبيرة " .

قال العجوز : " أكيد ، إن محصول الذرة سيكون محصولا طيبا هذا العـام . ونحن نشكر الله الذى أنزل علينا مطرا من السـمـاء . سقطت الأمطار .. أمطار كثيرة . وهذا هو السبب فى أننا سيكون لدينا محصول وفير من الذرة " .

أعقب ذلك فترة من الصمت المحير ، قام بعدها جوسيا أوليا بتعديل شريط الفانوس ثم جلس مرة ثانية.

" أيها الأب الوقور ، هناك أمر ما يشغل بالى . هذا هو الشهر السادس من العام ،أليس كذلك "؟

" نعم ، إنه شهر يونيو".

" أنت تعلم ، إننى وعدت منذ شهرين أن أدفع فى هذا الشهر المبلغ الذى ندفعه كل عام للكنيسة . والمبلغ المطلوب منى هو ثلاثة وثلاثين شلنا وهذا هو المبلغ المدون فى سجلك أمام اسمى . ولكن ، أيها الأب ، أنا لا أستطيع توفير مبلغ ثلاثة وثلاثين شلنا هذا الشهر . ونظرا لأن أشجار الكاكاو لا تحمل قرونا ، ومع تهديد الرجل الأبيض بتقطيع الأشجار ، سوف يتعذر علىّ الحصول على أى مبلغ من المال . كما أنك تعرف أيضا ، أيها الأب الوقور ، ذلك المبلغ المدون أمام اسمى فى السجل الخاص بالقضية التى سنرفعها على أوبا (ملك) أبينو هو ورؤسائه ؟ جنيهان . كان يمكن أن يزداد ذلك المبلغ إلى خمسة عشر جنيها لولا أننى اعترضت عليه . وقد تغير ذلك المبلغ فى آخر لحظة إلى جنيهين . وها أنت ، قد قرأت على هذه الليلة تلك الكلمات التى أرسلها

إلىّ ولدى . ومن واقع هذه الورقة ، التى أمسك بها ، فإن تلك الكلمات تنم عن غضب ولدى ، يقول ولدى : " يا والدى ، إنك تخزينى " . وأنا لا أريد لولدى الخزى . ولذلك سأدفع مبلغا كبيرا . سأدفع أكثر من جنيهين لكاتب تحصيل التبرعات والضرائب . وهنا سيعرف الجميع أننى رئيس عظيم ، وبالتالى لن يشعر ولدى بالخزى . ولذلك أيها الأب الوقور ، أنا لا أستطيع دفع تبرع الكنيسة هذا الشهر . وأود منك أن تساعدنى على كتابة كلامى فى رسالة إلى ولدى . قل له إن أشجار الكاكاو لا تحمل قرونا طيبة هذا العام . أبلغه أيضا إننى ليس معى أى شىء من النقود حتى أدفعه لراعى الكنيسة . قل له : إنى بحاجة إلى أن يرسل لى مبلغا أستطيع به سداد كل ذلك . كما ينبغى عليه أيضًا أن يرسل لى مبلغًا أسدد به حصتى فى قضية أرض إجبودودو . قل له ، أيها الأب الوقور، إننى أصبحت رجلا عجوزا . قل له ، هل القوارض عندما تشيخ لا ترضع اللبن من صدور أبنائها ؟ لقد أصبحت رجلا عجوزا الآن ، وأطلب من ولدى أن يرسل إلى النقود لكى أغذى نفسى بصورة منتظمة . قل له أيضًا ، يا راعى الكنيسة الوقور ، إننى بخير ، ولكنى جوعان . قل له أيضا إن زوجاتى بخير أيضا . اكتب فى الرسالة أننا جميعا بخير وسعداء ، ولكن قبل أن تكتب ذلك يتعين عليه أن يرسل لى النقود " .

الفصل الحادى عشر

انزعج رئيس الحى

مضى أربعة أشهر منذ أن قرأ رئيس الحى على كل من أويا (ملك) إيباجا ورؤسائها القرار الذى مفاده أنه لن يقبل إعادة النظر فى التقديرات الضريبية وأن التقديرات الأصلية ستظل سارية المفعول . يضاف إلى ذلك ، أن القضايا الأربع التى استؤنفت أمامه بعد الاجتماع الذى عقده بهذا الخصوص أكدت له الاعتقاد الذى مفاده أن أهل إيباجا كانوا يحاولون التنصل - ليس إلا - من المسئوليات المدنية . ولذلك رفض قبول استئناف تلك القضايا . وهنا عاد المستأنفون الخاسرون يطوفون على إخوانهم المواطنين ليقولوا لهم : إن رئيس الحى الجديد لم يكن إنسانا على الإطلاق فى معالجته وممارسته لمهام منصبه ، وإنه يتعين عليهم البحث عن وسيلة أخرى لإعادته إلى المنطق والصواب .

توصل يودو أكبان من جانبه إلى استنتاج مفاده أن اجتماعه مع الأويا هو ورؤسائه من ناحية ، والحقيقة التى مفادها أنه لم تصله أية

التماسات أخرى بشأن التقديرات الضريبية ، أثبتا له أنه ليس على استعداد لقبول اللغو أو الهراء .

كان مخطئا فيما ذهب إليه ، وقد أصيب بذعر شديد عندما اكتشف أنه أخطأ بالفعل . وقد جاءت أولى نذر المتاعب عندما أبلغ مسئولُ خزانة السلطة الوطنية رئيسَ الحى أن المبلغ المتوفر فى الخزانة لا يكفى لصرف رواتب وأجور الشهر الجارى . وهنا طلب يودو أكبان إطلاعه على السجلات فورا . وأظهرت كشوف المدفوعات أن سلطة إيباجا الوطنية كانت قد تعهدت أن تدفع للأوبا (الملك) ، والرؤساء ، وقضاة المحكمة ، وهيئة موظفى رئيس الحى ، وكذلك إدارتى الأشغال والصحة مبلغ مائة وثلاثة وستين جنيها ، وخمس شلنات وأربعة بنسات . يضاف إلى ذلك ، أن حوافظ الدفع أوضحت أيضا وبأحرف كبيرة أن سلطة إيباجا الوطنية كانت فى أيدى سبعة من المقاولين فى إدارة أشغال السلطة الوطنية ، وأن مستحقات تلك السلطه تقدر بحوالى ستة وثلاثين جنيها أخرى ، وثمانية شلنات . وفى الجانب الدائن أوضحت سجلات الخزانة الحكومية ، مبلغ مائة واثنى عشر جنيها ، وثلاثة شلنات فى الخزانة الخاصة للشخص المسئول عن الخزانة .

كشفت سجلات الضرائب ، فى تاريخ التفتيش - أى قبل أربعة أشهر ونصف الشهر من نهاية العام المالى - أن أهالى إيباجا قد دفعوا ضرائب تقدر بحوالى سبعة وثمانين جنيها ، وعشرة شلنات بالتمام

والكمال . كما كشفت أيضا أن إجمالى التقديرات الضريبية يقدر بحوالى ثمانية وستين ألف جنيه إنجليزى .

راح رئيس الحى ينتقل ببصره بين السجلات وأمين الخزانة ، ثم من أمين الخزانة إلى السجلات مرة ثانية .

" ولكن كيف لك بدفع رواتب هيئة العاملين معك عند نهاية الشهر "؟

" سيدى ، أنا لا أعرف حلا لذلك" .

" أنت لاتعرف حلاً . وكيف حدث أن انتهت الاعتمادات قبل إبلاغى بالأمر" ؟

" ولكنى حاليا ، أكون قد أبلغت رئيس الحى " .

قال يودو أكبان وهو يكظم غيظه : " يجب عليك ، أيها الرجل ، أن تقول كلاما معقولا . صحيح ، أنك أبلغتنى بالأمر ، حاليا . ولكن بفرض أننى لم أحضر إليك الآن ، فماذا كنت ستفعل" ؟

قال مسئول الخزانة ، مسربا أول معلومة ، اعتمد عليها ، منذ أن بدأ رئيس الحى فى تتبع خطايا وأخطاء جباة الضرائب وكذلك المتهربين من الضرائب فى إيباجا .

"هذا كله عفن وغثاء . التعليمات المستديمة تقول إنه عندما يصل الرصيد الموجود فى الخزانة إلى أقل من خمسة وأربعين فى المئة من الرصيد الإجمالى المرخص أو المسموح به ، يتعين على مسئول الخزانة إبلاغ ذلك فورا إلى الرئاسة العامة " .

" أنا لا أعرف ذلك " .

" إذن ، ما الذى تعرفه ، يا سيد "؟ طرح يودو أكبان ذلك السؤال وهو فى منتهى الضيق والخوف .

وفى مركز الرئاسة المحلية العامة راح يودو أكبان يجتاز صعوبات ذلك الطريق الضيق الذى كان يلتف مثل الثعبان حول ذلك التل الصخرى الذى بنى فوقه مبنى الرئاسة الدائمة Residency ، ثم أوقف سيارته الفورد البريفكت Pre fect فى الموقف الأنيق ، وهمهم قائلا " أشكرك " للبستانى الذى أمسك بباب السيارة مفتوحا كيما ينزل منها يودو أكبان .

سأل يودو الخادم : " هل الأستاذ فى الداخل "؟ كان الخادم رجلا صغير الجسم يلبس بلوزة بيضاء مصنوعة من التريكو ، ويضع على رأسه غطاء رأس أبيض ، بينما كانت أسنانه مبقعة بفعل مضغ خشب ثمار الكولا .

كان الأستاذ Master فى داخل المنزل ، وإذا كان رئيس الحى لا يمانع فى الجلوس على كرسى فى الشرفة ، فإن الخادم سوف يبلغ الأستاذ ، الذى سينزل إلى الدور الأول على الفور .

فضل يودو أكبان منظر المدينة الممتاز الذى كان يراه من تحت ظلال أشجار السنط الموجودة على حافة موقف السيارات ، فضله على الجلوس فى شرفة منزل الرئيس المقيم . ومن نقطة الأفضلية تلك ، راح يودو أكبان ينظر إلى البلدة ، العارية .

واستطاع بسهولة التعرف على المبنى المكون من ثلاثة طوابق وله سقف أحمر اللون ، والمملوك لشركة تجارية كبيرة فى ذلك الجزء من البلدة . وعلى تل مماثل فى وسط البلدة كانت تقع كلية تخريج القساوسة الكاثوليكيين الرومان ، بمبانيها ذات السقوف الحمراء ، وتظهر للرائى من خلال أشجار المزرعة . فى هذا المبنى ، قرأ يودو أكبان فى الملفات التى اشتملت على أسماء بعض الطلبة الذين تلقوا فى تلك الكلية مقدمة عن الدين وعن الفلسفة قبل إيفادهم إلى روما لاستكمال دراساتهم فى الرهبنة . وتخير يودو الطريق الرئيسى الذى يمر خلال البلده . بدا له ذلك الطريق من تلك النقطة المرتفعة وكأنه مجرى مائى طويل وضيق يشق طريقه خلال غابة من المنازل والأشجار . كما استطاع أن يتبين أيضا بعض المركبات التى كانت تتحرك كما لو كانت سيارات لعب صغيرة وهى تسير فى الطريق الرئيسى . ووقعت عيناه على سيارة أطول من السيارات الأخرى ، ومط شفتيه غضبا عندما خطر بباله أنها ربما كانت حافلة من حافلات أولو Olowo . كما خطرت بباله صورة أخرى غطت على الصورة السابقة .. صورة صاحب شركة النقل الثرى الذى يؤمن بالرشاوى وسيلة لتخفيض الضرائب ، والحصول على قرض مقابل ضمانات لا تكاد تساوى شيئا . هذا شىء فظيع ، لابد من أن يتوقف كل ذلك ! قال كل ذلك بينما كان يناجى نفسه .

اندهش يودو عندما سمع صوت الرئيس المقيم بجانبه وهو يقول : " منظر المدينة من هنا رائع يا أكبان" . لم يلاحظ أكبان الرجل العجوز وهو يعبر موقف السيارات كيما ينضم إليه . "يراودنى خاطر دوما أن

منزل أحمد الواقع على قمة ذلك التل البعيد يفسد منظر الأرض الطبيعى إلى حد بعيد تماما . أظن أن ذلك ليس المكان الصحيح لذلك المنزل ، أليس كذلك "؟ وبدون انتظار لرد أكبان يستطرد الرئيس المقيم قائلا : " أنت بوصفك مسئولا من مسئولى الإدارة يتعين عليك وقف أولئك الهمج الجدد المخربين ومنعهم من الإفساد فى المدينة وفى البلاد . أحسب أنك قمت بجولة لطيفة إلى إيباجا ، يا أكبان" ؟

روى يودو أكبان للمسئول الإدارى الآخر حكاية عدم جمع الضرائب فى إيباجا . وبعد أن انتهى من حديثه ، قال له الرئيس المقيم : " يا عزيزى هذا هو شرير إيباجا هو ورؤساؤه يضايقونك بمشكلتهم السنوية التى تتمثل فى رفضهم دفع الضرائب .

سأرسل غداً مومودو Momodo العجوز حاملا رسالة إلى إيباجا . ومعلوم أن اليوم يوافق الحادى والعشرين من الشهر . ما إجمالى التقديرات الضريبية هناك "؟

" ثمانية وستون ألف جنيه " .

" ثمانية وستون ألف جنيه فى اثنى عشر شهراً ،ذلك يعنى أن المتوسط الشهرى يقدر بحوالى خمسة آلاف وسبعمائة جنيه إنجليزى . وما لم يقوموا بجمع اثنى عشر ألف جنيه قبل نهاية الشهر الجارى ، وثلاثين ألفا قبل نهاية الشهر التالى ، فإنه لابد من توقيف كل من أوبا (ملك) إيباجا ، وقضاة المحكمة وإيقافهم عن العمل ، وكذلك

عدم صرف رواتبهم . كما يتعين أيضا وقف كل الأعمال التى تقوم بها السلطة الوطنية فى مجال الطرق والبناء . يضاف إلى ذلك ، أن مهندس الحى ، هو والمشرف الصحى لن يقوما بأى عمل من الأعمال فى إيباجا . اكتب مسودة الرسالة ووافنى بها كى أوقعها لك ،هيا بنا نشرب شيئا يا أكبان" .

الفصل الثانى عشر

أصاب أباجا الإيباجى خوف شديد . وراح يتصبب عرقا لأنه كان قريبا من الفانوس الذى كانت شعلته تعكس ظلال كبار إيباجا على الجدران . كان الاجتماع منعقداً فى قصر الأباجا . كانت المشكلة بحاجة ماسة إلى ذلك الهدوء والأمن الذى وفرته الشرفة . كان الضوء يغمر نصف وجوه الحاضرين ، فى حين كان النصف الآخر غارقا فى الظلام ، كما كانت ظلال الحاضرين المنعكسة على الحائط هى وتحركاتهم تبدو كما لو كانت رقصات أشباح ؛ نظرا لارتفاع شعلة الفانوس وانخفاضها بين الحين والآخر ، من هنا كان اجتماع أولئك البشر يبدو كما لو كان جمعا من الأشباح .

قال الرجل العجوز : " هذا أمر خطير يا كبار إيباجا . الرجل الأبيض غاضب علينا . فماذا نحن فاعلون ؟ ماذا سنفعل "؟

" ولكن ما هذا الذى فعلناه حتى يجعل الرجل الأبيض غاضبا علينا " ؟

قال هذه العبارة واحد من كبار إيباجا وهو ينظر حوله إلى المجتمعين من خلال ذلك الضوء الضعيف الخافت . " يجب أن ننفذ كل ما يطلبه الرجل الأبيض منا . هيا بنا ننفذ كل ما يريده الرجل الأبيض الأسود " .

قال الأوبا بحزن ومرارة : " يريد منا دفع الضرائب . وهذا هو المكتوب فى هذه الورقة . وقد قرأها الكاتب علىَّ هذا المساء . الرسالة تقول إننا يتعين علينا دفع الضرائب المربوطة علينا . كما تقول الرسالة أيضا إننا إذا لم نحصل الضرائب كلها ، فإن النقود التى أتسلمها كل شهر يجب أن تتوقف ولا تدفع لى بعد ذلك ، تقول الرسالة أيضا إن النقود التى تتسلمونها أنتم ، كل شهر ، بوصفكم رؤساء للمحكمة لا يجب أن تدفع لكم بعد اليوم ".

" هذا أمر خطير . إنه خطير جدا ".

" تقول الرسالة أيضا إن العمل فى إنشاء الطرق يجب أن يتوقف ، كما يتعين أيضا عدم إعطاء المقاولين مستحقاتهم ".

عقب الكبير نفسه على الكلام قائلا : " هذا خطير . خطير جدا " . هذا الكبير كان مرابيا إضافة إلى عمله رئيسا من رؤساء المحكمة . عدم دفع مستحقات المقاولين العاملين فى إنشاء الطرق ، معناه أن ذلك المرابى سوف يخسر رأس المال والفائدة على القروض .

قرر المجتمعون أن يقوم المنادى بالتجوال فى البلدة فى تلك الليلة وينادى محذرًا أهل البلد جميعا ، ويطلب منهم دفع الضرائب المطلوبة

كلها ، وأن يبلغهم أيضا أن من يفشل فى الوفاء بذلك سيقدم للمحاكمة ويسجن .

بعد أن عاد بنيامين بنيامين من جولة أخرى من جولاته المنتظمة التى كان يجوب فيها أنحاء البلاد ، مساندةً لصندوق استئناف قضية أرض إجبودودو ، خاب أمله ، وأصيب بالإحباط عندما وجد عدداً كبيراً من أصدقائه ومؤيديه قد أدخلوا سجن إيباجا القذر . لم تستغرق مسألة الخروج من المحكمة إلى السجن سوى وقت قصير جدا ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى القسوة الفظيعة غير المعتادة والكفاءة منقطعة النظير التى يتمتع بها رئيس المحكمة ومساعدوه ، الذين ربطوا الواجب بالمصلحة الشخصية .

الفصل الثالث عشر

واقع الأمر أن الموقف الذى واجه بنيامين بنيامين كان أمرا صعبا بحق ومحرجا ، من وجهة نظره الشخصية . ولكنه دافع دفاعا مستميتا عندما طلب إليه أن يوضح موقفه أمام كل من الأويا ورؤسائه .

قال الأويا العجوز : " بنجا بنجا ، لماذا تركتنا ولم تعد لمساعدتنا عندما جاء الرجل الأبيض الأسود ؟ فأنت والكاتب فقط اللذان يفهمان لغته .

كان من المفروض أن تكون هنا لترجوه وتتوسل إليه . كان مفروضا أن تكون هنا لتقول له بلغته إننا أناس فقراء وأنه ينبغى ألا يزيد الربط الضريبى علينا ، يا بنجا بنجا" .

" لو كنت هنا عندما كان هو هنا ، لوافق على ما طلبناه من أجل عيونك . لماذا غبت عنا ، يا بنجا بنجا "؟

بدأ بنيامين بنيامين حديثه قائلا : " سيدى ومولاى ومولى إيباجا ، أيها الآباء ، أقدم لكم عظيم احترامى ، الآن وكما هو الحال دوما . يودو أكبان ، رئيس الحى الجديد ليس كريم المحتد . لو كان كريم المحتد بحق ، لما أثار معكم المتاعب ، فى عدم وجودى ، أنا مستشاركم

السـيـاسـى . كـان رئيس الحى الجـديد على علم بقـيـامى بتلك الحـملة الوطنيـة ، ولذلك فـقـد اخـتـار ذلك الوقت على وجـه التـحـديد ، لكـى يأتـى لإثارة المتـاعب والقـلاقل مـعكم . وهذا هـو مـا يـسـمـيـه الرجل الأبـيض الضرب تحت الحزام ".

" أنا على يقين يا بنجا بنجا أنه هو أيضا رجل أبيض ".

قال بنيـامين بنيـامين : " ولكن ، أيهـا الآباء ، يودو أكبـان لم يعد أبيض أكـثـر منى أو منك . وكل مـا فى الأمـر أن القـانون خـوله بعض السلطات . والواضح حاليا ، إنه يسىء استعمال تلك السلطات" .

قال الأوبا : " ولكنك يا بنجا بنجا ، لم تتصرف بطريقة لائقة على الإطلاق . لماذا تركتنا عند مجىء الرجل الأبيض ؟ وأين كنت يا بنجا - بنجا" ؟

" مـولاى ، كنت أتنقل من بلد إلى بلد ومن قـرية إلى أخـرى ؛ من أجل صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو " .

" ولكـن كـان بوسـعك تـأجـيل الجـولة إلى مـا بعـد مـجىء الرجل الأبيض ".

" أيهـا الآباء ، لم يكن بمقـدورى فـعل ذلك ، والسـبب فى ذلك أن مـهمتـى فيما يتعلق باستئناف قضـيـة أرض أجبودودو أمـر مهم جدا ، بل إنـها فى واقع الأمـر أهـم من مسـألة الربط الضـريبى والتماس تـخـفيف ذلك الربط " .

" ولكن الرجل الأبيض الأسود يقول إن تحصيل الضرائب هو أهم الأعمال والمهام الموكلة إلينا حاليا ".

" صحيح أن مسألة تحصيل الضرائب مهمة ، ولكنها ليست أهم من صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو . هذه القضية أمر شديد الوضوح لى بصفتى رجلاً متعلمًا ، ولكل أبناء إيباجا المتعلمين سواء أكانوا فى الداخل أم الخارج . وأنا لا أنتظر منكم أيها الكبار أن تفهموا تلك القضية بالطريقة نفسها . كل ما أريده منكم هو أن تثقوا بى ، وأن تصدقونى إذا ما قلت لكم إن يودو أكبان مخطئ وسوف يتحمل الكثير جراء تهوره وظلمه ".

فى اليوم التالى وفى الاجتماع الذى انعقد فى مبنى المحكمة برئاسة أولو Olowo، أثرى أثرياء إيباجا ، ألهب بنيامين بنيامين مشاعر الحاضرين تحريضا لهم على عدم دفع الضرائب .

ارتبك الكبار وانقسموا فى آرائهم . هل يتوقفون عن مناقشة موضوع الضرائب ويتركونه لبنيامين بنيامين ليتولاه فى مركز رئاسة المدينة ؟ أم يتعين عليهم مواصلة الإجراء غير الشعبى الذى يقضى بملاحقة المتهربين من الضرائب ؟ هذا الأسلوب الأخير هو الذى أفلح فى تحصيل المبالغ المطلوبة . بل إن الكبار أصابتهم الدهشة عندما وقفوا على أن الناس لديهم مثل هذا القدر من المال - وأنهم قادرون على دفعه إذا ما دعا الداعى وتحتم عليهم دفع المبالغ المطلوبة . إذا ما فشلوا فى تحقيق الهدف الذى حدده الرئيس المقيم هو ورئيس الحى ،

فى التواريخ المحددة ، فإن الجهد المبذول من قبل الأوبا وكبار إيباجا ، إذا لم يقس بالمبلغ الذى جرى تحصيله وإنما بعدد أولئك المتهربين والمماطلين فى دفع الضرائب ، قد يجعل الرئيس المقيم هو ورئيس الحى يتراجعان ويقرران عدم وقف رواتب الأوبا ورؤسائه . ولكن شاع القلق والاضطراب فى المدينة . وراح الزعماء يلقون باللوم لا على الإدارة البيضاء وإنما على الأوبا ورؤسائه ، الذين اتصفوا فى ذلك الوقت بالضعف والغباء والحماقة .

تساءل بنيامين بنيامين وهو ينظر فى وجوه الحاضرين : " من مِن الحاضرين هنا يود دفع هذه الضرائب الثقيلة " ؟

لم يفعل أحد ذلك مطلقا ، وصاح الجميع مؤيدين ما يقوله بنجا بنجا .

" من هنا ، فى إيباجا ، يود الذهاب إلى المرابى ليقترض منه مالا حتى يتسنى له دفع ضرائب سوف تدخل بعد ذلك جيوب أولئك الذين يعملون لحساب عدونا فى أبينو" ؟ طرح بنيامين بنيامين هذا السؤال وهو ينظر مرة ثانية فى وجوه الحاضرين .

لا أحد .

" ونحن نقبل تحدى رئيس الحى الجديد . وسوف نثبت له أننا الأحفاد الحقيقيون لمحاربى إيباجا القدامى . لقد هزمنا الأبينيين ذات مرة قبل تدخل الرجل الأبيض . وسوف نهزمهم مرة ثانية ، بغض النظر عن الخليط الذى يتكونون منه ، أو الذى يبدون عليه ، وذلك بالرغم من

انحياز الرجل الأبيض . الواقع أن يودو أكبان يعمل لحساب أهل أبينو . وأصدقاؤنا فى معسكر أبينو يبلغوننى بكل تحركاته . وهو الذى رفض العمل بالتقديرات الضريبية المعدلة ، والسبب فى ذلك أنه يود أن يصيب صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو بالشلل . وهو يعرف جيداً أننا إذا ما دفعنا تلك الضرائب الثقيلة ، فلن نستطيع توفير المبلغ اللازم للصندوق ، وبالتالى قد نتنازل عن القضية . ولكن ، يا أهل إيباجا ، هل سنتنازل عن القضية "؟

لا . لن نتنازل عنها مطلقا .

" لن نتنازل عن القضية بكل تأكيد . والرجل الأبيض لديه مثل ، مثل جميل . هل تعرفون ذلك المثل "؟

لا ، لم يعرفوا ذلك المثل . وهم يريدون من بنيامين بنيامين أن يقول لهم ذلك المثل .

" نعم ، سأقول لكم ذلك المثل . " لا أحد يمسك المحراث بيده ثم ينظر إلى الخلف" . وهناك مثل آخر : " لقد عبرنا وخطونا خطوة جريئة لا رجوع فيها ". لا تراجع إلى الوراء . ونحن الإيباجيين قد أعلنا الحرب على الأبينيين ، ولا تراجع عن ذلك . وإذا ما اعترض أى إنسان طريقنا ، سواء أكان أبيض أم أسود ، ومهما كان أو أيا كانت أهميته ، فسوف نحطمه هو والأبينيين ."

سمح بنيامين بنيامين لثلاثة آخرين بالكلام قبل أن يبلغ المجتمعين بمضمون القرار الذى اتخذوه مقاومة من جانبهم لدفع الضرائب . وهنا

تعين عليهم الاستعانة بخدمات اثنين من كبار المحامين اللذين سيحاولان إحضار رئيس الحى الجديد إلى ساحة المحكمة لمقاضاته على فرض ضرائب باهظة على الناس . كانت القضية دموية ومحفوفة بالمخاطر ولكنه كان واثقا من أن الحق سوف ينتصر وأنهم سيهزمون كل من يودو أكبان والأبينيين الذين يخدمهم . كان بنيامين بنيامين سعيداً جدا عندما أعلن على المجتمعين أن رئيس الجلسة الذى يعد أشهر الرجال ، وأكرمهم وأكثرهم وطنية ، قد وعد بدفع مبلغ خمسين جنيها لمساندة القضية المرفوعة بشأن الضرائب فى إيباجا وحيا المجتمعون ذلك الإعلان وهم يصيحون منادين باسم " أولوو!Olowo نائب الأوبا Obanla ".

قبل فض الاجتماع بلغ إجمالى التبرعات اللازمة للصرف على قضية الضرائب حوالى مائة وثمانين جنيها .

وبعد ستة أسابيع من اجتماع الاحتجاج على الربط الضريبى ، نشر فى جريدة الشئون الوطنية National Affairs ، التى تعد واحدة من كبريات الصحف الوطنية فى أبينو ، مقال يتساءل كاتبه " هل هذا تقدم أم استبداد" ؟

هل يتطور هذا الشعب على هدى من خطوط الديمقراطية الحقيقية ، تلك المنظومة الحكومية المدهشة التى لُقِّحت وولدت فى بلاد الإغريق القدامى فى الوقت الذى كانت فيه بلادنا ، التى يحكموها الحكام الحاليون ، يسكنها أسلافهم الهمجيون غير المتحضرين ؟ أم أننا

مكتوب علينا أن نُغْمَس فى فترة من الظلام فى هذه الأرض ، فترة من الاستبداد الناتج عن مكائد وحبائل أولئك الذين يطلق عليهم اسم المسئولين الإداريين ؟ قد تبدو لغتنا قوية ، ولكن الموقف يتطلب اللغات القوية حتى يتسنى إدانة الاضطهاد الواقع على أهل إيباجا المحبين للسلام . وما ذنب هؤلاء الناس وما جريمتهم ؟ وطبيعى جدا أن يتطلع القارئ إلى معرفه الأسباب . وهذا هو السؤال الذى يطرحه كل من الأوبا Oba ورؤسائه على أنفسهم . وما الذى اقترفه هؤلاء الناس حتى يقع عليهم ذلك الاضطهاد ؟ وما الجريمة التى اقترفها أهل إيباجا ضد المسئولين الإداريين ، وأفضت إلى طردهم من أرضهم ؟ وهذا هو السؤال الذى يراود الجميع .

الإيباجيون كشعب معروف عنهم أنهم يلتزمون بالقانون . بل إنهم حتى قبل هزيمتم للأبنيين وحكمهم للبلاد قبل مجىء الرجل Man الأبيض The white كانوا أناساً مسالمين . ولكن تجاوزات جيرانهم هى التى أجبرتهم على أن يستلوا سيوفهم ، ويثبتوا لهؤلاء الجيران ويؤكدوا لهم تفوقهم فى علم الحرب وتفوقهم فى الخطط العسكرية أيضا .

وها هى صلابة أحفاد الإيباجيين الشجعان القدامى معرضة اليوم للاختبار ، والغزاة فى هذه المرء ليسوا هم الغزاة التقليديين الأبينيين . وهذا لا يظهر على السطح فى أضعف الأحوال . الغزاة أو إن شئت فقل : المعتدون هم المسئولون الإداريون الذين يطلبون من الفلاحين الفقراء دفع ضرائب باهظة . الربط الضريبى لا يتناسب مطلقا مع مصادر الدخل الحقيقية عند الناس . هذه الضرائب خيالية ووقحة فى

الوقت نفسه . هذه الضرائب التى يطلبونها من الرجال الضعفاء ومن الأطفال الذين لاحول لهم ولا قوة مدعاة للسخرية والاستهزاء .

الحكمة القديمة تقول : الخطأ من طبيعة البشر . وعليه فقد خطر لنا أن الإدارة ارتكبت خطأ حقيقيا ، وأننا عندما أوضحنا لها خطأها ، كان يتعين عليها أن تشكرنا وتقوم بإصلاح ذلك الخطأ . ولكن هل شكرنا المسئولون الإداريون ؟ هل أصلحوا الخطأ الذى أوضحناه لهم ؟ هل استمعوا إلى صوت العقل ؟ إنهم لم يفعلوا أى شىء من هذا القبيل .

أمضت لجنة مراجعة الربط الضريبى التى جرى تشكيلها بطريقة ديمقراطية ، أمضت ساعات طوال فى محاولة منها لإعادة الربط الضريبى إلى مصادر الدخل الحقيقية لأهل إيباجا . أنفقت تلك اللجنة ، وهى منكرة لذاتها ، أياما وليال ، وليال وأياما ، كيما تتأكد أن أهل إيباجا لا يحاسبون على موارد لا وجود لها . كنا نعتقد أن أعضاء تلك اللجنة سيتلقون التهنئة من أية سلطة عاقلة ، على الطريقة التى اتخذوا بها أعمالهم ، وأهم الواجبات المنوطة بهم . لكن ، هل لقى هؤلاء الأعضاء ما يستحقونه من شكر ؟ بالقطع لا . لم يتلقوا أى شىء من هذا القبيل . لقد حصلوا على الإهانة والإحباط لقاء محاولتهم مساعدة كبار السن والضعفاء والمساكين . تلك كانت المكافأة التى حصلوا عليها عندما تجرأوا وقالوا إن الضرائب يجب أن تربط على أساس المداخيل الحقيقية للناس . أكثر من ذلك أن رئيس الحى اتهم أولئك الأعضاء بالخيانة وانعدام الأمانة . هل يعرف أحد من البشر شيئا منافيا للآداب

والأخلاق أكثر من ذلك ؟ محامونا يدرسون حاليا القذف العلنى فى هذا الكلام السافر الصارخ .

قد تتساءلون ، بطبيعه الحال ، عن أولئك الشياطين الذين يقفون وراء هذا الاضطهاد وخلف ذلك الشر . ونحن لا نريد بث الخوف فى نفوس القراء ، ولكن يؤسفنا أن نقول : إن فى هذا العمل الذى يقسو فيه الإنسان على أخيه الإنسان ، نجد أن الرجل الأسود هو الذى يضطهد أبناء جلدته . وحتى مع افتراض أن الضرائب الباهظة كانت من صنع مخ الرجل الأبيض ، إلا أن اليد السوداء هى التى دونت تعاليم الاضطهاد والظلم ، اللسان الأسود هو الذى اتهم أبناء جنسه بالدِّنية والخيانة . إنها اليد السوداء أيضا ، التى أيدت الأحكام بالسجن التى صدرت ضد المسنين الذين يجدون من الصعب ، بل من المستحيل ، عليهم دفع تلك الضرائب الجائرة التى يطلبها المسئولون الإداريون .

نحن دوما فى طليعة معركة وضع الأفارقة فى مواضع الثقة والأمانة وفى الوقت المحدد والتاريخ المحدد أيضا يتعين أن يكون الأفارقة هم الذين يشغلون أو يتولون المراكز الرئيسية فى إدارة البلاد ، ولكن يجب أن نحرص على وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب . يجب أن نتأكد من أننا لم نطرد الحية البيضاء كيما يحل محلها الذئب الأسود . وهذا هو السبب فى حتمية طرد يودو أكبان ، إما عن طريق الترحيل أو إبعاده عن منصبه .

الفصل الرابع عشر

لم يستلطف الأب الوقور جوسيا أوليا Olaiya، راعى كنيسة القديس چون فى إيباجا ، الموقف الذى كان يحيط به من كل جانب . فى ذلك العام ، كان مقدراً لرعاية الكنيسة أن تدر عليها خمسمائة وخمسين جنيها . كما أن نصف هذا المبلغ كان سيضاف إلى الستة والسبعين جنيها التى جرى جمعها من تبرعات الحصاد ومن المبيعات فى العام السابق حتى يمكن استكمال سقف مبنى الكنيسة . كان إنشاء تلك الكنيسة قد بدأ قبل أحد عشر عاما ، وهذا يعنى أن العمل الإنشائى فى الكنيسة استمر أيضا طيلة الأحد عشر عاما ، ولكن بمعدل بطىء جداً . بعد يوم الشكر الخاص بالحصاد ، الذى هو قربان من قرابين العام الجديد ، وكذلك ضريبة جبائية ، كما جرى أيضا بناء عمود جديد ، كما جرى أيضا طلب حمل إضافى من الخشب ، أو إن شئت فقل : جرى دفع جزء من الدين المستحق للنجار - مقاول الباطن (الذى كان هو نفسه عضوا من أعضاء الكنيسة) . وقد ذكر محصول العام الماضى من الكاكاو جمهور المصلين فى كنيسة القديس چون ، أن يتبرعوا بسخاء مما أعطاهم الله وذلك إسهاما منهم فى أعمال الله .

والإكثار منها . وقد أدى ذلك إلى أن يتوصل رواد الكنيسة إلى إعداد برنامج طموح للعام التالى .

ولكن المحصول أخفق هذا العام . وبالتالى تلاشى طموح راعى كنيسة القديس فى إمامة المصلين لأداء صلاة عيد الشكر عن محصول هذا العام .

لكن بعد إخفاق المحصول هذا العام ، ها هى السلطات المعنية تفكر جدياً فى إقامة مذبحة جماعية لأشجار الكاكاو . والأدهى من ذلك ، أن ابن الرئيس المنتخب من بين الفلاحين الذين يزرعون الكاكاو وكان حرىٍ به أن يقدر مشاعر الفلاحين حق قدرها .

وها هو المبلغ الصغير المتيسر يجرى تحويله إلى صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو ، نظرا لأن بنيامين بنيامين أخبر أهل إيباجا عن حلمه بإحياء عظمة إيباجا وشجاعتها القديمة . وأعاد إلى الأذهان وهو يشعر بالحزن والأسف قضية الرئيس مومو والرسالة التى تلقاها من ولده وقرأها عليه بنيامين بنيامين ، والتى حثه ولده فيها على دفع مبلغ خمسة وعشرين جنيهاً إنجليزيا ، من قبيل التبرع والإسهام فى صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو . صحيح أنها تحولت بالفعل إلى قضية سياسية ، فضلا عن أن كل من سيقف فى طريق تلك القضية أو يعترضها سيلقى وقتا عصيبا من كل من بنيامين بنيامين وعصابته . وإذا ما وقف راعى الكنيسة مكتوف اليدين سيجد أن المال الذى شرع بجمعه لكنيسته قد بدأ فى التبخر والذوبان .

تلا ذلك المتاعب الناشئة عن الضرائب .

راعى الكنيسة يعيش في إيباجا منذ زمن طويل ، وكان يعرف أن متاعب الضرائب ومشكلتها همٌ ودوشة تجتاح أهل إيباجا كل عام . كما كان يعرف أيضا ، أن الناس سيثورون على الربط الضريبى الأساسى أيا كان ويطالبون بتخفيضه . ومع ذلك كان رئيس الحى الجديد يحاول أن يثبت أنه مكنسة جديدة قادرة على إحداث الكنس النظيف جدا . الكنس الذى لا يبقى ولا يذر على شيء مع جمهور المصلين الذين يترددون على الكنيسة .

الواقع أن جوسيا أوليا كان معنيًا بمشكلات جمهور المصلين المالية . وها هو لم يتقاض مرتبه منذ خمسة أشهر . وخمسة عشر جنيها فى خمس أماكن لا تعد مبلغا كبيرا . ولكنه هو وزوجته وأسرة مكونة من سبعة أفراد ، تعين عليه أن يفرض على نفسه شيئا من الحرمان . ومن بين البركات التى تصيب راعى الكنيسة الكرم الذى كان يصيبه من أعضاء الكنيسة . وها هو جمهور المصلين الطيبين الذين يترددون على كنيسة القديس چون يهادون راعى الكنيسة بسباطة موز فى يوم من الأيام ، ويرسلون إليه فى الغد ثمرتين من ثمار اليام ، وفى اليوم الثالث يرسلون إليه سلة مملوءة بالذرة ، وبذلك يداومون على تزويده بمنتجات مزارعهم .

من هنا فقد ألقى موعظته فى صباح يوم الأحد التالى حول ذلك الموضوع . فقد ارتقى بهدوء ووقار الدرجات الست المؤدية إلى منبر

الوعظ فى الكنيسة بينما كان جمهور المصلين يرددون الآية الأخيرة من الترنيمة التى تسبق الصلاة . وبعد انتهاء الكلمات الأخيرة من السطر الأخير ، أشار راعى الكنيسة بالإنجيل ، إلى جمهور المصلين ، إشارةً تفيد إعادة أو تكرار الآيه كلها ، فى حين راح هو يقود المصلين حالاً محل الأرغن القديم متقلب الأطوار :

يسوع ، أثق بك ،
ثقه بلا أدنى شك :
كل من يأتى ،
سوف لا تطرده .
وعدك أمين ،
دمك ثمين –
هذان هما خلاص روحى ،
وأنت إلهى منقذى !

ابتهل راعى الكنيسة للثالوث بصوت واضح ووقور ، وانتظر برهة إلى أن استقر جمهور المصلين فى أماكنهم . وتفقد الحاضرين – إنهم هم جمهور صباح الأحد المعتاد . عدد النساء أكثر من الرجال ، كما هى العادة . أطفال كثيرون : إذ كانوا مجبرين وملزمين بالتردد على الكنيسة .

راح راعى الكنيسة يقرأ كلمات النص : " تكلم الرب بكل هذا الكلام قائلا ، أنا الرب ، ربكم الذى أخرجكم من أرض مصر ، أخرجكم من دار العبودية . سوف لا يكون لكم أرباب قبلى" . كتاب موسى الثانى ، المسمى سفر الخروج ، السورة رقم ٢٠ الآية ١ – ٣ ".

صمت راعى الكنيسة برهة وراح يتفحص جمهور المصلين مرة ثانية . وها هو واحد أو اثنان يجلسان فى الصف الأمامى ويسألان أحد المدرسين عن كيفية العثور على سفر الخروج فى الإنجيل . وها هو عازف الأرغن ، الذى كان هو نفسه ناظر مدرسة الكنيسة ، يدون ملاحظة بالقلم الرصاص ، يشير بها إلى درس الغد من الكتاب المقدس الذى سيلقيه على أعلى صف فى المدرسة . **"سوف لا يكون لكم أرباب قبلى "**.

تحول راعى الكنيسة بجمهور المصلين خلال الخطوات المألوفة لاستعباد بنى إسرائيل فى مصر ، وخلال معاناتهم الشديدة ، وكيف أرسل لهم الله سيدنا موسى العظيم بعد أن أصابهم اليأس فى عودتهم إلى أرض الميعاد . ووصف انفلاق مياه البحر الأحمر وصفا دقيقا وحيا وكيف عبر موسى هو وأتباعه البحر بسلام . قال راعى الكنيسة : " بفضل الله ، ربنا ، تهون الأشياء كلها ، وبدونه لا يهون أى شىء". قال إن مستمعيه لا ينبغى أن يندهشوا لاختياره الوصية الأولى من الوصايا العشر ليدور حولها الحديث فى ذلك الصباح . وهو لم يهدف من وراء ذلك لا الإساءة الى ذكائهم عن طريق التشكيك فى معرفتهم بالوصية الأولى . أبدا . لا شىء من ذلك القبيل . كل ما فى الأمر أنه أراد

تذكيرهم بالقول المأثور القديم : " لنفعل الأهم قبل المهم " . لقد أهملوا الفرضية البسيطة أو الأمر الواضح الذى مفاده أن الله خالق كل شىء قد طلب منهم ألا يكون لهم آلهة قبله .

لقد أزعجه وأحزنه أن يرى ويعرف أن مستمعيه الأعزاء قد وضعوا آلهة كثيرة قبل الإله الواحد الأحد . لم تكن تلك الآلهة من المادة مثل الطين أو الخشب ، ولها عينان وأنف وفم . لم تكن تلك الآلهة هى الآلهة المزيفة فى إطار الموعظة التى ألقاها القس ، وإنما انصرف الحكم أيضا إلى المال والثروة - أى كل ما يحول اهتمام المسيحى الحقيقى والمسيحية الحقيقية عن نظام الحياة المسيحية الحقيقية . كما ذكر راعى الكنيسة جمهور المصلين بعدم جدوى قلقهم وانشغالهم المميت بمسألة مرض أشجار الكاكاو وإخفاق المحصول وتدهوره . وأن الله ربهم ، يرزأ أطفاله بمثل تلك الاختبارات ليرى كيف يتصرفون مع مثل ذلك البلاء - والمسيحى الحقيقى لا يخاف تلك الاختبارات أو المصاعب . فربه وسيده نفسه أخضع أربعين يوما وليلة لإغراء Temptation التيه والقفر والخراب . ثم خرج فى النهاية منتصرا . فقد صلى لله ورجاه أن يمنحه القوة التى تعينه على الخروج منتصرا مما كانوا فيه . وكانت رسالته إليهم أن يلقوا همومهم على الله ربهم . " لا تنشغلوا بحياتكم ، لا تنشغلوا بمأكلكم أو مشربكم ، ولا بأجسامكم ، ولا بلباسكم . أليست الحياة أكثر من الطعام والجسد أكثر من الملبس ؟ انظروا إلى طيور الهواء : فهى لا تبذر ولا تحصد ، ولا تُخزن فى صوامع ؛ ومع ذلك يغذيها ويطعمها رب السماء . ألستم أنتم أفضل من تلك الطيور ؟ من

منكم يخطر بباله أنه يستطيع أن يضيف ذراعا إلى قامته ؟ إخوانى المسيحيون ، هذه الكلمات قالها المعلم Teacher العظيم فى الموعظة التى ألقاها على الجبل Mount ، تلك هى أعظم كلمات الحقيقة ، أعظم كلمات العزاء ، وهى أعظم من كل كلام آخر" .

راح مستمعوه يتأوهون بفعل جاذبية موعظته وبفعل صوته الذى كان يعلو على صوت صرير المقاعد وبكاء الأطفال . ثم توقف ليجفف عرق جبهته . وراح يتطلع إلى جمهور المصلين من جديد ، ليقنع نفسه أن الرسالة كانت تدخل إلى أعماق قلوبهم . ثم أردف بعد ذلك يقول : " المال والثروة ليسا هما الإلهين اللذين نحذر المسيحى منهما ، وإنما يضاف إليهما أيضا تلك المشاعر التى قد تبعد المسيحى عن واجبه بوصفه مسيحيا . وكذلك واجبه تجاه أولئك الذين لهم سلطة عليه . وأنا أذكر هنا وعلى الفور وبلا تباطؤ ، تلك الحركة التى تزداد حاليا قوة على قوة فى إيباجا وبين أبناء إيباجا وبنات إيباجا فى الخارج والتى تنشط لجمع المال اللازم لاستعادة قطعة من الأرض كانت ملكا لبلدهم فى يوم من الأيام . الوطنية شىء نبيل جدا . والمسيحى الحقيقى يجب أن يكشف عن حبه الشديد واستعداده من أجل الموت فى سبيل أرض آبائه وأجداده . ولكننا يتعين علينا ، فى كل ما نفعل ، أن نحرص - شأننا شأن كل المسيحيين - على ألا نخلق إلهًا آخر ونجسد فيه الوطنية . والسبب فى ذلك أننا لا ينبغى أن يكون لنا إله آخر قبل الله . والمسيحى الحقيقى يجب أن يطرح على نفسه السؤال التالى : هل سمحت لالتزامى المالى ببناء معبد الرب بالمعاناة والخلل نظرا لأنى أساهم بمبلغ

كبير فى صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو ؟ إذًا لابد للمرء من أن يعانى ، فإن المسيحى لا يتعين عليه التفكير مرتين بل مرات ليتأكد من أنه لا يفشل فى أداء واجبه تجاه ربه . المسيحى يتعين عليه أن يكون مستعداً للإقدام على ذلك الاختيار اليوم والآن ، وذلك طاعة منه واستجابه لكلام الزعيم جوشو Joshua للمخطئين من بنى إسرئيل : " اختاروا الآن ، ذلك الذى ستعبدونه . أما فيما يتعلق بى أنا وأهل بيتى ، فسوف نعبد الله " .

وركز راعى الكنيسة مستفيضًا على التزامات المسيحى الحقيقى تجاه الدولة . وهنا أصبحت واجبات المسيحى واضحة . فهذا هو القديس بولس Paul، أعظم حواريِّى السيد المسيح ، يهيب بالجميع أن يطيعوا القانون ويحترموا كل السلطات القائمة على أمرهم ؛ وفيما يتعلق بمسألة الضرائب نجد أن المسيح ، سيده صاحب الجلالة ، قد دق المسمار دقة محكمة على رأسه عندما قال بكلماته الشهيرة : " أعط ما لقيصر لقيصر وأعط ما لله لله ".

راح جمهور المصلين بعد انتهاء الموعظة التى كان يلقيها راعى الكنيسة ، ينشدون الترنيمة من أعماق قلوبهم :

المسيح هو حجر زاويتنا ،

ونحن نبنى عليه وحده ،

ومعه حواريوه المخلصون وحدهم

ساحات السماء كلها مليئة ،

على حبه الكبير

نعلق آمالنا

من الفضل الحاضر

والمباهج الفوقية .

عليهم بأناشيد الثناء

سوف تدوى تلك الساحات الجوفاء ،

سنرفع أصواتنا ؛

لنغنى للثلاثة فى واحد

وبذلك نعلن

فى أغنية عالية وطويلة

ذلك الاسم المجيد .

هنا ، يا ربنا ، اقترب

منا أكثر وأكثر

واقبل كل وعد أمين ،

واقبل تنهيدة كل مبتهل ،

بدش غزير

على كل من يصلى

على كل يوم مقدس

اسكب على كل ذلك نعماتك وبركاتك .

هنا يمكن أن نكسب من السماء

الرحمة التى نرجوها ،

وإن تلك الرحمة ، ما إن نحصل عليها ،

حتى تظل معنا إلى الأبد ،

إلى ذلك اليوم

الذى يدعى فيه المباركون

إلى راحة أبدية .

آمين .

الفصل الخامس عشر

جلس بنيامين بنيامين إلى مكتبه ليكتب المقال الذى كان سينهى به على الأب الوقور جوسيا أوليا راعى كنيسة القديس چون . والسبب فى ذلك أن بنيامين بنيامين كان ينظر إلى المعركة الدائرة بينه وبين أوليا بأنها واحدة من المعارك التى يتعين على الإنسان أن يخوضها حتى الموت . كان من رأى بنيامين بنيامين أن أوليا يعانى من مرض ميئوس منه ولا شفاء له منه إلا على يدى بنيامين بنيامين نفسه . وسوف يعطيه ذلك الشفاء على صفحات جريده الشئون National Affairs الوطنية .

بعد أن استعرض بنيامين بنيامين احتمالات عدة وقع اختياره فى النهاية على العنوان التالى : الإمبريالية تمتد إلى الكنيسة . كتب يقول :

حرية العبادة عمود من العمد الخرسانية الراسخة التى تحمل ذلك المبنى الفخم الذى نعرفه باسم الديمقراطية . وإذا ما هدمنا ذلك العمود ، هوى ذلك المبنى بكامله ساقطا على الأرض ، مثلما هوى معبد داجون Dagon، إله الفلسطينيين Phillistines، بفعل قوة شمشون الخارقة ، كما هو وارد فى الكتاب المقدس .

قرأ ما كتب مرة ثانية . ثم ابتسم . كان يشعر بالرضا لأنه افتتح مقاله افتتاحا رائعا ، تلك المقطوعة التى كشفت ، على الفور ، عن غزارة ما لديه من معلومات .. فى الهندسة ، وفى العمارة وكذلك فى الكتاب المقدس . وبعد العديد من النتف هنا وهناك ، وبعد كثير من التصحيح تبلورت عنده الفقرة التالية :

منذ فـــتـــرة ونحن ندق أجـــراس الإنذار التى تنبئ أن التنين الإمبريالى المحشور حاليا فى الزاوية بفعل القديس چورچ - قديس الوطنية - يحاول حاليا أن يجد لنفسه ملجأ وملاذا فى الكنيسة . واثقا من تقاليد قدسية الكنيسة ، تلك التقاليد الأزلية ؛ هذا الوحش يحاول فى الوقت الراهن البحث لنفسه عن ملجأ فى مكان سنكون آخر من يدعون إلى الدخول إليه عنوة والهجوم عليه عنوة أيضا - وذلك بشرط واحد فقط . أما ذلك الشرط فهو : إن المضيف يتعين عليه أن يقدم نيابة عن ضيفه المطمور ، بألا يختبئ ذلك الضيف خلف قداسة الكنيسة حتى يضمن استمراره فى ارتكاب غطرساته وحماقاته ضد شعب هذه البلاد .

راجع بنيامين بنيامين معجم Dictionary الطرق السريعة Highroads ليتأكد من هجاء الكلمة Asylum الدالة على " اللجوء " . ثم أعاد المعجم إلى الرف ، ثم رجع أيضا إلى معجم ويبستر Webster عن المرادفات والمقابلات ، كما رجع أيضا إلى معجم عالم World الصحافيين Journalists، كما رجع أيضا إلى موسوعة بير Pear .

هذه مهمة مؤلمة ويتعين علينا القيام بها بوصفنا وطنيين ومخلصين للوطن ومتحمسين للدفاع عنه . ويجب علينا إبلاغ إخواننا المواطنين ولفت انتباههم إلى أن الضيف لا يمارس خيانته وبشاعته من وراء جدران أو حيطان خاوية ، وإنما تساعده الكنيسة وتحرضه على الجريمة التى يرتكبها فى حق تحقيق أهداف وآمال ملايين السكان فى هذه البلاد العظيمة .

والمحزن للغاية ، والمؤلم للنهاية هو الاستماع إلى موعظة لا تمت إلى الوطنية أو التحمس لها والغيرة عليها بأى حال من الأحوال ، ويقوم بإلقائها واحد من رجال الدين فى إيباجا . كنا ننتظر من ذلك الرجل أن يعظ جمهور المصلين بأن يتحدث إليهم عن النصوص البسيطة الخاصة بالحياة الطيبة والجوار الطيب شأنه فى ذلك شأن المعلم Teacher العظيم Great فى موعظته عن الجبل Mount لا . الأب جوسيا أوليا ليس هو من يفعل ذلك - الذى لا نطيق إلا أن نأتى على اسمه هنا . وبدلا من أن يقتصر تناوله على احتياجات جمهور المصلين بروحية ، نجد أن ذلك الرجل الكريم المحتد يقف على رجليه الخلفيتين على منبر كنيسة القديس چون فى إيباجا ، صباح يوم الأحد ، الموافق الرابع والعشرين من شهر يوليو فى العام الميلاى ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين ويقول لجمهور المصلين أن يفعلوا كل ما تأمرهم به الإدارة البيضاء ، وأن يتجاهلوا كل ما يقوله لهم زعماؤهم الوطنيون . صحيح أن من حق جوسيا أوليا إسكواير Esquire أن يكون له رأيه الخاص شأنه فى ذلك شأن أى واحد منكم أو أى رجل آخر ، ولكن إذا كان لابد

من التعبير عن مثل هذا الرأى أمام جمع مميز أو معين من الناس ، فإن مثل هذا الرأى لا يجب أن يكون موجها لتضليل الناس .

نحن أبناء إتحاد أحفاد إيباجا على قناعة تامة بأن رأى السيد أوليا بالصورة التى عبر بها عنه أمام جمهور المصلين الإيباجيين البسطاء ، يعد أمراً غاية فى الخطورة ، ولا يجب أن يمر دون تحد ، ومن رأينا أنه إذا كان جوسيا أوليا ، عميل الإمبريالية ، يود الدخول فى مجال السياسة فما عليه إلا أن يستعد ويشهر لنا مهارته الكتابية وينبرى مواجها لنا . ونحن بدورنا سنقبل ذلك التحدى سواء أكان على حلبة المناظرة أم على صفحات هذه الجريدة . سنقاتله فى أى يوم وفى أى مكان قتالا مريرا . ولن يهدأ لنا بال إلا إذا أطحنا به وبسيده الإمبريالى .

كان سعيدا بالعضة الأخيرة . ولعله يريد بحق أن ينبرى رجل الدين داخلا حلبة المناظرة ؛ لقد كان على يقين من أنه قد يتقاعد بسبب الحيرة والارتباك . أما هو ، بنيامين بنيامين ، فسوف يغلبه على أمره باستخدام النظريات السياسية والأسواق الاقتصادية ، فضلا عن الموضوعات الأخرى التى تعد غريبة على رجل الدين . سيسحبه إلى المياه العميقة التى من قبيل الشيوعية المادية والقومية الأفريقية ثم يتأكد بعد ذلك من غرق خصمه فى بحار الصراع . كان متأكدا من نجاحه لأنه استطاع أن يتخير الكلمات الطويلة المتدحرجة التى يعرف أنها ترضى جمهوره من المصلين . هو يعرف أيضا أن جوسيا أوليا تخرج

من كلية المعلمين منذ زمن بعيد ، ونظرا لأنه لم يتحدث بالإنجليزية فى الاجتماعات إلا نادرا ، فمن المؤكد أنه قد يقع فى كثير من الأخطاء التى قد تتسبب فى إضحاك جمهوره منه سخرية واستهزاء . يضاف إلى ذلك أن بنيامين بنيامين سخر سخرية واضحة من الأخطاء الخيالية التى وقع فيها خصمه وغريمه . واستطرد بنيامين بنيامين مستكملا مقاله فقال :

يجب أن نلفت انتباه رئاسة الأكليروس إلى سجل الأعمال السوداء التى ارتكبها ذلك الرجل كريم المحتد الذى طال عمره أكثر من فائدته وجدواه فى إيباجا . ولا يزال الأمر لغزا محيرا فيما يتعلق بالطريقة أو الكيفية التى استطاع بها ذلك الرجل ، بالرغم من سجله الأسود عندما كان ناظرا للمدرسة ، أن يرقى إلى مستوى رجال الدين ، ويجرى تسكينه أيضا فى كنيسة المدرسة نفسها التى أوشك على تخريبها تماما بسبب غبائه وتعصبه .

نحن لا نود الدخول فى معركة أو عراك مع الكنيسة . ولكن ، إذا لم تتخلص الكنيسة من أوليا وأمثاله بين رجال الدين ، فسوف لا تنجو أو تهرب من الغضب الذى ستصبه عليها هذه الأمة عندما تحصل على حريتها . وهذا هو السبب الذى يجعلنا نطالب بإقالة جوسيا أوليا ، إما بالترحيل أو تخفيض النفقات .

راجع بنيامين بنيامين المقال مرة ثانية وغير فيه كلمة هنا وكلمة هناك . وابتسم ابتسامة الرضا ومضى يكتبه على آلته الكاتبة .

ثم كتب فى النهايه خطاب تغطية إلى رئيس تحرير جريدة الشئون الوطنية National Affairs، وشدد فى ذلك الخطاب على إعطاء الأولوية القصوى لذلك المقال .

ونشر المقال فى الصفحة الأولى من الجريدة بعد ذلك بخمسة أيام .

الفصل السادس عشر

أسفر المقال الذى كتبه بنيامين بنيامين ضد الأب الوقور جوسيا أوليا عن وصول أربعة خطابات جرى نشرها فى عمود " القراء يقولون " فى جريدة الشئون الوطنية . وقد أدان أصحاب تلك الرسائل الموعظة التى ألقاها ذلك القس غير الوطنى الذى يعمل راعيا لكنيسة القديس چون فى إيباجا . وأثنت واحدة من تلك الرسائل على كاتب المقال الأصلى بشجاعته على الكتابة بمثل هذه " الصراحة والبصيرة النافذة " فى موضوع يخشى الاقتراب منه أو الكتابة فيه الآلاف من رجال الدين المخدوعين فى البلاد . وهنأ الكاتب على كشف ذلك الذئب الذى كان يتخفى فى جلد حمل وتمنى له المزيد من القوة والمساعدة . رسالة أخرى ، نوه كاتبها إلى اعتبار ذلك القس خائنا ، وإذا لم يبادر الأسقف وعلى الفور بإبعاده عن الكنيسة ، فإنه سوف يقترح على جمهور المصلين التوقف عن التردد على الكنيسة . وأنه هو نفسه سوف يتوقف اعتبارا من ذلك اليوم عن التردد على الكنيسة احتجاجا منه على جوسيا أوليا .

اطلع الأب الوقور جوسيا أوليا ، فى إيباجا نفسها على المقال الرئيسى كما وقف أيضا على الزوبعة التى أثارها ذلك المقال . وتلقى

جوسيا أوليا رسالة إستجوابية قصيرة من الأسقفية التابع لها ، ورد على تلك الرسالة بما معناه أن تلك الصحيفة حاقدة عليه وبالغت فى الأمر . وباستثناء رسالة الأسقف ، كان ذلك الأب الوقور يعلم أن تلك العاصفة كانت مقصورة على صفحات جريدة الشئون Affairs الوطنية National ،يضاف إلى ذلك أن الغالبية العظمى من جمهور المصلين كانوا من الأميين الذين كانوا لا يعرفون اللهجة المحلية أيضا ، فضلا عن أنهم جميعا كانوا لا يعرفون الإنجليزية . زد على ذلك أن جمهورالمصلين لم يكن على علم بما يدور على صفحات جريدة الشئون الوطنية ، وكانوا يحيون حيوات متخلفة فى إيباجا ، وكانوا لا يدرون شيئا مطلقا عن الجدل الدائر والذى يعدون هم وكنيستهم وراعيها أيضا أطرافا رئيسية فيه .

تغيب بنيامين بنيامين شخصيا عن إيباجا عدة أسابيع . فقد أعلن عقب تلك الموعظة المستفزة ، أنه سيقوم بجوله أخرى متصلة بمسألة صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو . وحقيقة الأمر ، أن بنيامين بنيامين ذهب فى تلك الجولة إلى أبينو لمقابلة الصحافة حول موضوع الأب جوسيا أوليا . ولكن ذات ليلة ، عندما كان بنيامين بنيامين فى أبينو ، قاد سيارته وهو مخمور إلى حد ما (ويفكر فى صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو) فاصطدم بجدار من الجدران . وأصيبت السيارة بتلفيات بسيطة ، ولكن رسغ يد بنيامين بنيامين اليسرى أصيب بجرح كبير ، حتم نقله إلى المستشفى .

وأثناء غياب بنيامين بنيامين فى المستشفى حل موعد نظر استئناف قضية الربط الضريبى المرفوعة من رابطة دافعى الضرائب فى إيباجا على الحكومة ، أمام المحكمة الجزئية فى إيباجا . وطلب المحامى الذى أبلغ رئيس المحكمة أنه يحضر نيابة عن الرابطة ، تأجيل نظر القضية نظرا لعدم اكتمال ووضوح المعلومات التى تلقاها من الموكل . وكان أمر حضور أمام المحكمة قد صدر إلى رئيس الحى ولذلك تعين على يودو أكبان الحضور إلى إيباجا فى ذلك اليوم للمثول أمام المحكمة . فالقضية لم تكن قد رفعت بطريقه صحيحة أمام المحكمة وذلك لأسباب فنية عرضها يودو أكبان على المحكمة . كما أوضح يودو أنه ليس هناك دليل على أن هناك رابطة رسمية يطلق عليها اسم " رابطة دافعى الضرائب فى إيباجا " من هم هؤلاء الذين يدفعون الضرائب ، ومن هو سكرتير تلك الرابطة ؟ وأين يوجد مقر تلك الرابطة ؟ وزاد على ذلك بعضا آخر من الأسئلة . ولم يكن لدى محامى الرابطة أية إجابة عن هذه الأسئلة ، وأن كل ما فعله هو طلب تأجيل القضية إلى أن يتلقى من موكليه المعلومات الكاملة .

وفيما يتعلق بوكيل المحامى ، ذلك الرجل الضخم الذى شوه الجدرى وجهه ، فقد شرح لمجموعة من رجال إيباجا خارج غرفة المحكمة أن المحامى كان محددا له المثول أمام محكمة أبينو فى اليوم نفسه وأنه سوف يغادر إيباجا خلال دقائق معدودات . كان وكيل المحامى يود أن يبلغ أعضاء الرابطة أن قضيتهم واحدة من القضايا الصعبة جدا ؛ نظرا لأنها تتعلق بالضرائب وبالحكومة . ومعروف أن أية

قضية ترفع ضد الحكومه تحتاج إلى محام ذكى جدا . كما تحتاج أيضا إلى مبالغ كبيرة . وأن هذا كان السبب وراء حضور بنجا بنجا إلى مكتب المحامى على سبيل المثال . وهو يعرف أن المحامى واحد من أمهر المحامين فى البلاد .

بعد ذلك بفترة قصيرة ، ظهر ذلك المتعلم ، وهو يرتدى حلة أنيقة سوداء وحذاء أنيقا أسود . كما أن شاربه الأنيق أيضا كان يضفى عليه طابع التحضر .

طلب ذلك الرجل مقابلة رئيس الرابطة وسكرتيرها . وقيل له إنهما لم يكونا فى المدينة . إذ كان السيد أولووكيرى قد سافر إلى أبينو وكان محدداً له أن يعود فى ذلك اليوم . أما بنجا بنجا فقد سافر فى جولة لجمع التبرعات لصندوق استئناف قضية أرض إجبودودو . وسيعود قريبا جدا .

قال شاب صغير : " أنت كثير الكلام . كل ما ينبغى عليك قوله هو أن زعماءنا ليسوا موجودين هنا . ولا يتحتم عليك الكلام عن موعد عودتهم . والسبب فى ذلك أنك لا تعرف ذلك على وجه اليقين ، فهل تعرفه حقا "؟ وجه هذا الشاب سؤاله الأخير هذا إلى جمهور الحاضرين بصفه عامة .

" لا تقاطعنى فأنا أعرف ما أقول " .

أردف الشاب الصغير قائلا : " بفرض أنك قلت أن أولو Olowo سيعود اليوم ، ولكنه لم يأت . فهذا يعطى انطباعا أنك تعطى هذا

الأستاذ معلومات غير صحيحة . ولا يجب أن يغيب عن ذهنك أنه محام . ألا تفهمون جميعا الأسباب التى تجعلنى أنادى بأننا ينبغى علينا عدم تقييد أنفسنا "؟ أظهرت الإيماءات العديدة أن الجماعة كلها كانت توافق ذلك الشاب على رأيه . " كل ما يتعين علينا قوله هو أن زعماءنا ليسوا فى المدينة . وأنهم عندما يعودون سيذهبون إلى أبينو لمقابلة المحامى . أليس كذلك "؟

ابتسم المحامى ، ابتسامة تنم عن التحضر . وأبلغهم أنهم عندما يكونون مستعدين للسير فى القضية فإنهم يتعين عليهم الاتصال به عن طريق وكيله الذى هو من بلدهم . كان ذلك الوكيل مهتما بالقضية نظرا لحبِّه لأهل إيباجا . هم أناس كرماء المحتد ، وهو لم يعرف طوال حياته العملية سوى قلة قليلة منهم . يضاف إلى ذلك أن المحامى لم يندم على تبنيه تلك القضية والترافع فيها .

بعد ذلك بأسبوعين تلقى أولو Olowo رسالة من بنيامين بنيامين ، مكتوبه من المستشفى . قال بنيامين فى رسالته إن المحامى زاره فى المستشفى ، واتفقا على نصوص القضية . وأنه طلب أتعابا تقدر بمائة وخمسين جنيها إنجليزيا ذهبيا ، على أن يأخذ منها دفعة مقدمة تقدر بحوالى خمسة وسبعين جنيها . وقال أيضا إنه استعمل نفوذه مع المحامى لينقص الأتعاب من مائه وخمسين جنيها إلى مائة وعشرين جنيها ، وأنه دفع له ستين جنيها على سبيل المقدم . أما النصف الباقى فسوف يحصل عليه بعد كسب القضية . كما قال بنيامين أيضا ، إن المحامى على يقين من كسب القضية ؛ وأنه لهذا السبب

اتصل ببعض الناس الذين لهم علاقة بتلك القضية ، وذلك بدءا من الشرطه وانتهاء بالقمة - كل من له أية علاقة بالقضية . " ومقابلة " مثل هؤلاء الناس أمر مكلف بطبيعة الحال ، نظرا لتورط أناس مهمين فى تلك القضية . ولفت انتباه كل من الرئيس ومسئول الخزانة إلى أنه اضطر إلى دفع ستة وثلاثين جنيها من الثلاثة والستين جنيها التى أخذها المحامى على سبيل المقدم ، من حساب استئناف قضية أرض إجبودودو ، نظرا لأن إجمالى الرصيد فى الحساب رقم ٢ الخاص " صندوق استئناف قضية الربط الضريبى " كان حوالى اثنين وأربعين جنيها وعشرة شلنات (رصيد مدفوع) ومائة وسبعة عشر جنيها وعشر شلنات (وعود بتبرعات) . ونظرا لأن المبلغ المطلوب كان أكبر بكثير مما كان متوقعا ، فإن أهل إيباجا يجب إبلاغهم لا بدفع المطلوب منهم فحسب وإنما لابد من فرض ضرائب جديدة عليهم . وأعرب بنيامين بنيامين عن حزنه لوجوده فى المستشفى فى الوقت الذى يعد حضوره فيه مهما وحيويا لنجاح القضيتين المعروضتين على القضاء . ومع ذلك ، كان بنيامين بنيامين على يقين من أن السيد أولو Olowo رئيس الرابطة هو ومسئول الخزانة سيقومان باللازم لتحفيز أهل إيباجا . كما حذر الرئيس وطلب منه مراقبة نشاطات " بعض الشخصيات المهمة فى إيباجا الذين يعملون لحساب أوبا (ملك) أبينو " .

بدأ الناس يحرفون قصة الحادث الذى وقع لبنيامين بنيامين ، ودخوله المستشفى عقب الموعظة التى ألقاها جوسيا أوليا ، تحريفا سيئا فى مدينة إيباجا . قال البعض إن الله قتله لأنه كان يضلل

الناس ، وذلك من منظور ما أشاعه ذلك الأب الوقور . وقال بعض ثانٍ إن بنيامين بنيامين هرب من إيباجا ولن يعود إليها مطلقا . وقال بعض ثالث إن يودو أكبان قبض عليه بالفعل فى أبينو وأنه مسجون بالفعل .

كما شوه الناس أيضا رواية بنيامين بنيامين التى مفادها أنه دفع مائة وعشرين جنيها ذهبيا لمحامى استئناف الربط الضريبى ، وأنه أعطاه منها بالفعل مبلغ ستين جنيها على سبيل المقدم . وقيل أيضا إن المبلغ الذى جمعه بنيامين بنيامين يقدر بمئات الجنيهات ، وليس مجرد اثنين وأربعين جنيها وعشرة شلنات طبقا لما ورد فى رسالته التى أرسلها إلى أولو Olowo .

" هل يقولون إن كل واحد منا يتعين عليه دفع ثلاثة جنيهات أخرى ؟ وأنا إذا ما دفعت ثلاثة جنيهات أخرى سيكون إجمالى ما دفعته سبعة جنيهات ، وهل سيدفع كل هذا المبلغ وكل هذه النقود للمحامى الذى سيقف فى وجه رئيس الحى فى قاعة المحكمة " !

" كم كان ربطى الضريبى الأصلى ؟ ستة جنيهات وخمسة عشر شلنا . استطعت تخفيضها إلى جنيهين ، بعد مقابلتى مع رؤساء الاستئناف . ولكن المبلغ الذى سأدفعه للمحامى الذى سيقاضى رئيس الحى ، أكبر من المبلغ الذى طلب منى رئيس الحى أن أدفعه فى البداية . ألا تنظرون إلى الأمر بهذا المنظار" ؟

" عجيب ، أنا لا أنظر إليه من هذا المنطلق " .

عندما زار يودو أكبان إيباجا بعد ذلك التقى الأوبا (الملك) النادم والتقى رؤساءه كما التقى الناس أيضا . كان الجميع يدفعون الضرائب المربوطة عليهم وأبلغه كاتب الضرائب وهو سعيد أن الأزمه قد انتهت . تحدث يودو أكبان إليهم فى قاعة المحكمة . وأكد من جديد على ضرورة دفع الضرائب ، وحلق بهم فوق المجالات المعروفة والشهيرة التى تدور حول إنشاء المرافق الاجتماعية مثل المدارس والمستشفيات والطرق . وهنأهم لأنهم وقفوا على الحقيقة وفهموها فى النهاية ، وتمنى لهم ألا يسمحوا لأحد بتضليلهم بعد ذلك .

كما أبلغهم يودو أكبان أن الحكومة لا يمكن أن تتأخر أكثر من ذلك فى عملية أو إجراء تقطيع أشجار الكاكاو المريضة نظرا لاستمرار انتشار المرض ، وخاصة أنهم شاهدوا ذلك بأنفسهم . كما قال لهم أيضا إن الحكومة بدأت تقطيع الأشجار فى بعض المزارع المملوكة لأهل أبينو . ففى أبينو عرف الناس السبب . وأدركوا أن الحكومة كانت تساعدهم وتقدم لهم يد العون ، من هنا بدأ الناس يتعاونون مع الحكومة فى مقاومة ذلك المرض الفظيع . وتمنى أن يعرف أهل إيباجا السبب أيضا ويتعاونوا مع الحكومة فى وقف انتشار المرض قبل فوات الأوان . قال الإيباجا العجوز : " أيها الرؤساء ، أيها الكبار ، ويا شباب إيباجا ، لقد استمعتم إلى كلام الرجل الأبيض الأسود . لقد أسمعنا كلاما خطيرا . عبروا عما فى أذهانكم . ماذا نحن فاعلون " ؟

كان الكبير الذى تكلم فى البداية يود أن يعرف إن كان رئيس الحى أفريقيًا بحق وحقيقة ، أم أنه كان رجلا أبيض فى بشرة مطلية

باللون الأسود . وعندما عبر أحد الحاضرين عن ضيقه بكلام ذلك الكبير ، عندما طرح ذلك التساؤل ، رد عليه الكبير أن لديه الأسباب التى دفعته إلى طرح ذلك التساؤل ، وقال أيضا : إنه سوف يوضح تلك الأسباب على وجه السرعة . وبعد أن ترجم الكاتب ليودو أكبان تساؤل ذلك الكبير العجوز ابتسم يودو وقال ، من خلال الوسيط المترجم ، إنه أفريقى إلى النخاع شأنه شأن المتحدث ، وإنه لا أثر فيه إطلاقا للابيضاض . إذن ، فما الأسباب التى منعته من الدوران على الكبار وزيارتهم فى بيوتهم ليشرح لهم الأمور ويوضحها فى شرفات منازلهم الهادئة الآمنة ؟ ألم يعلم أن ما قيل فى المحكمة أدى إلى كثير من الارتباك ؟ ألم يعلم أن الروح التى سيطرت على قاعة المحكمة إنما كانت روح شريرة ؟

أعرب معظم من تكلموا بعد ذلك عن عدم فهمهم للربط الضريبى فهما حقيقيا ، ولكنهم أصبحوا الآن فاهمين ومتفهمين له تماما ، وأنهم سوف يدفعون التقديرات الصحيحة . وفيما يتعلق بموضوع تقطيع أشجار الكاكاو فقد وضعوا الأمر برمته وأسلموه للإدارة . ولكنهم طالبوا بتعويض عن الأشجار التى سيجرى تقطيعها . كما طالبوا الرجل الأبيض بإدخال محصول اقتصادى جديد يحل محل الكاكاو . كما طالبوا الحكومة أيضا بإمدادهم بماء نقى من خلال الأنابيب ، شأنهم فى ذلك شأن أهل أبينو .

كان يودو أكبان مستعداً بالفعل لدفع التعويضات . وأعلن على الحاضرين أن الحكومة ستدفع ثلاث شلنات تعويضا عن الشجرة مكتملة النمو التى سيجرى قطعها ، وستدفع شلنا واحداً وستة بنسات

عن كل شجرة صغيرة غير مكتملة النمو والتى لم تبدأ بعد فى إنتاج الثمار .

" أنا سعيد ، سعيد جدا لأنكم ، الأوبا والرؤساء ، وكذلك أهل إيباجا توصلتم اليوم إلى قرار حكيم . وهذا هو أفضل قرار فى ظل الظروف المؤلمة . أنا سعيد لأنكم أدركتم اليوم أننا يتحتم علينا تقديم العلاج الناجع لذلك المرض الفعال ، وأن ذلك العلاج لم يكن مخططا من قبل الحكومة ومفروضا عليكم كيما يثير حميتكم ويضايقكم ، كما يدعى مثيرو القلاقل والاضطرابات .

وأنا سعيد جدا أيضا أن أرى أنكم جميعا تطالبون بمشروع لإمداد إيباجا بالماء النظيف ، هذا يعنى أنكم تدركون وتعون الحقيقة التى مفادها أن الصحة ثروة . وسوف أقدم اليوم طلبكم هذا إلى سكرتير التنمية . وستبدأ بعد ذلك الأعمال التحضيرية الضرورية . ومع ذلك ، فأنا أحذركم ، وبخاصة الأوبا والرؤساء وكذلك أهل إيباجا ، إن ذلك المشروع سوف يستغرق بعض الوقت . نظرا لأهمية الانتهاء من الأعمال التحضيرية ، ولابد أيضا من دراسة وإعداد الخطة اللازمة لذلك . كل هذه الأشياء يتعين إتمامها والقيام بها قبل البدء فى تنفيذ مشروع مياه إيباجا . ومن ثم ، إذا لم يكتمل المشروع خلال ستة أشهر أو عام ، فذلك يعنى أنكم يجب أن تتفهموا أسباب ذلك . ولا يجب أن تسمحوا لمثيرى المتاعب والاضطرابات بأن يخدعوكم بأن يجعلوكم تظنون أن الحكومة قد تخلت عن المشروع . يا جلالة الأوبا ، ويأيها الرؤساء ، ويا أهل إيباجا لكم جميعا منى خالص تحياتى " .

الفصل السابع عشر

خلال الأسابيع القليلة التى أعقبت ذلك ، بدأت إيباجا تعج باجتماعات من نوع مختلف عن اجتماعات المناشدة الخاصة بجمع المبالغ والتبرعات اللازمة للتقاضى فى قضية الأرض من ناحية ، واجتماعات الاحتجاج على دفع الضرائب من ناحية ثانية . وبدأت تتردد على المدينة وتغزوها موجات من المسئولين الحكوميين الموفدين من قبل الرئاسة العامة . بعض هؤلاء المسئولين اتجه إلى المزارع وراحوا يفحصون أشجار الكاكاو تحت المجهر . وقام بعض ثان بعمل مسح للمجارى المائية فى الحى وطرحوا على النساء الخائفات بعضا من الأسئله التى لا معنى لها .

" من أين يبدأ هذا المجرى المائى انسيابه .. هل ظننت أن ذلك هو السؤال الذى طرحه الرجل الأبيض ؟ أنا لا أعرف بحق منبع ذلك المجرى المائى ".

" من أين ينبع المجرى المائى ؟ أنا أعرف ذلك بطبيعة الحال . هذا المجرى المائى ينبع من النافورة التى نتجت عن الدموع التى سالت من عينى الابنة الكبرى للروح التى أسست إيباجا وأنشأتها . كانت تبكى

عندما بلغها أن الأبينيين بتروا رأس والدها . هل طلبت منى أن أصحبك إلى ذلك المكان ؟ أنا لا يمكن لى بطبيعة الحال أن أصحبك إلى ذلك المكان . إنه يتمثل فى الغابة السوداء الواقعة فى التلال التى تقع فى أعماق أرض إجبودودو . وممنوع على الناس دخول تلك الغابة ؛ نظرا لأن الأرواح الشريرة تحوم حول المكان" .

" هل سألتنى إن كان ذلك المجرى المائى يجف فى بعض الأحيان فى أثناء موسم الجفاف ؟ نعجز فى بعض الأحيان عن الحصول على الماء ، وفى بعض الأحيان الأخرى نستطيع الحصول عليه . أهذا هو ما يريده الرجل الأبيض "؟

فى بعض الأحيان كان بعض ثالث من المسئولين الحكوميين يأتون إلى الميدان الكائن أمام مبنى المحكمة ، ويجلسون فيه ، يتحاورون ويهزون رءوسهم أو يومئون بها علامة على الموافقة ، ويبدون الكثير من الملاحظات . ثم يسكبون بعد ذلك سائلاً بنى اللون من قارورة ، ويبدءون فى شرب ذلك السائل فى الميدان الفسيح ، غير عابئين بنظرات الفضوليين إليهم . ثم يرحلون بعد ذلك إلى حيث أتوا .

كل ذلك كان يحدث أمام فضول أهل إيباجا وإعجابهم . فقد كانوا يتجمعون على بعد مسافة معقولة ويروحون يراقبون تلك النشاطات التى لم يعرفوا الهدف منها .

وفى معظم الأحيان كان الرئيس آجاى الذى لا يكل ولا يمل يرافق المسئولين هنا وهناك . وكان يصحح ، هنا وهناك ، الأخطاء التى كان

المترجم الرسمى يقع فيها ، فى الأسئلة والإجابات التى كانت تدور بين الناس والمسئولين . يضاف إلى ذلك ، أنه كان يوضح النقاط التى كان يستشعر أنها بحاجة إلى التوضيح . " كل هذه الأشياء التى تود الحكومه القيام بها سوف تحدث تغييرات مدهشة هنا فى بلادنا . وهذا هو السبب الذى يحتم علينا أن نحرص على عدم التخلى عن تلك المزايا المدهشة والعجيبة بسبب عنادنا وتصلبنا . ونحن إذا لم نتعاون مع الحكومة ، فإنها ستنقل تلك المزايا إلى مدن أخرى " .

وفى أحيان كثيرة ، كان الرئيس مومو يتنقل فى سيارة المسئول الطبى إلى أن يصل إلى مسافة ربع ميل على المجرى المائى الصغير خارج البلدة . وقد أبلغوه أن البلدة سوف يجرى ، على الأرجح ، إمدادها بالماء النظيف من ذلك المجرى . ودوّن المسئول الطبى فى مفكرته ، فى مساء ذلك اليوم ، أن الرئيس مومو لم يعترض على تلك الفكرة ولم يعلق عليها .

ولكن الحكومة كانت سعيدة بغير ذلك ؛ إذ كان يودو أكبان قد كتب فى تقرير سرى أرسله إلى الرئيس المقيم ، أن أهل إيباجا قد فهموا السبب أخيرا وبدأوا يتعاونون مع الحكومة تعاونا كاملا . وأثنى يودو على العمل الطيب الذى يقوم به الرئيس آجاى ، الذى وقف ، بالرغم من عدم شعبيته الناتجة عن تحريف الحقائق ، إلى جانب الحكومة ، عندما راح يشرح لأهل إيباجا النوايا الحسنة التى تضمرها لهم الحكومة . كما تطرق إلى ذكر رجل اسمه بنيامين بنيامين ، " ذلك الرجل الذى يبذل الكثير من أجل الوقوف فى وجه الإدارة" ، كما أتى

أيضا على ذكر الرئيس مومو ، الذى يعد قلعة من قلاع النظام القديم ، ولكن المفرح أنه ارتد حاليا وراح يساير الأزمان المتغيرة .

تولى المساعد الزراعى الذى كان يرتدى ملابس كاكية اللون ، وخوذة وقميصًا ، وبنطالاً قصيرًا ، وحذاء متعبًا برقبة - قيادة فريق مرض الكاكاو الذى جاء من إدارة الزراعة فى أثناء قيامه بعمله . لم يستلطف أهل إيباجا هم والقرى المحيطة بهم نظرات ذلك الرجل ، ولا سلوكياته المفاجئة المتغيرة . إذ كان يتحدث لغة غير لغتهم ؛ نظرا لأنه لم يكن واحدًا من قبيلتهم ، وسرت شائعة تقول إنه جاء من بلدة يودو أكبان ، أى من الضفة العكسية للنهر ، أو إن شئت فقل : المجرى المائى . بعض آخر من الناس قالوا إنه شقيق يودو أكبان .

شاهدوا تلك العصابة وهى تتنقل من شجرة إلى أخرى ، ومن مزرعة إلى مزرعة . كانوا يراقبونها فى صمت ، ويهزون رءوسهم رفضا وحزنا وهم يرون الأشجار وهى تطلى باللون الأحمر الواحدة بعد الأخرى .. حكم الإعدام . كانوا يكرهون كل هذا الأمر برمته . فضلا عن أن سلوك أفراد ذلك الفريق وإهمالهم وعدم تعاطفهم مع أصحاب المزارع أدى إلى تعقيد الأمور . وراح الناس يهزون رءوسهم رفضا ويتفلون على الأرض تعبيرا عن غضبهم . ولكن أحدًا من المسئولين لم يلق بالاً لاستيائهم وتذمرهم .

كانت عملية تقطيع الأشجار مقررًا لها أن تبدأ فى مزرعة الرئيس أجاى الواسعة . فقد تطوع ذلك الرئيس ، بأن تكون مزرعته الأولى التى

ستستضيف أولئك الضيوف غير المرغوب فيهم ، ليضرب بذلك مثلا أمام إخوانه المواطنين ، أن تقطيع الأشجار هو أفضل ما يمكن عمله ، وتقرر لمسئول الزراعة أن يشرف بنفسه على التقطيع فى مراحله الأولى . كان العمل الذى سيجرى فى مزرعة الرئيس آجاى بمثابة بيان عملى عن عملية التقطيع الفعلى ، وطريقة التخلص من الأشجار المصابة بطريقة لا ينبعث معها الموت من قبور تلك الأشجار المصابة ، ليصيب من جديد بقية الأشجار السليمة التى مازالت على قيد الحياة . من هنا تقرر أن يلتقى بعض الفلاحين المنتقين للقاء مسئول الزراعة فى مزرعة آجاى .

كان مسئول الزراعة قد حدد موعداً للقاء الرئيس آجاى عند الساعة العاشرة أمام مبنى المحكمة ليصحبه إلى المزرعة . ولكن آجاى غرب عن طريق مسئول الزراعة لينقل كرم المسئول إلى الرئيس مومو - كل ذلك من أجل شفاء الرئيس مومو شفاء تاما من انعدام ثقته بالأفكار الجديدة .

استغرق استعداد مومو وقتا طويلا . والحقيقة التى لم تكن معروفة لرفيقه حتى ذلك الحين ، تتمثل فى أن ذلك الرجل العجوز لم يكن يثق فى سلامة الحيلة التى كانت ستعمل عملها فيهم . ولذلك أمضى الرجل وقتا طويلا فى استشارة تعاويذه وتمائمه فيما يتعلق بالحكمة من تلك الرحلة . وبعد أن وصل كل من آجاى والرئيس مومو إلى الميدان الكائن أمام مبنى المحكمة لم يجدا سيارة مسئول الزراعة هناك . وهنا أبلغتهم جماعة من الأطفال والصبية ، أن الفلاح الأبيض جاء إلى الميدان ،

وانتظر برهة قليلة ثم اتجه بسيارته بعد ذلك قاصدا مزرعة الرئيس آجاى .

ظهر الغم والحزن على وجه الرئيس آجاى . إذ كان يكره اتهام المسئولين له بعدم احترام المواعيد والحفاظ عليها . ولكنه فى هذا اليوم بالذات فضل رفقة مومو على الحفاظ على الموعد والالتزام به ، وبالتالى جاء الفلاح الأبيض ثم انصرف لحال سبيله . وهنا تعين عليهما الذهاب إلى المزرعة عن طريق سيارات النقل .

اضطربت عينا مومو العجوز فى تجويفيهما عندما علم أنهما مضطران إلى السفر فى سيارة من سيارات النقل . والسبب فى ذلك أن السفر ، أو التنقل فى أية مركبة لم يكن يعجب مومو أو يروق له . زد على ذلك ، أن سفره أو انتقاله فى سيارة لنقل الركاب أخافه بشكل لا يمكن وصفه أو تصوره ؛ ولذلك قال إنه سيسير بدلا من الركوب . سيمشى بسرعة ، ويسبق الرئيس آجاى ويدركه . قال مومو : إن آجاى لا يجب أن يحتقر المشى ، نظرا لأن والده وجده وجد جده من قبله كانوا يسيرون على أقدامهم قبل مجىء الرجل الأبيض وإحضاره السيارة معه هى ومشكلاتها ومتاعبها . كما أعرب العجوز عن استعداده فى البدء بطريقة الانتقال من مكان إلى مكان التى لم تخيب ظنه أبدًا .

قال أحد الموجودين فى ميدان السوق على سبيل التنكيت والمزاح " خائف من ركوب سيارة النقل ، أيها العجوز "؟ . وهنا انضم إليه آخرون فى الضحك والمزاح .

" لعله يموت ، فقد بلغ من الكبر عتيا . وهنا سوف يستضيف أبناؤه أهل المدينة جميعا مدة ثلاثة أيام " .

وهنا نادى الرئيس آجاى على الجميع وطلب منهم التزام الهدوء . " هذا الموضوع الذى تناقشه مستخفا به ، هو من الموضوعات بالغة الخطورة . ومن الخطأ أن تتكلم عن العجوز بالطريقة التى تتكلم بها الآن . وأنت إذا كنت تصلى راجيا الله أن يمد فى أجلك قبل وفاتك ، فذلك أدعى لك أن تحترم الكبر والشيخوخة " .

كان مومو يؤكد من حين لآخر أن الرئيس آجاى واحد من أصدقائه . ثم أعلن بعد ذلك أنه لا يخاف أى شىء بما فى ذلك الموت . وتأكيدا لما قاله قال : إنه مستعد للسفر مع آجاى فى سيارة نقل . ثم قال : " إذا جاءنى الموت ، فمرحبًا به" . ثم تساءل غاضبا : " ما الذى يخيفنى ؟ ما ذلك الذى فعله أى إنسان آخر فى هذه الدنيا ولم أفعله أنا ؟ ألم أتزوج النساء وأنجب عددا كبيرا من الأطفال فى هذه الدنيا ؟ ألم يتزوج أولئك الأبناء أيضا وينجبوا العديد من الأطفال أيضا فى هذه الدنيا ؟ ألم أبن لنفسى بيتًا ؟ ألم يبن اثنان من أبنائى بيتين يطاولان عنان السماء ؟ ألست أنا رئيسا من الرؤساء . هذا العقد المرجانى الذى يلف عنقى أعطانى الأوبا (الملك) إياه . إذن ، لماذا تظن أنى خائف ؟ آجاى ، أىُّ تلك السيارات التى سنركب فيها "؟

" ما سيارة النقل التى سوف يركبانها ؟ تلك كانت مشكلة عويصة مثل مشكلة اقتناع الرئيس مومو بالسفر بسيارة النقل ! وراح

المتسكعون على الفور يوجهون العجوز هو وآجاى إلى اتجاهات عدة . كان أولئك المتسكعون من مناديى وصبية سيارات النقل ، كانوا مجرد تبّاعين ومناديى سيارات من الذين يوجهون المسافرين إلى لوريات بعينها هم يعملون لها مندوبين . وكان كل مناد أو تبّاع من أولئك التباعين يحصل على بنسين من السائق ، على سبيل العمولة ، عن كل راكب .

فى موقف سيارات النقل ، الذى كان يشغل قسما من ميدان السوق ، كانت هناك حوالى تسع سيارات تتباين من حيث اكتمال عدد ركابها - فى حين كانت هناك قلة قليلة من تلك السيارات تعانى من نقص شديد فى عدد الركاب . فى البداية مروا على اللورى الأول ، الذى كان يحمل لافتة مكتوب عليها " الله أولاً " وكان قديما ومن طراز بدفورد . وكانت فيه ندب كثيرة تحكى حكاية الحوادث التى وقعت له ونجا منها . وغالى تبّاع ذلك اللورى فى امتداحه والثناء عليه . وهنا صاح سائق ذلك اللورى بصوت مرتفع أنه سوف يتحرك على الفور . ويبدو أن السائق كان جاداً ، نظرا لأن اللورى كان قد امتلأ فعلا بالركاب . ولكن شخصا آخرً وجه العجوز هو ورفاقه بعيدا عن السيارة التى كان مكتوب عليها " الله أولا " إلى سيارة أخرى مكتوب عليها " رحلة آمنة " وهى أيضا من طراز بدفورد ، ولكنها أحدث من السيارة الأولى . كان الرئيس آجاى على وشك اختيار السيارة الثانية وعندها أبلغه السائق أن مالك السيارة أولو Olowo طلب منه الذهاب باللورى أولا إلى قرية فى الاتجاه العكسى لتحميل بعض جوالات ثمار النخيل . وهذا يعنى أن السيارة سوف تتأخر .

كانت السيارة المكتوب عليها " انظر وصلً " على وشك التحرك بحق . وتأكيدا لذلك قام صبيا السائق اللذان كانا يرتديان أسمالا بالية ملطخه بالتراب ، بصفق أبواب السيارة لغلقها . وهنا فتح السائق نظام الإشغال ، وراح يضغط على مزوِّد السرعة . ولكن لا فائدة من ذلك . وهنا أغلق السائق النظام مرة ثانية ، ثم فتحه ولكن بلا طائل . ومع ذلك لم يشتغل محرك السيارة .

وهنا صاح السائق فى أحد المنادين : " يا غبى ، ما الذى فعلته فى البطارية "؟ وهنا قفز ثلاثة من الأولاد نازلين من السيارة وانضم إليهم جمع من الواقفين الذين تعاطفوا معهم ، وراح الجميع يدفعون السيارة " انظر وصل " طلبا لدوران المحرك .

أخيراً قرر الرئيس آجاى الركوب فى السيارة التى كتب عليها " كل الأجواء " وهى من طراز أوستن Austin، وهى بدورها من محاربى الأحداث الحربية ، ورفارفها بحالة جيدة وعجلاتها مخلّعة . واحتراما من آجاى للرجل العجوز هو ورغبته جلس آجاى فى القسم العام الموجود فى مؤخرة السيارة ، ولم يجلس فى مقاعد الركاب الممتازين الموجودة على جانب السيارة . ولم يصرح كل من الرئيس آجاى ومومو العجوز بما كان يدور فى ذهنيهما ، وبخاصة ذلك الذى قاله بالرغم من تفاخره من أنه لا يخاف الموت أو يخشاه . واقع الأمر أن مومو العجوز كان يخاف الموت ويخشاه ، وكان لا يود الموت أو يريده ، وبالتالى تحاشى الجلوس إلى جوار السائق ، نظرا لأن مقدمة السيارة تعد الأخطر والأكثر تعرضا للأذى فى حالة وقوع حادث من الأحداث .

جلس الركاب جلوسا غير مريح على أربع من ألواح الماهوجنى الضيقه تمتد بين جانبى السيارة ، وذلك بواقع ستة ركاب على اللوح الواحد ، وليس بينهم أية مساحة تسمح لهم بالتحرك أو حتى بتحريك أى جزء من أجزاء أجسامهم . وفى المنطقة الواقعة خلف كابينة السائق ، والتى تصل مساحتها ثلاثة أقدام ، كانت تتكدس جوالات كثيرة من ثمار نخيل الزيت . وفيما بين الصف الأول من صفوف الركاب فى مؤخرة السيارة ، واللوح الخلفى فى اللورى ، كانت توجد ست صفائح من زيت النخيل ، فضلا عن عنزة راحت تتغوط طوال الوقت وبلا انقطاع ، كما كان هناك ثلاثة من صبية اللورى يتسابقون على المكان . فى هذه الفوضى ، وفى ذلك الارتباك انحشر الرئيس العجوز مومو العجوز ، فى لورى " كل الأجواء " ، فى الرحلة المتجهة إلى مزرعة آجاى .

كان سائق سيارة " كل الأجواء " يطلق آلة التنبيه طوال الوقت . وكان مروره خلال شوارع البلدة متميزا بإطلاق آلة التنبيه بصورة مستمرة ، وبذلك كان يربك الماعز والغنم والأطفال ويبعدهم عن طريقه ، مثيراً بذلك خلفه عاصفة من التراب . كانت قيادته داخل المدينة وخارجها كما لو كانت قيادة شيطان . كان لا يعبأ بإشارات المرور التى كانت عند المنحنيات ويخالفها ، كما كان يخالف إشارات المرور الموجودة عند الجسور الضيقة أو تلك الإشارات الموضوعة عند أجزاء معينة من الطريق خلال القرى . لم يكن يستطيع قراءة تلك الإشارات بأى حال من الأحوال . ولم يكن لصرخات التحذير أو الجأر بعدم الارتياح الصادر عن الركاب تلقى أى أذن مصغية من ذلك الوحش الجالس أمام عجلة

القيادة : لم يكن يسمع تلك الصرخات أو النداءات أو حتى يلقى لها بالاً . فى حين كان خوف الرئيس مومو العجوز يفوق الوصف .

ثم حدث ما كان متوقعا . حدث على نحو وبسرعة لم يدرك معها الرئيس مومو ذلك الذى حدث أو حتى طريقة حدوثه . وعاد إليه وعيه ، بطيئا ، بل بطيئا جدا . ثم نظر حوله . كان على جانبى الطريق أناس يئنون ويتنهدون ويتوجعون . كما كان هناك رجل أو رجلان يرتديان الزى الكاكى ويتبعان فلاحا أبيض ويدورون حول الجماعة . تعرف الرئيس مومو على الفلاح الأبيض . كان الفلاح الأبيض يتحرك بين أفراد الجماعة المنكوبة محاولا التخفيف عن أولئك الذين يمكن أن يستفيدوا من أعمال الإسعاف الأولى .

رآه مومو وهو يهز رأسه حزنا على تلك الكومة من البشر . لم يكن مومو بحاجة إلى الغوث . ونهض واقفا على قدميه وهو يتعرف على جثمان رفيقه وزميله المهشم ، الرئيس آجاى . وتحرك وهو يعرج مبتعدا عن مكان الحادث ومتجها صوب إيباجا ، مناجيا نفسه ببعض الرقى . كان ينظر إلى الوراء بين الحين والآخر فى اتجاه ذلك المشهد الأليم . وهز مومو رأسه فى تأمل أليم لمعتقده الذى مفاده أنه لولا فضل الإله سلفه ولولا تعاويذه ورقاه لكان فى عداد الأموات مثل رفاقه الموجودة جثثهم حاليا فى مكان الحادث .

هز خبر وفاة الرئيس آجاى فى تلك الظروف المأساوية مدينة إيباجا من أعماقها . وهز الرجال والنساء رءوسهم عجبا عندما علموا

أن سيارة الرجل الأبيض كانت طرفا فى الحادث . وفى ساعة متأخرة
من الليل انتشر خلال المدينة خبر مزعج مفاده أن جثمان الرئيس آجاى
نقل إلى المستشفى فى مدينة الرئاسة العامة . لا لإعادته إلى الحياة ..
ليس ذلك على الإطلاق ، وإنما كيما يقوم الطبيب الأبيض بتقطيعه
ليعرف سبب الوفاة . سوف يتحول ذلك الجثمان إلى مجرد شىء لا يذكر من
ذلك المارد العملاق الذى كان يطلق عليه اسم الرئيس آجاى ؛ سيعود
الجثمان إلى زوجاته المحزونات وأطفاله وأقاربه المحزونين أيضا ليحملوه
إلى مثواه الأخير . هز الرجال والنساء رءوسهم وأكتافهم علامة الرفض
والتمرد . فذلك طقس غريب جدا .. طقس ملعون بكل المقاييس .

الفصل الثامن عشر

أعربت السلطات عن أسفها لوفاة الرئيس يوسف آجاى . ولكن تلك السلطات قررت أنه من مصلحة الأحياء ، أن تشدد على المضى قدما ببرنامج التنمية المخصص لإيباجا ، ولذلك أعطت تلك السلطات أهل إيباجا مهلة مقدارها ثلاثة أسابيع كى تفيق إلى نفسها من الصدمة التى ألمت بها على أثر وفاة الرئيس .

تحاشت عصابة تقطيع الأشجار النزول إلى مزرعة الرئيس آجاى . والسبب فى ذلك أن الناس يعرفون أن شبح آجاى سيخيم على مزرعته وعلى منزله ، وسوف يظل ذلك الشبح يحوم حول ممتلكات ذلك الرجل على الأرض ؛ الأرض التى جرى فصله أو انتزاعه منها انتزاعا عنيفا ، وأن ذلك سوف يستمر على امتداد أشهر عدة وذلك قبل أن يرحل ذلك الشبح بنفسه إلى بلد بعيد لا يكون فيه معروفا ، ويبدأ فيه فترة جديدة من الحياة البشرية تحت اسم مختلف تماما .

لم تكن مزرعة الرئيس مومو مدرجة فى القائمة بعد مزرعة آجاى ؛ ولذلك انتقلت جماعة تقطيع الأشجار إلى مزرعة الرئيس مومو- وإلى المتاعب ، وذلك بدلا من انتقالها إلى مزرعة الرئيس آجاى .

وبدون أيه مقدمات رسمية وبدون أى نقاش أو جدل ، أطبق أفراد أسرة الرئيس مومو على جماعة التقطيع . واستخدم أفراد الأسرة عددا كبيرا من الأسلحة المختلفة . فقد تسلح كل واحد من عمال الرئيس مومو وكل واحد من أبنائه بسكين فضلا عن الهراوات والنبابيت التى كانوا يجيدون استعمالها . فى حين راحت زوجات الرئيس مومو وبناته يلقون جمار الخشب المشتعل على عصابة تقطيع الأشجار ، ويسكبون الماء على أولئك الغزاة . وراحت الكلاب تنبح وتعض سيقان الأعداء . كما راحت دجاجة الرئيس مومو الحاضنة تنقر بمنقارها سيقان العدو والصديق التى كانت تقترب من مرقدها فوق بيضها .

كان واحد من رجلى الشرطة المرافقين لجماعة تقطيع الأشجار قد ولّى الأدبار مع أول بادرة من بوادر المتـــــاعب والاضطراب . وراح الشرطى الثانى يطلق صفارته على فترات منتظمة . ومع ذلك ، فقد أسفرت الصفرات الطويلة عن استدعاء ، لا أصدقاء القانون والنظام ، وإنما جيران الرئيس مومو ورفاقه الذين استشاطوا غضبا . وشارك كل هؤلاء فى القتال .. أما الشبان فكانوا يقومون بالمعركة الحقيقية فعلا . وتحول مشهد مزرعة الرئيس مومو إلى صورة مصغرة من صور الفوضى والاضطراب .

صاح الرئيس مومو أخيراً ، وهو جالس منهك على جذع شجرة من أشجار المطاط ، ويراقب مشهد التدمير والاضطراب : " كفى ، كفى . قلت كفى ". ثم أخرج علبة النشوق ، وفتحها وأخذ منها شيئا من النشوق على طرف أصبع السبابة ثم وضعه بالتناوب فى فتحتى أنفه .

وتجاهل مومو استيلاء الأطفال على خوذة مساعد الزراعة وأردف يقول : "لابد من وضع حد للكلام السخيف لابد من وضع حد لكلام النساء هذا . ولابد من وضع حد لكل هذا الجبن ، وهذا التخوف . لقد وصلنا إلى الحد الأقصى لكل ذلك ، هنا فى إيباجا ... أشجار الكاكاو مريضة فى هذه الأيام . وهذا هو السبب الذى يحتم علينا تقطيعها". قال هذه العبارة باحتقار شديد .

قال أحد الجيران : "نقطِّع أشجار الكاكاو .. الشجرة التى تعد المصدر الرئيسى للثروة" !

واصل الرئيس مومو العجوز حديثه قائلا : "يقول لنا الرجل الأبيض ، إن الماء الذى نشربه سيحمل المرض غداً " . ثم فكر مليا وقال : "ستدهشون عندما ستجدون أن مرض الطفولة سيصيب الرجال المهمين وهذا هو باستور Pastor، على سبيل المثال ، فقد قال لى إن البعوض يسبب الحمى .. ها ! ها ! ها "! وهنا شارك كل الحاضرين فى السخرية من جوسيا أوليا هو واعتقاده السخيف بوجود علاقة بين البعوض والملاريا ، وأنه قال ذلك الكلام للرئيس العجوز فى اليوم الذى قرأ عليه الرسالة التى كانت قد وصلته من ولده .

" لقد عرفت على الفور أن كل ذلك من قبيل نفاق الرجل الأبيض . كان يوسف آجاى أداة من أدوات الرجل الأبيض . فقد عاش عبداً للرجل الأبيض . ومات أيضا وهو كلب للرجل الأبيض" . ثم تفل على الأرض استياء واشمئزازا . " أنا أعبر عما يجول بخاطرى تعبير رجل

من أبناء إيباجا بحق وحقيقة ، عندما أدخل هو والفلاح الأبيض وللمرة الأولى ذلك الاحتلال الفعلى ، أو إن شئت فقل : ذلك الجنون عن مرض أشجار الكاكاو . أنا أعبر عما فى ذهنى ، بصفتى رجلا " . قال مومو كل ذلك على سبيل تعنيف أولئك الذين لم يعارضوا ذلك الجنون أو الاحتلال العقلى .

" أتوا إلينا بعد ذلك بذلك الجنون الآخر عن الماء . كانوا سيحضرون الماء من النهر الذى ينبع من أرض إجبودودو . كما لو أن نساءنا وأطفالنا عاجزين عن الذهاب إلى النهر نفسه ، وهو ما كانوا يفعلونه بدءا من الأباجا الأول الذى أسس مدينه إيباجا .

ومن الذى لا يعرف أن الفلاح الأبيض هو الذى قتل يوسف آجاى ؟ هو الذى فعل ذلك بطبيعة الحال . ثم أخذ الجثمان إلى المستشفى ليشقه ويفتحه . قالوا إنهم يريدون أن يعرفوا سبب وفاته .. وبعد أن قتله الفلاح الأبيض بنفسه مستخدما فى ذلك سيارته ، راحوا يبحثون عن سبب الوفاة الواقع ! إنهم كانوا يطاردون روح يوسف . وذلك هو ما كانوا يبحثون عنه ويطاردونه . روح يوسف آجاى ، عبد الرجل الأبيض وكلبه" .

كان بنيامين بنيامين قد خرج من المستشفى بعد مرور يومين على الحادث الذى وقع فى مزرعة الرئيس مومو . فقد قرر بنيامين بنيامين العودة فورا إلى إيباجا ليضم قوته إلى قوة الرجل العجوز الذى تجرأ وتجاسر على تحدى الإدارة .

وعندما دخل اللورى الذى كان يحمله إلى موقف سيارات اللورى فى إيباجا تعرفه واحد من صبية ومناديى السيارات الكثيرين ، وصاح مناديا باسمه ، ثم اندفع يجرى خلف اللورى الذى أوشك على التوقف . ودوى الاسم فى أنحاء موقف اللوريات : "بنجا بنجا ، بنجا بنجا ." واندفع الصبية والمنادون إلى ذلك اللورى الذى كان من طراز أوستن Austin وحمولته حوالى خمسة أطنان .

كان بنيامين بنيامين معجبا بذلك جدا . وعدَّل رباط عنقه ، ثم وضع غليونه بين شفتيه ، وطوح عصاه التى يتكئ عليها بطريقة أنيقة ، ثم نزل بخفة من اللورى . وبذلك أصبح فى بؤرة إعجاب المعجبين به .

قال أحد المنادين بفرح شديد : " كنت أعرف أنك قادم ، يا بنجا بنجا . كنت أعرف ذلك بحق" .

قال شخص آخر : "هذا هو بنجا بنجا ، الرجل" .

"كنت أعلم يا بنجا بنجا ، أنك لا يمكن أن تبتعد وكل هذه الأحداث تدور من حولنا هنا " .

وهنا تقدم بنيامين بنيامين ليلقى كلمة . أخرج الغليون من بين شفتيه ، ورفع قبعته بيده اليمنى . فى حين كانت عصاه تتدلى متأرجحة من رسغ يده اليسرى ، الذى كان ملفوفا فى ضمادة ثقيلة ." إخوانى مواطنى إيباجا المتحمسين أعيرونى آذانكم ، وأعيرونى أذهانكم . فأنا سعيد وفى غاية الفرح لأنى عدت إليكم ، وانضمامى إليكم حتى أتولى قيادتكم فى اتخاذ الخطوة التالية فى معركة تحرير وطننا وأرضنا .

ولولا العناية الدائمة من جانب إله تأسيس إيباجا ، ألجَبرا Alagbra، والذى هو شخصيا يحرسنى ويرعانى فى أسفارى ومجيئى ، لما كنت معكم اليوم . لما كنت مع أى أحد ، ولا فى أى مكان على الإطلاق . خلاصة القول ، كنت قد عبرت المجرى الصغير إلى الأرض التى لا يعود منها من يسافر إليها . والسبب فى ذلك ، أن مكائد العدو وتدبيراته أوقفت سيارتى - سيارتكم - فى حادث نجوت أنا منه بمعجزة عجيبة " .

أعاد بنيامين بنيامين القبعة إلى حيث كانت . ثم أخرج منديلا رثا ، حجمه يماثل حجم الإيشارب النسائى ، وجفف به وجهه . ثم أعاد المنديل إلى مكانه ثم رفع القبعة مرة أخرى . وهنا صاح المعجبون به وهم ينادون : "بنجا .. بنجا ".

" أعداء إيباجا يطاردون حياتى ويريدون استباحة دمى . لقد نقلونى إلى المستشفى فى أبينو ، مركز رئاسة العدو . ولكن يا رفاق الكفاح من أجل تحرير إيباجا ، ولكن ما الطريقة التى يمكن التعامل مع هتاف إيفا Ifa الغيبى دون أن يتخلى عن ارتباطه الحقير بثمار زيت النخيل ؟ فعقب وصولى إلى المستشفى مباشرة اكتشفت مؤامرة حاكوها لقتلى واغتيالى - عن طريق السم - وعليه رفضت تناول طعام المستشفى . ورفضت أيضا شرب الدواء الذى أعطونى إياه . تظاهرت أمامهم أنى كنت أشربه ، ولكنى كنت أتخلص منه فى واقع الأمر .

ثم بلغتني بعد ذلك أخبار الحادث الذى وقع فى مزرعة رئيسنا المحترم وكبيرنا المحترم أيضا . لقد استطاع وحده ، وبدون أن تتسرب إلى ذهنه أية ذرة من الخوف ، مطاردة جماعة المقدمة التابعة للعدو ، وإخراجها من مزرعته . وهنا ساءلت نفسي : يا بنيامين بنيامين كيف تدعو نفسك زعيما ومستشارا سياسيا للأوبا (الملك) وكبراء إيباجا ، وتطيق البقاء راقدا على سرير فى المستشفى ومن حولك ممرضات جميلات تتحركن من حولك فى الوقت الذى تتعرض فيه إيباجا لمخاطرة شديدة ؟ كما استمعت أيضا إلى صوت إله تأسيس إيباجا العظيم وهو يهتف قائلا : بنيامين بنيامين ، بنيامين بنيامين ، ... انهض ، وعد فورا إلى إيباجا . لأن أهلك بحاجه إليك .

وعليه نهضت من مكانى ، وأسرعت عائدا إليكم . وهأنذا هنا ، يا أهلى . أنا هنا ، مستعد لقيادتكم ، وأن أموت معكم فى كفاحنا ضد العدو المشترك ، القتال الذى ضرب فيه الرئيس الوطني المتحمس مومو الجرىء أحسن أمثلة الوطنية ".

وفى ساعة متأخرة من تلك الليله بدأ "صندوق إطلاق سراح مومو ". وكان الهدف من ذلك الصندوق جمع مبلغ مائة وعشرين جنيها .

حُكم على الرئيس مومو الإيباجى بالسجن ثلاثة أشهر لتعديه الإجرامى على موظفى الحكومة فى أثناء عملهم الرسمى ، فى عملية الإشراف على تقطيع أشجار الكاكاو المريضة . وحصل أنصاره على أحكام تراوحت بين تسعة أشهر وثلاث سنوات بدون غرامات . وأبدى

قاضي المحكمة أنه راعى الرأفة بالرجل العجوز آخذا عمره فى الاعتبار ، وأن ذلك كان السبب فى عدم الحكم عليه بالعقوبة كاملة . وأنه ما لم يفعل ذلك سيكون قد أخل بمهام وظيفته ، وذلك حتى يكون عبرة للآخرين من أمثاله الذين ربطوا العناد بالغباء وراحوا يأخذون حقهم بأيديهم .

قال القاضي محدثا الحاضرين : " لقد مرت علينا أجيال كثيرة منذ أيام الأخطار الشديدة التى تمثلت فى الأيام المظلمة التى دارت فيها الحروب بين القبائل . أما فى هذا العام الميلادى الموافق ١٩٤٩ ، فإن كل مواطن حر فى القيام بواجبه بدون خوف أو تعدٍّ أو إزعاج . يضاف إلى ذلك أن أى فرد أو تنظيم يهدد المواطن بحرمانه من هذا الحق الجوهرى الذى يكفل له الحياة فى مجتمع متحضر لابد من معاقبته طبقا لقوانين الولاية " .

ووسط عويل أقاربه وأنصاره ومؤيديه أُقتيد الرئيس مومو إلى ماريا Maria السوداء Black خارج قاعة المحكمة .

ولكن الرئيس مومو الإيباجى لم يمض يوما من الحكم الذى صدر ضده . فقد فارق الحياة عندما وصل إلى بوابة السجن .

أمرت الحكومة بتشريح جثة الرئيس مومو لمعرفة سبب وفاته وهو فى طريقه إلى السجن . وشاعت فى أنحاء إيباجا روايات مختلفة عما حدث لجثة ذلك الرجل . فثمة رواية تقول إن جثة الرجل نقلت بالطائرة إلى بلاد الرجل الأبيض حيث سيجرى إيداعها سجنا خاصا بالأشباح .

أما الذى سلم بالفعل لأقارب مومو لدفنه فكان مجرد شىء هيكلى يشبه جثة الإنسان . شاعت رواية أخرى مفادها أن الرجل الأبيض انتقى بعض الأعضاء من الجثة ، وبخاصة تلك الأعضاء ذات الصلة بعناد الرجل ورجولته ، ووضعوها فى زجاجة وأرسلوها بالطائرة إلى بلاد الرجل الأبيض . وقد فعلت الحكومة ذلك للتأكد من وفاة الميت بحق ، وأنه عندما سيعود إلى الأرض تحت اسم جديد لن يشكل أى تهديد للحكومة .

يا لهذه الطقوس الغريبة التى يتبعها الرجل الأبيض ، التى تتجاوز الفهم بكل صورة ، شأنها فى ذلك شأن سلام الله الإنجيلى !

وفى الاحتفال الجنائزى الذى أقيم فى جبّانة القديس چون فى إيباجا ، فى الوقت التى كانت الجمعية السرية التى كان مومو ينتمى إليها ، تمارس الطقوس التى لم يكن مسموحا لغير أعضاء الجمعية بحضورها ، قام بنيامين بنيامين بإلقاء خطاب عزائه ، الذى كان يقرأه من نص مكتوب بالآلة الكاتبة ، والذى كان صورة نارية من الخطاب الذى ألقاه لينكولن Lincoln فى جيتسبرج Gettysburg :

"إخوان السلاح ، إخوانى مواطنى إيباجا المتحمسين ، منذ أجيال عديدة مضت وعندما خلق الإنسان لأول مرة ، سلفنا العظيم ألجبارا Algabara ، أسس على هذه البقعة من الأرض مدينة جديدة ، عمرت بالحرية ، وتربت على قوته ، وكرّس نفسه لمُسلَّمة مفادها أن إيباجا ستكون حرة إلى أبد الآبديين .

نحن الآن مشتبكون فى حرب ضروس مريرة ، تختبر فى شعبنا العظيم ، وفى أى شعب آخر له مثل هذا الإخلاص وينعم بمثل هذه الحرية ، قدرته على الحفاظ على تلك الحرية . نحن نخوض معركة من معارك تلك الحرب الدامية . لقد جئنا إلى هنا لنعهد إلى ستة أقدام من أمنا الأرض بحماية روح زعيمنا العزيز الذى ضحى بحياته بكل جسارة وشجاعة من أجل أن يحيا أهل إيباجا وشعبها أحرارا . وإنه لمن المناسب ومن الصحيح أيضا أن يتحتم علينا فعل ذلك . ولكن من حيث المعنى الأوسع نحن لا نستطيع ، تقديس أو تكريس ، الأقدام الستة باعتبارها المثوى الأخير للرئيس أبوجوندى **Abogunde** مومو . هذا الرجل الشجاع ، لا يزال حيا ، فمن مثله سوف يواصل الحرب هنا ، وهناك وفى كل مكان من أجل تحرير إيباجا من السيطرة الأجنبية ، من الذى كرس قبره ليكون فوق كل قوانا للإضافة إليها أو تشتيتها .

سوف لا تعبأ الدنيا ولن تتذكر دوما الدموع التى ذرفناها هنا ، غير أنها (الدنيا) لن تنسى ذلك الذى فعله مومو من أجل إيباجا . ما فعله ذلك من أجلنا ، نحن الأحياء ، ولذلك يتعين علينا أن نكون مخلصين لتلك المهمة التى لم تنته بعد ، والتى أمضى فيها ذلك الرجل شوطا كبيرا حارب فيه من أجلنا ومات أيضا من أجلنا . من مهمتنا أن نكرس أنفسنا ونخلص لتلك المهمة العظيمة التى تنتظرنا .. وعلينا أن نستمد من ذلك المتوفى الكريم المزيد من الإخلاص والولاء لقضية الحرية التى أولاها أقصى ما وسعه الجهد من إخلاص . وهنا ينبغى علينا أن نقرر بكل الثقة واليقين أن ذلك الراحل العزيز لم يعش حياة بلا معنى ،

وأن نقرر أيضا أن مدينة إيباجا العريقة برعاية الله سوف تشهد مولداً جديدا للحرية ، وأن يكون حكم إيباجا بواسطة شعب إيباجا ولشعب إيباجا وألا يختفى ذلك الحكم من على وجه الأرض " .

وفى مقال من مقالات الصفحة الأولى فى جريدة الشئون Affairs الوطنية National شن بنيامين بنيامين ، فى الأسبوع التالى ، هجوما على الإدارة فيما يتعلق بوفاة الرئيس مومو . وجاء ذلك ، فى ثنايا مقال كتبه بنيامين بنيامين تحت عنوان "من الذى اغتاله ؟ " . كتب بنيامين بنيامين يقول :

ما سبب وفاة الرئيس مومو الإيباجى ؟ هل مات نتيجة أسباب طبيعية ؟ هل أزهق روحه بنفسه هروبا من التحقير الذى يمكن أن يصيبه باعتباره رئيسا من رؤساء إيباجا ، إذا ما أدخل السجن ؟ أم أنه قتل عمداً ؟ تلك هى الأسئلة التى نود من الحكومة أن تجيب عنها .

لو فرضنا أن ذلك الرجل المسن أراد أن يزهق روحه بنفسه ، فإن الحكومة تعد مسئولة عن ذلك لأنها كان مفروضا عليها أن تمنعه من القيام بذلك .

واقع الأمر ، أن ذلك الرئيس العجوز لا يمكن أن يكون قد أزهق روحه بنفسه . لدينا شواهد مؤكدة لا يأتيها شك من ورائها أو من خلفها تفيد بأن ذلك الرجل العجوز ، شأنه شأن من كانوا محتجزين معه ، جرى تفتيشه قبل إحضاره للمثول أمام قاضى المحكمة الابتدائية . وصحيح أيضا أن علبة نشوقه جرى سحبها منه .

أيها القراء . من المرجح أنكم تدخنون قلة قليلة من السجائر كل يوم . كيف سيكون إحساسكم ، لو أن أحدا حرمكم بلا مبرر عادل أو قوى من حرية التدخين ؟ أنتم تعرفون جيدا الرغبة المؤلمة فى تلك المادة (التبغ) التى بدونها تبدو لنا الحياة وكأنها تقترب من نهايتها . ما حدث للرئيس مومو كان أبشع من ذلك . لقد حالوا بينه وبين علبة النشوق التى ترافقه دوما .

من المؤكد تماما أن الرئيس مومو بعد صدور حكم القاضى عليه بالسجن ، أصبح مجرداً من أى سلاح من الأسلحة ، سواء أكان حادا أم ثلمًا ، وبالتالى لا يمكن أن يكون قد أزهق روحه بنفسه . وهناك أيضا أدلة عدة على أنه لم يتعاط سما من السموم ، إذ إنه لم يتمكن من الحصول على أى منها .

وهذا هو السبب الذى يجعلنا نتساءل من جديد عن قاتل الرئيس مومو الإيباجى . هل يعرج ذهنكم من جديد على علبة السعوط ؟ هل تضيف اثنان على اثنين لتحصل على أربع ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فهل توافقنى على أن المسئولية تقع على حكومتنا ؟ أيها القارئ ، مهلا لا تجعل ذهنك يشرد بك إلى البعيد . لا تتعجل الوصول إلى الهدف الواضح مخافة أن ينتهز أهل الشر فى حكومتنا منفذا فى نقاشنا وجدلنا يتمكنون به من الهرب من مسئولية وفاة ذلك الرجل الذى لا حول له ولا قوة .

كل ما نطالب به عند هذه المرحلة هو تشكيل لجنة تتحرى أسباب وفاة – التى أكاد أقول إنها "اغتيال" – الرئيس مومو العجوز . وبعد أن

نطلع على تقرير تلك اللجنة ، نود القيام بتحرى الحدود الفاصلة الدقيقة بين ذبح الإنسان واغتياله . باسم كل ما هو عادل ، باسم كل ما هو حق ، باسم الحرية ، باسم الديمقراطية ، باسم تقرير المصير ، نطالب إدارتنا بإحضار قتلة الرئيس أبوجوندى مومو العجوز . ولابد من توقيع أقصى الجزاء عليهم ".

مات الرئيس مومو ودفن جثمانه ، ولكن "صندوق إطلاق سراح مومو" لم يمت وبقى حيا . فى البداية كان اسم الصندوق "صندوق استئناف حكم مومو "ثم تحول اسمه بعد ذلك إلى "صندوق تأبين مومو" . وهكذا نجد أن الهدف تغير بتغير المسمى .

الفصل التاسع عشر

أمرت الحكومة بتشكيل لجنة للتحقيق فى أنشطة جمع التبرعات التى يقوم بها بنيامين بنيامين فى إيباجا . وطبقا للمواد القانونية التى شكلت فى ظلها تلك اللجنة جرى رفض التمثيل القانونى أو إن شئت فقل : النيابة القانونية ، وبذلك خاب أمل أربع من المحامين الذين تحتم عليهم العودة بالسيارات إلى إيباجا قادمين من أبينو ، وذلك بعد أن رفض يودو أكبان حضور المحامين فى أثناء التحقيق .

وجرى تعليق إعلان عن ذلك التحقيق ، على أبواب المحكمة . وكان كاتب المجلس قد قرأ على الأوبا (الملك) هو ومجلس كبرائه الرسالة التى وصلته من أبينو ، وشرح لهم ، فى حدود معرفته القليلة جدًّا ، الهدف من إجراء ذلك التحقيق .

كان الشاهد الأول فلاح قوى البنية ، ويقال إن ذلك الفلاح هدد ذات مرة بقطع عنق أولو Olowo قبل أن يصبح النائب الأول للملك ، زعما منه أنه كان يتودد إلى زوجته الوحيدة ويغازلها .

" هل تعرف شيئا عن صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو " ؟

" لا ، أنا لا أعرف شيئا عن ذلك الصندوق " ؟!

" إذن ، ما سبب وجودك هنا " ؟

" جئت إلى هنا للتبليغ عن أخذ النقود منى " .

" أخذت منك النقود . من الذى أخذ منك تلك النقود " ؟

" تسألنى ، من أخذ النقود منى ؟ أخذها ذلك الرجل المتين الذى جمع النقود واحتفظ بها كلها . هو الذى أخذ النقود منى " .

وبالطريقة نفسها والأسلوب العنيد الذى لجأ إليه يودو أكبان فى التعرف على أهل إيباجا ، رفض الشاهد الإدلاء باسم الشخص الذى سلمه النقود . ومع ذلك لم ينزعج يودو أكبان من هذه الهزيمة .

" ما قيمة المبلغ الذى دفعته لمسئول المالية " ؟

" أية مرة تقصد ، فقد دفعت له خمس مرات " .

رد عليه يودو متعجبا : " تقول إنك دفعت خمس مرات " ! ثم نظر إليه نظرة فضول لم تدم إلا لحظة واحدة ، ثم أردف يقول : " كم دفعت فى المرة الأولى " ؟

" دفعت خمسة جنيهات فى المرة الأولى . اقترضت منها عشرين شلنا من زوجتى . واقترضت خمسة وثلاثين شلنا من أحد أصدقائى " .

دوَّن يودو أكبان بعض الملاحظات . وأطال النظر إلى قمطر كان بجانبه وتأكد أن كاتب جلسة التحقيق كان يدوِّن الأقوال كاملة .

" دفعت خمسة جنيهات فى المرة الأولى . وكم دفعت فى المرة الثانية " ؟

" دفعت خمسة عشر شلنا وستة بنسات " .

" لأى شىء دفعت مبلغ المرة الأولى " ؟

" كان ذلك يتمثل فى المبلغ الذى دفعناه جميعا علنا نفلح فى استعادة أرض إجبودودو من الأبينيين . كما أن أولئك الذين دفعوا ، من بيننا ، ما لا يقل عن خمسة جنيهات سيحصل كل واحد منهم على قطعة مجانية من الأرض . وسوف نبنى منازلنا الجديدة على تلك القطع " .

" نعود الآن إلى المرة الثانية التى دفعت فيها مبلغ عشر شلنات وستة بنسات ، قل لى ، ما سبب دفع ذلك المبلغ " ؟

" أنا لا أعرف لذلك سببا . كل ما هنالك أنهم طلبوا المبلغ فدفعته . والمبلغ كان خمسة عشر شلنا وستة بنسات ، ولم يكن عشرة شلنات وستة بنسات ، كما قلت أنت . لا تخفض خمس شلنات من المبلغ " .

" لمن دفعت ذلك المبلغ " ؟

" دفعته للمسئول المالى ... دفعت له خمسة عشر شلنا وستة بنسات ، وليس عشرة شلنات وستة بنسات . أرجوك أن تدون خمسة عشر شلنا وستة بنسات ، دونّها فى سجلك " . راح يودو أكبان ، كما لو كان يستجيب لطلب الشاهد ، يدون بعض الأشياء فى نوتة الملاحظات التى أمامه .

"هل تعرف اسمه" ؟

"أنا لا أعرف اسمه ".

وهنا ترك يودو أكبان فراغًا فيما يتعلق باسم المسئول المالى . ثم طلب من الشاهد أن يجلس . ثم دون مزيداً من الملاحظات ، وذلك من باب تأييد الملاحظات التى دونها كاتب الجلسة الذى كان يقوم بتدوين وقائعها وأقوال الشهود .

كان الشاهد الثانى قد دفع ثلاث مرات ، وليس خمس مرات . كان يبدو عليه أنه رجل متقدم فى السن ، وهيَّاب . وترك لدى الحاضرين انطباعا مفاده أنه لم يكن متأكداً إن كان يودو أكبان يقف إلى جانبه أم إلى جانب أولئك الذين أخذوا منه النقود .

" كم دفعت فى المرة الأولى" ؟

" خمسة جنيهات ، كل واحد منا دفع فى المرة الأولى خمسة جنيهات ".

" ماذا تعنى بكل واحد منا " ؟

" أعنى كل الناس الذين يدخلون ضمن المرحلة السنية نفسها ولهم الوضع الاجتماعى نفسه ".

" ماذا كان الهدف من دفع ذلك المبلغ ؟ هل تعرف السبب "؟

" دفعنا ذلك المبلغ من أجل قطعة الأرض الموجودة فى إجبودودو ".

" هل فهمت أن المبلغ دفع من أجل قطعة الأرض ، أم أنه لاستئناف القضية المرفوعة لاسترداد الأرض من الأبينيين "؟

" كان المبلغ للأمرين معًا . سنواصل القتال من أجل الأرض ، ونحن واثقون من كسب القضية . لقد قال لنا القاضى ذلك . وبعد كسب القضية سيحصل كل من دفع خمسة جنيهات على قطعة من تلك الأرض " .

" كم دفعت فى المرة الثانية " ؟

" دفعت ثلاثة جنيهات " .

" وماذا كان سبب دفع المبلغ " ؟

" دفعت الجنيهات الثلاثة حتى يتسنى توكيل محام يستسمح رئيس الحى تخفيض الربط الضريبى الذى دونه كاتب الضرائب ، أول مرة ، أمام اسمى فى سجله " .

" ما المبلغ الذى دونه كاتب الضرائب ، فى أول مرة ، أمام اسمك " ؟

" ثمانية جنيهات وثلاثة عشر شلنا " .

" من أين حصلت على الجنيهات الثلاثة " ؟

" اقترضتها من مرابٍ ، يقرض المال بفائدة " .

" ما إجمالى الضرائب التى دفعتها إلى الآن " ؟

" أجبروني على دفع الجنيهات الثمانية هي والثلاثة عشر شلنا . وضعوني في الحجز خمسة أيام . ولذلك قام أبنائي وزوجاتي باقتراض المبلغ ودفع الضريبة . لم يريدوا لي أن أموت عارًا أو خزيا . وأنا هنا أريد استعادة الجنيهات الثلاثة التي دفعتها" .

" ممن ستحصل على تلك الجنيهات الثلاثة "؟

" أود منك مساعدتي على استرداد الجنيهات الثلاثة منهم . لقد طلبت ذلك مرارا منهم ولكنهم كانوا يرفضون إعادة المبلغ لي ".

وهنا بدأ يلاحظ يودو أكبان أنه لم يجر التطرق - حتى الآن - إلى ذكر الأسماء . كان يودو أكبان على يقين من أنه كان يستجوب مبتزًا محترفًا . ولكنه كان يشعر بالإحباط في التقدم البطيء الذي كان يحققه .

قال الشاهد السادس إنه بعد أن دفع مرتين ولم ير نتيجة لما دفعه رفض أن يدفع المرة الثالثة .

سأله أكبان : " هل دفعت المرة الثالثة فعلا " ؟

" نعم ، دفعتها . وكانت ثلاثين شلنا" .

" ما الذي قالوه لك كي تدفع الثلاثين شلنا تلك "؟

" لرفع قضية على الحكومة كي توقف مجيء الرجل الأبيض إلى مزرعتي لتقطيع أشجار الكاكاو . كان ذلك بعد وفاة الرئيس مومو .

ويبدو لى الآن أن تلك الشلنات الثلاثين هى الوحيدة من بين الدفعات الثلاث التى أسفرت عن بعض النتائج " .

سأله أكبان باهتمام : " لماذا تقول ذلك " ؟

نظر الرجل العجوز إلى الرجل الأبيض الأسود وهز كتفه متعجبا من سؤاله غير المناسب . أردف الرجل قائلا : "وصلت الشلنات الثلاثون إلى المكان المحدد لها . إذ لم يجر تقطيع أشجار الكاكاو بواسطة عمال الرجل الأبيض" .

" هل شاهدت أشجاراً جرى تقطيعها فى مزارع أخرى " ؟

" ولكن حدث ذلك قبل الشروع فى جمع التبرعات . هذا يعنى أن ذلك حدث قبل وفاة الرئيس مومو . هل تعرف أحداً من الناس قطعت أشجاره منذ وفاة مومو والشروع فى جمع التبرعات " ؟

لم يفهم الشاهد السؤال أو مضمونه . وبدأ يتضح ضيق أكبان وتبرمه من ذلك الموضوع القذر . وتنهد وهو يدون بعض الملاحظات فى كراسته .

كان الرئيس أولووكيرى ونائب الملك هو الشاهد الذى جرى استجوابه بعد ذلك . وسمح له يودو أكبان بالجلوس فى أثناء الإدلاء بشهادته .

" هل كنت مسئولا ماليا فى الصناديق الثلاثة ، أيها الرئيس "؟

" كنت أحتفظ ببعض هذه المبالغ " .

" ومن الذى كان يحتفظ ببقية تلك المبالغ " ؟

"أنا لا أعرف شيئا إلا عن المبلغ الذى سُلِّم لى . وأنا أقول لك إن المبلغ الذى دفعته كان أكثر من المبلغ الذى تسلمته " .

" كيف حدث ذلك ، أيها الرئيس " ؟ طرح أكبان ذلك السؤال متطلعا إلى معرفة طريقة حدوث ذلك .

" كبير كتبتى رجل غبى . ألم يكن من واجب ذلك الغبى أن يبلغنى عندما وجد أن المبلغ الذى يدفعه كان أكبر من المبلغ الذى تسلمناه ؟! وبالتالى كنت قد أصدرت له تعليمات بوقف دفع أية مبالغ من ذلك ".

" من الذى تسلم النقود يا سيادة الرئيس ، أنت أم كاتبك" ؟

" تسلمت أنا بنفسى جزءًا منها . وتسلم كاتبى جزءًا آخر . والموضوع كله كان مربكا تماما . أنا أعرف أن مبلغا كبيرا من مالى الخاص قد أنفق فى مثل هذه الأمور التى تتعلق برفاهة هذه المدينة . وأنا لم أحتفظ بمدونات للمبالغ التى صرفتها على خدمة المحامين وشراء المدافع الكبيرة من سكرتارية أبينو " .

" أيها الرئيس ، إذا كنت قد أنفقت أكثر مما تسلمت ، فهل يعنى ذلك أنك ليس لديك أو معك حاليا أية مبالغ من نقود لجنة الاستئناف" ؟

" هذا صحيح . هم فعلا مدينون لى بمبلغ من المال . مبلغ كبير" .

وهل تسعى إلى استرداد ذلك المبلغ "؟

" لا ، أنا على استعداد للتنازل والتغاضى عن ذلك المبلغ من أجل مصلحة المدينة " .

كان أكبان شاكا فى وطنية وتحمس الرئيس أولووكيرى التى جعلته يدفع من المال مبلغا أكبر من المبلغ الذى تسلمه . ودوَّن يودو أكبان ملاحظة بتلك النقطة .

وفى اليوم الثانى أدلى الشاهد الأول بشهادته حول الإجراءات الخاصة بأرض إجبودودو .

"هل أنت مسَّاح "؟

"نعم ، أنا كذلك" .

"هل أنت مساح كميات أم مسَّاح أراض" ؟

"أنا مسَّاح " .

"هل تعرف الفرق بين مساح الكميات ومساح الأراضى" ؟

"لا ، أنا لا أعرف الفرق ".

"هل أنت مساح رسمى طبقا للقانون "؟

"لا ، أنا لست مساحاً رسميا . ولكن والدى دربه مسَّاح رسمى . وأنا أمارس المهنة منذ سبعة عشر عاما " . ودوَّن أكبان ملاحظة عن هذا الادعاء .

"وهل استدعيت لمسح أرض إجبودودو" ؟

"نعم ، استدعونى وقمت بمسحها " .

"من الذى استدعاك لمسح الأرض" ؟

" أهل هذه المدينة" .

"هل استدعاك أهل إيباجا كهيئة رسمية "؟

" لا ، بنيامين بنيامين هو الذى طلب منى مسح الأرض" .

دوّن المفوض مزيدا من الملاحظات .

" ما قيمة الأتعاب التى حصلت عليها "؟

"حصلت على أتعاب مقدارها مائتان وخمسون جنيها ذهبيا ".

" تقول ، مائتين وخمسين جنيها . هذا كثير . ما الأساس الذى حددت بمقتضاه أتعابك " ؟

" أتعاب المسح تحدد طبقا لسلم الأتعاب المعتمد من الحكومة . وهذه الأتعاب تختلف باختلاف مساحة الأرض التى يجرى مسحها" .

" إذن ، ما مساحة تلك الأرض" ؟

"المساحة مدونة على المخطط . وأستطيع أن أريك إياها على المخطط ". ثم خطا بعد ذلك خطوتين إلى الخلف نحو المقعد الذى كان يجلس عليه . ثم تناول من بين الرسوم لوحة فردها ثم قرأ منها :
" المساحة ٨٠٣,٢٩ فدان" .

قال المفوض وهو يدون ملاحظة : "تقول ثمانمائة وثلاثة أفدنة " .

صحح الشاهد كلام أكبان قائلاً : " قلت أن المساحة ٨٠٣,٢٩ وليست ٨٠٣ فدان" .

" أنا أعرف أنك قلت إنها ٨٠٣,٢٩ فدان ، وكل ما فعلته هو تقريب الكسور العشرية . ولكن بعد أن عارضت ما قلته ، فسوف أدون المساحه على أنها ٨٠٣,٢٩ ؛ وذلك وفاء أو استجابة لاعتراضك المهنى . فهل أنت راض " ؟ طرح أكبان هذا السؤال الأخير وصوته محمل بالتهكم .

" نعم ، أنا راض" . قال الشاهد هذه العبارة وقد اعتلت وجهه مسحه من الانتصار عندما أجبر المفوض على تدوين الأشياء بطريقته هو .. الطريقة الصحيحة .

" ثمانمائة وثلاثة أفدنة .. ٨٠٣,٢٩ ، إذا سمحت . وكم تساوى تلك المساحه من الأميال "؟

" لا أستطيع أن أحسب ذلك ، يا سيدى " .

سأل يودو أكبان الشاهد التالى قائلا : " هل أنت السكرتير العام المساعد لاتحاد أحفاد إيباجا "؟

" نعم ، أنا مساعد السيد بنيامين بنيامين عضو الاتحاد الوطنى . أنا أيضا السكرتير العام للفرع المحلى" .

"ما مهامك فيما يتعلق بالنقود التى جرى جمعها من الناس" ؟

" لدى مدونات فى أربعة سجلات مختلفة " .

" وهل هذا واحد من تلك السجلات " ؟

"نعم ، هذا هو السجل رقم ٢ " .

كان الحساب رقم ٢ مدون فى سجل له غلاف مقوى أخضر اللون ومكتوب عليه "صندوق استئناف قضية الضرائب "بخط أنيق .

"هذا السجل به أسماء كثيرة . وليست هناك مبالغ مدونة قرين كل اسم من هذه الأسماء . فما معنى ذلك "؟

"هذا يعنى أن الناس لم تنتــه بعـد من دفع المبـالغ التى وعـدوا بدفعـهـا . وما داموا لم يدفعوا فلن أدون أسماءهم فى السجل على الإطلاق " .

" ولكن كيف لك بمعرفة ذلك الذى دفعه والذى لم يدفعه كل اسم من هذه الأسماء " ؟

" أنا لا أعرف ذلك . السكرتير العام هو الذى يعرف ذلك " .

" ولكنك أنت الذى دونت الأسـمـاء . فكيف لك بالحصول على تلك المعلومات "؟

" أنا لا أعرف كيف يحصل السكرتير العام على معلوماته . لديه كثير من المفكرات . ولكنى غير متأكد من ذلك ".

"عندما كان السيد بنيامين بنيامين فى المستشفى ، كنت أنت القائم بأعماله سكرتيراً عاما "؟

قال الرجل متباهيا لحصوله على شرف تمثيل الرجل العظيم : "نعم ، فعلت ذلك ".

"وبالتالى قمت بتحصيل بعض هذه المبالغ "؟

"حصَّلت سبعة وثلاثين جنيها تحت رقم الحساب ٢ ، ثم سلمت النقود هى وأسماء المتبرعين إلى المسئول المالى وأبلغت السكرتير العام بذلك عندما عاد ".

"ولكن أين ورد ذكر ذلك المبلغ فى هذا السجل "؟

"هنا ، على هذه الصفحة" .

"ولكن هذه الصفحة عليها أسماء فقط . وليس هناك ما يثبت أن هؤلاء الناس اعتبارا من الرقم ١٧٠ إلى الرقم ٣١١ ، دفعوا سبعًا وثلاثين جنيها ".

" السبب فى ذلك أنهم دفعوا أجزاء فقط من المبلغ . وعندما يكملون المبالغ المطلوبة منهم سوف ندون ما دفعوه بالكامل أمام أسمائهم" .

"أين ستدون ذلك "؟

" فى سجل السكرتير العام " .

وهنا تساءل أكبان غاضبا : " ألا يبدو لك هذا النظام من أنظمة إمساك الدفاتر غريبا وعجيبا "؟

" السكرتير العام هو الذى أصدر لى تعليمات بإمساك الدفاتر على هذا النحو " .

بدأ أكبان بعد ذلك يتصفح أوراق السجل .

"هذه هى صفحة للمصروفات . جميل جدا . سوف أقرأ عليك ما فيها " .

ثم قرأ المفوض البنود التالية :

١ - مصروفات أولية ٦٣ جنيهًا إنجليزيا .

٢ - دعاية صحفية ٥٠ جنيها إنجليزيا .

٣ - القسط الأول من الأتعاب القانونية ٥٠ جنيها إنجليزيًا .

٤ - مصاريف انتقال المحامى ١٢ جنيها و ١٥ شلنا .

٥ - القسط الأول من خدمة الاستخبارات ٨٠ جنيها .

٦ - شراء سيارة ١٢٠ جنيها .

٧ - بدل سيارة مدة خمسة أشهر ٧٥ جنيها .

٨ - مصروفات السيارة الحساب الأول ٢٣ جنيها و ١٢ شلنا .

٩ - مصروفات جيب السكرتير العام ١٩ جنيها و ١٥ شلنا .

١٠ - القسط الثانى من خدمة الاستخبارات ٤٠ جنيها .

١١ - وسائط ٤٥ جنيها و١٠ شلنات .

١٢ - مصروفات متنوعة ١٣ جنيها و ١٢ شلنا .

الإجمالى حتى تاريخه ٥٩٣ جنيها ٤ شلنات و٦ بنسات .

رفع أكبان نظره عن السجل وقال : "ما تاريخ هذا الإجمالى" ؟

"التاريخ هو تاريخ تدوين تلك المصروفات " .

"رد على أسئلتى رداً يتسم بالفهم والذكاء ، ولا تضايقنى أكثر من ذلك .. ما التاريخ الذى دونت فيه تلك المصروفات فى الحساب " ؟

" أنا لا أعرف التاريخ . لقد نسيت أن أدونه" .

" أنت لا تعرف ، وأنت لا تتذكر "؟

" أنا لا أعرف ، ولا أتذكر " .

"هل تعرف أى شئ .. هل تتذكر أى شيء عن أى شيء " ؟

استدعى الرئيس أولووكيرى لكى يدلى بشهادته فى بعض هذه البنود التى وردت فى قائمة المصروفات سالفة الذكر .

" سياده الرئيس أولووكيرى ، فى البند الثانى من بنود المصروفات المدونة فى السجل بواسطة مساعد السكرتير العام ، يقال إن خمسين جنيها أنفقت على الدعاية الصحفية . كيف أنفق ذلك المبلغ ؟ فى رأيى

أن هذا المبلغ جرى تمريره عن طريقك عندما كنت مسئولا ماليا (أمينا للصندوق) "؟

"نعم ، لقد أنفق ذلك المبلغ على المشروبات التى قدمت للعاملين فى الصحيفة ".

"هل أنفق المبلغ كله على المشروبات "؟

"نعم ، كما دُفع من المبلغ للعاملين فى الصحيفه ليسددوا به مصروفاتهم ".

"ما هذه المصروفات "؟

"أنا لا أعرف ، فأنا وظيفتى حفظ المال . ولقد طلبوا منى تلك النقود فأعطيتهم إياها " .

"هل تعنى السكرتير العام ، أم السكرتير العام المساعد ؟ من منهما الذى طلب منك النقود "؟

" الاثنان ، اسألهما بنفسك ".

استدعى المفوض السكرتير العام المساعد .

"صرح الرئيس أولووكيرى بأن مبلغا من الخمسين جنيها دفع للصحافيين لسداد أو تسوية مصروفاتهم . فما تلك المصروفات التى جرى تسويتها "؟

" مصاريف الانتقال بالسيارات ، ومصاريف الليل " .

" هل كان من الضرورى تسوية أو دفع تلك المصروفات "؟

" كان سدادها أمرا ضروريا جدا . وما لم يحصل الصحافيون على النقود فلن يكتبوا مقالات جيدة عن حملتنا " .

" أنفقت فى البند الخامس ثمانين جنيها تحت مسمى قسط الاستخبارات الأول . وأنفقت أيضا فى البند العاشر أربعين جنيها أخرى تحت المسمى نفسه ، وبذلك يصل إجمالى المنصرف تحت هذا المسمى حوالى مائة وعشرين جنيها . فهل هذا صحيح " ؟

"هذا صحيح " .

"ما هى تفريدة أو تفاصيل ذلك البند "؟

"ثمانون جنيها أنفقت فى السكرتارية فى أبينو فى البداية " .

"ثمانون جنيها فى السكرتارية فى أبينو .. كيف أنفقت ذلك المبلغ "؟

" أعطينا كبير المساحين الأوروبى مبلغ خمسين جنيها . وأعطينا الكاتب الرئيسى (الباشاكاتب) ثلاثين جنيها" .

"هل أخذ كبير المساحين الأوروبى مبلغ خمسين جنيها منك" ؟

كرر يودو أكبان السؤال مندهشا : "هل أعطيته أنت المبلغ بنفسك "؟

" لا ، أرسلنا المبلغ عن طريق الكاتب الرئيسى ، والكاتب الرئيسى أرسله بدوره عن طريق الخادم ، وقام الخادم بإعطاء المبلغ لزوجة سيده ، وقامت هى بدورها بإعطائه لزوجها فى أثناء الليل ".

"إذن ، فأنت لم تعط النقود للأوروبى بنفسك" .

تساءل يودو أكبان فى إمعان وذهنه لا يعير تلك الشهادة انتباها نظرا للف والدوران الذى انطوت عليه .

"كيف عرفت أنه تسلم المبلغ "؟.

أبلغ الخادم الكاتب الرئيسى بذلك ، وبالتالى أخبر الكاتب الرئيسى بنيامين بنيامين ، ثم أخبرنى السكرتير العام بذلك ".

"من منكم أعطى الخمسين جنيها للكاتب الرئيسى لتسليمها للمسَّاح "؟

"السكرتير العام هو الذى فعل ذلك ".

تساءل يودو أكبان فضولا فقال : "هل كنت موجوداً عندما أعطى السكرتير العام ، بنيامين بنيامين الخمسين جنيها للكاتب الرئيسى" ؟

"لا ، لم أكن موجودا . لو كنت موجوداً لما أخذ الكاتب الرئيسى النقود . وربما استدعى الشرطة للقبض علينا ". وهنا خاب أمل يودو أكبان . وظهر عليه ذلك الإحباط . ثم أردف قائلا : " ألا تعرف أنه من الخطأ إعطاء نقود للموظفين العموميين بالطريقة نفسها التى اعترفت أنت باللجوء إليها" ؟

"أنا لا أعرف ذلك . تلك هى الطريقة المتبعة فى المكاتب كلها" .

" أهذه هى الطريقة المتبعة فى المكاتب كلها .. أهذه هى الطريقة المتبعة أيضا حتى فى مكتبى " ؟

"نعم . هذه هى الطريقة المتبعة ومعكم فى المكاتب كلها . فإذا لم تعط ثمار الكولا للكاتب الرئيسى ولبقية الكتبة ، يستحيل أن ينقضى لك أمر فى أى مكتب من المكاتب . وهذا هو الأسلوب الذى تسير عليه الأمور فى مكتبك فى أبينو " .

صمت يودو أكبان فترة طويلة ، محاولا كبح جماح غضبه . ثم قال فى النهاية : "خبرنى ، أيها الرجل ، لماذا أعطيت النقود للمسئولين فى السكرتارية " ؟

"أعطيناهم النقود كيما يطلعونا على التقرير الذى كتبه كبير المساحين الأوروبى عن أرض إجبودودو . والتقرير وثيقه سرية " .

"أين الوثيقة السرية التى حصلت عليها من السكرتارية فى أبينو "؟

"هى موجودة فى السكرتارية ، فى أبينو " .

"تقول إنها فى السكرتارية فى أبينو .. ظننت أنك اشتريتها "؟

"لم يسمح لنا بالاحتفاظ بها سوى ليلة واحدة . ثم أرسلناها للكاتب الرئيسى فى صباح اليوم التالى . حتم ذلك علينا ، استئجار سيارة أجرة وإعادة الوثيقة مع شخص خاص حتى لا يتأخر وصولها إلى السكرتارية فى أبينو" .

"هذه مهارة فائقة . إذن فقد نسختم الوثيقة ، حسب تصورى "؟

"أظن أن الأمين العام نسخها ، أنا لا أستطيع القطع بذلك" .

"من الطبيعى ألا تعرف . أنت لا تعرف شيئا . ولكنك تعرف أنك أعطيت مبلغ خمسين جنيها لواحد من الأوروبيين ، وأعطيت أيضا مبلغ ثلاثين جنيها لواحد من الكتبة الرئيسيين ، كما تعرف أيضا السر الذى انطوت عليه الوثيقة "!

"نعم ، قال السكرتير العام إن الوثيقة تظهر بشكل قاطع أن أرض إجبودودو إنما هى تابعة لإيباجا ، كما تثبت الوثيقة أيضا أن أهل أبينو دفعوا مبلغا كبيرا لكبير المساحين الأوروبى كيما يقول إن الأرض ملك للأبينيين ".

راح أكبان يدون المزيد من الملاحظات وهو يقول : "عجباً " !

" انتبه ، وقل لى . ماذا تعنى بكلمة " وسائط " فى البند الحادى عشر . أزعم أنك لا تعرف كالعادة " ؟

"أنا أعرف . أنفقنا المبلغ على " الوسائط " .

قل لى : "ما تلك " الوسائط " ؟ هذا هو ما أريد معرفته منك" .

"أنفقنا المبلغ فى شراء أدوية وأخذ حقن نحمى بها أنفسنا من عدونا "."

"من هو عدوكم "؟

"الأبينيون ، هم أعداؤنا . إنهم أشرار تماما . لديهم تعاويذ وتمائم غاية فى القوة . وباستطاعتهم قتلنا بمثل هذه التعاويذ والتمائم " .

" أنت تؤمن بتلك التعاويذ والتمائم ، بطبيعة الحال . هل أخذتم الدواء والحقن من الطبيب الموجود فى مستشفى أبينو "؟

" لا . طبيب المستشفى لا يعرف شيئا عن هذه الأمور . كما أن دواء الرجل الأبيض لا يستطيع القضاء على السحر والتعاويذ والتمائم " .

"إذن ، فقد ذهبت إلى الطبيب الوطنى "؟

"نعم ذهبنا إلى الطبيب الوطنى" .

"ودفعتم خمسة وأربعين جنيها للطبيب الوطنى السحَّار كيما يحميكم من أسحار الأبينيين . خبرنى ، كيف عرفت أن الطبيب أعطاكم أسحارا أقوى من أسحار الأبينيين ؟ وأنت بنفسك تقول : إن الأبينيين لديهم أسحار قوية "؟

" أنا أعلم ذلك . لو أن السحر الذى أعطانا إياه طبيبنا لم يكن أقوى من أسحار الأبينيين ، لمات السيد بنيامين بنيامين عندما وقع حادث السيارة فى أبينو" .

الفصل العشرون

استمر التحقيق فى إيباجا مدة سبعة عشر يوما ، وستة أيام أخرى فى أبينو . وجرى خلال تلك المدة استجواب تسعة وعشرين فرداً بواسطة يودو أكبان .

وفى أحد الأيام تأخر يودو أكبان حتى ساعة متأخرة من الليل كى يعد ، فى مكتبته ، مسودة التقرير الذى سيقدمه فى نهاية التحقيق ، كتب يودو أكبان يقول فى مسودة التقرير :

أنا على يقين لا يخامره أى شك من أن مشاعر أهل إيباجا البسطاء المعادية للأبينيين ، عدوهم السابق منذ أيام الحروب التى كانت تدور بين القبائل ، وكذلك جهلهم وخرافاتهم ، قد استغلتها حفنة من أولئك الناس الذين يقال عنهم إنهم متعلمون . لقد أقنعوا أولئك البسطاء بالتبرع بأموالهم وتقديمها لأسباب جرى إقناعهم بأنها لمصلحة بلدهم ولمصلحة مجتمعهم ...

راح يودو أكبان يدخن غضبا وغيظا بحثا عن الكلمات المناسبة لوصف وصياغة النتائج التى توصل إليها بشأن صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو . كان أكبان يعلم أن تقريره لابد من أن يكون

واقعيا . فقد كان ينتمى إلى طائفة من الموظفين الذين يتفاخرون بثرائهم اللغوى الراقى وذلك بغض النظر عن مشاعر الكاتب نفسه . واقع الأمر ، أن يودو أكبان لم يكن موافقا على ذلك المبدأ ومع ذلك يتحتم عليه أن يجئ تقريره ملائما من الناحية الشكلية .

يعد صندوق استئناف قضية أرض إجبودودو ، إلى حد بعيد جدا ، أخطر كل هذه الأمور . كان الهدف المزعوم لذلك الصندوق ، هو دفع المصروفات القانونية اللازمة للدعوة من قبل أهل إيباجا على أهل أبينو لاسترداد أرض إجبودودو التى يزعم ويدعى الإيباجيون أنها جزء من حى إيباجا . كان من الصعب تماما علىَّ التوصل ، خلال تلك الفترة الزمنية ، إلى المبلغ الحقيقى الذى جرى جمعه من أهل إيباجا ، وإذا ما استثنينا المبلغ الذى جرى تحصيله فى إيباجا ، نجد أن المحصلين قاموا بتنظيم حملات تحصيل انطلقت من إيباجا إلى كل مدن البلاد وقراها التى يوجد بها من الإيباجيين ، سواء أكانوا رجالا أم نساءً ، يمارسون التجارة والبيع والشراء . يضاف إلى ذلك أن المبالغ التى جرى جمعها بهذه الطريقة لم تسجل تسجيلا دقيقا . يزاد على ذلك ، أن المحصلين اتبعوا نظاما غريبا فى إمساك الدفاتر والحسابات يستحيل معه على أى إنسان (بما فى ذلك المحصلين أنفسهم) معرفة أو اكتشاف المبلغ الذى دفعه أى متبرع فى أية مرة من المرات . وتقديرى لذلك المبلغ ، فى ضوء الدلائل التى توفرت لى يقدر بما يتراوح بين ٧٥٠ و ١٠٠٠ جنيه إنجليزى ، جمعت كلها من أجل ذلك الصندوق وحده .

ولم يتبق من ذلك المبلغ أى شىء مع المسئول المالى (أمين الصندوق) ، الرئيس أولووكيرى ، طبقا لما ورد فى شهادته .

ضحك يودو أكبان فى سره عندما رأى طيف الرئيس أولووكيرى ينهض واقفا أمامه ، طيف ذلك الرجل الذى كان مسئولا ماليا (أمينا للصندوق) ولم يستطع أن يعرف مقدار المبلغ الذى كان فى حوزته ، والمبلغ الذى صرفه من ذلك المبلغ . ها نحن هنا أمام مسئول مالى لا يعرف القراءة أو الكتابة وإنما جرى اختياره لتلك الوظيفة بحكم ثرائه ومركزه الاجتماعى . حتم ذلك ، على أولوو أن يثق بكاتبه الرئيسى ، الذى كان هو بدوره على قدر ضئيل جداً من العلم ولا يمكن بالقطع أن يصلح لإمساك الحسابات بطريقة سليمة أو دقيقة . أين يتوقف انعدام الكفاءة وتبدأ الخيانة المخططة والمرسومة ؟ سحق أكبان عقب السيجارة فى طفاية السجائر فى الوقت الذى قرر فيه عدم إدراج مثل هذه المشاعر ضمن التقرير . لابد أن يكون تقريره واقعيا . ثم كتب بعد ذلك فقرة أخرى عن المسئول المالى ، قال فيها :

قال الرئيس أولووكيرى ، المسئول المالى ، ونائب الملك ، قال فى شهادته إن محاميا مقيما فى أبينو تقاضى مبلغ ٤٢٠٠ جنيه إنجليزى أتعابا عن تلك القضية . ومسئول الأرض الرئيسى ، قدر فى شهادته التى أدلى بها ، قيمة الأرض محل النزاع بما يقدر بحوالى ١٦٨٠ جنيهاً إنجليزيا وذلك طبقا لأسعار الأرض السائدة فى أبينو . وبناء عليه ، فأنا أرى أن ذلك المحامى رفض المجىء للإدلاء بشهادته أمام لجنة التحقيق ، لأسباب تتعلق برسالة أرسلت إلى المحامى العام فى دوسيه مستقل .

آه ، من المحامين ! نهض يودو أكبان واقفا من أمام مكتبه وراح يتجول بلا هدف في غرفة نومه مجيئا ثم ذهابا . ولم يجرؤ على تدوين ذلك الذى دار بخلده حول تلك الطائفة المحترمة من المحترفين ، هؤلاء الناس الذين ينتمون إلى تلك " المهنة الفكرية " ! محامي المرافعة المعتمدين من النقابة ، ومحامي الإجراءات والتحضير أمام المحكمة العليا ! وكذلك المحامين العامين ! إنه يعرفهم حق المعرفة . ولكنه لم يجرؤ على تدوين ذلك الذى يود قوله عن هؤلاء الناس فى تقرير من التقارير الرسمية . وتنهد الرجل لخيبة أمله عندما توصل إلى قرار مفاده أنه ينبغى عليه ألا يثير ذلك الأمر أو ينبشه .

وملأ لنفسه كأسا ليقتل الغيظ فى نفسه ، تلك الفكرة التى تسبب فيها بنيامين بنيامين . إنه يكره ذلك الرجل . وتمنى من أعماقه لو أتيحت له فرصة التعامل مع ذلك الرجل على نحو يصيبه أو يوقعه فى أكبر قدر من الأذى .. تمنى أن ينزل به شر هزيمة فى حياته كلها . ثم راح يكتب بعد ذلك ، فى تحفظ شديد ويقول :

السيد بنيامين بنيامين ، السكرتير العام لاتحاد أسلاف إيباجا ، فشل أيضا فى الحضور للإدلاء بشهادته فى التحقيق . والذى لا شك فيه أن عدم حضوره جاء بناء على توصية من المحامى . لم يجر الرد بعد على التحقيق السرى الذى أرسلته إلى مكتب المحامى العام فيما يتعلق بالسلطات المخولة لى فى مثل هذه الظروف . والذى لا شك فيه أن الخبراء لا يزالون ينظرون فى الجوانب القانونية ويدرسونها . وغنى عن القول ، أننا أصابنا الحزن والإحباط وشعرنا أيضا بخيبة

الأمل لتغيب شخص ، هو بمثابة الشاهد الرئيسى ، عن حضور التحقيق ، وبالذات فى الوقت الذى ليس لدينا فيه من المبررات ما يجعلنا نتخذ ضده إجراء فاعلا . وأنا أمتنع هنا ، عن إيراد أى شىء آخر عن السيد بنيامين بنيامين ، من منطلق أن الشخص برىء إلى أن تثبت إدانته .

وفيما يتعلق بتحصيل المبالغ اللازمة لشل حركة الضرائب المفروضة ، مضى يودو أكبان يكتب عن قناعة :

فيما يتعلق بالصندوق الخاص بالتماس إعادة النظر فى الضرائب المفروضة توصلت إلى أنه قد جرى جمع وتحصيل مبلغ مقداره ١٥٣ جنيها إنجليزيا . ومثلما حدث فى المبالغ التى جمعت تحت اسم قضية أرض إجبودودو ، أنفق المحصلون المبلغ الذى جمعوه تحت مسمى إعادة النظر فى الضرائب ، أنفقوه بالطريقة التى تعجبهم وتروق لهم . ويكفى أن أشير هنا إلى أن نشاطات لجنة التماس إعادة النظر فى الضرائب ، لم يكن لها أى أثر على ربط الضرائب ، أو على استمرار حمله التحصيل ونتائجها الجيدة بالرغم من كل هذه النشاطات .

نهض يودو أكبان واقفا من مكانه ليتحرى سبب ذلك الهياج الذى كان يدور فى المنطقة التى يعمل فيها مرءوسيه . وقف الرجل فى الشرفة ، ووجه ضوء شعلته ناحية الاتجاه الذى كانت تصدر منه الجلبة والضوضاء ، وامتد شعاع ضوء الشعلة مخترقا المسافة إلى ذلك المنزل الصغير الذى كان خادمه وطباخه هما وعائلتاهما يشغلان حجرتين من حجرات ذلك المنزل . وغضب الرجل وكشر عن أنيابه عندما عرف أن

الصوت كان عبارة عن عويل وبكاء الأطفال الصغار أبناء الطباخ من زوجاته الثلاثة . كما كان هناك حوار عائلى آخر يدور فى سكن الطباخ . بدأ أكبان يضيق ذرعا من تلك المشاجرات التى سبق أن حذر الطباخ منها أكثر من مرة ، وبخاصة ما يتعلق منها بمسائل الزواج . حدث ذلك قبل أن تنضم الزوجة الثالثة إلى قطار زوجات الطباخ . عاد يودو ثانية إلى ما كان يكتبه . وبعد شيء من التغيير والتبديل توصل إلى الفقرة التالية فيما يتعلق بالمبالغ التى حُصِّلت لتأبين الرئيس مومو :

بالرغم من أن المبلغ الذى جرى تحصيله لصالح صندوق تأبين الرئيس مومو كان صغيرا فقد كانت هناك أدلة كافية مفادها أن ذلك المبلغ شارك فيه قسم كبير من السكان نظرا لمعارضة أولئك السكان لموضوع تقطيع أشجار الكاكاو المريضة .. تلك القضية التى يقال إن الرئيس مومو مات دفاعا عنها ، مما جعله يدخل فى عداد الشهداء .

كتب يودو أكبان للفقرة التالية ، قبل أن يرضى عنها ، مسودتين ألقى بهما فى سلة القمامة :

فى إطار حساب المصروفات الهزيل ، تعد الأدلة الحقيقية أو بالأحرى صحة البنود الأخرى على اختلاف أنواعها ، أمرا بالغ الصعوبه نظرا لعدم توفر الإيصالات إلا فى حالات ثلاث فقط ، والأدهى من ذلك أن حالتين من هذه الحالات الثلاث غير المسموح بالاطلاع عليهما تماما نظرا لأنهما جرى إعدادهما بواسطة أشخاص ليس لديهم أية فكرة عن ذلك الذى يكتبون عنه . وبطبيعة الحال ، تصبح مسألة عدم

وجود إيصالات فيما يتعلق بالبندين المسميين " خدمة الاستخبارات " أمرا واردًا ، وبخاصة إذا كانت تلك المبالغ قد دفعت على سبيل الرشوة المقدمة للعاملين فى مركز الرئاسة حتى يقوموا بتهريب الملفات من المكتب . وقد أبلغ عن ضياع ملف سرى من إدارة الأراضى ، ويجب أن نلاحظ هنا أن الإبلاغ جاء من مسئول الغابات الرئيسى ، وأن ذلك الضياع استمر طيلة يومين خلال الفترة المذكورة . كما أن مسئول الغابات الرئيسى أراد إحداث شىء من التصحيح على التقرير الذى سبق أن أعده عن الزيارة التى قام بها مؤخرا إلى منطقة غابة إجبودودو ، وهى الفترة التى جرى خلالها اكتشاف ضياع الملف . وبعدها بيومين تم العثور على الملف . كان مسئول الغابات الرئيسى صادقا عندما قال إن الملف لم يكن موجودًا فى مكانه ، عندما بدأ البحث عنه . وهذا الموضوع مطروح حاليا فى إدارة التحقيقات فى إدارة الأراضى ، كما أن سلوك كبير الكتبة المساعد ، الذى تحوم الشكوك حول شخصيته منذ فترة ، يثير الكثير من المخاوف والشكوك .

وخلُص أكبان إلى ما يلى :

أنا على قناعة بأن الأمر يحتاج إلى أن تقوم الشرطة بتحريات عن أنشطة جمع المال فى إيباجا . وبناء عليه فقد أعددت تقريرا مستقلا لآمر الشرطة .

بعد سبعة أشهر من نشاطات جمع التبرعات التى استهلها بنيامين بنيامين ، وبعد إحالة رفاقه إلى الشرطة ، اكتشف المسئولون القانونيون وجود جريمة جنائية ضد هؤلاء الرفاق . وترتب على ذلك ،

إلقاء القبض على بنيامين بنيامين ومعه أربعة آخرون ووجهوا إليهم ستة اتهامات تتعلق بالتآمر والسرقة .

استمرت القضية خمسة أشهر فى محكمة أبينو ، جرى بعدها إطلاق سراح كل من بنيامين بنيامين ورفاقه وتبرئتهم . قال القاضى : " ليس لدى أى شك فى أن المتهم الأول هو أخبث المتهمين ، وأنه لم يتشكك لحظة واحدة فى استغلال جهل أهله وسذاجتهم لخدمة أغراضه الأنانية والدنيئة . كما أننى لم يتطرق إلى ذهنى أدنى شك فى أن المتهمين لم يواجهوا أية صعوبة فى إقناع أهل إيباجا هم وأولئك الذين من أصل إيبّاجىّ ، ويعيشون خارجها ، بدفع مبالغ من المال تحت مسمى بعض القضايا التى تهمهم كأفراد ومجتمع أيضا . ولكنى أجد هؤلاء المتهمين أبرياء فى ضوء تلك المادة من القانون الجنائى التى جرى بمقتضاها إلقاء القبض عليهم ، والسبب فى ذلك أن نصوص تلك المادة لا تتطرق إلى مسألة التآمر والسرقة التى جرى ارتكابها داخل المحمية Protectorate . والمؤلم هنا أن أجد هؤلاء المتهمين أبرياء ، وأخلى سبيلهم وأبرئ ساحتهم . وأنا عندما أفعل ذلك إنما أستعمل السلطات التى يخولها لى القسم ١٢٦ من الفصل السابع من النسخة المنقحة من قانون العام ١٩٤٢ الميلادى الخاص بالمستعمرات والمحميات ، فى التعبير عن إدانتى الكاملة لشخص المتهم الأول ، وأنا أجد فى ذلك المتهم أفضل مثال لشخص نصف متعلم يضرب به المثل وعلى هذا القدر من الخطر . وهو لا يعرف سوى رأيه هو فقط ، وفكرته عن أهميته مبالغ فيها تماما ، فضلا عن أن إمعانه فى الإفك والكذب شىء غير طبيعى

تماما . وأنا أرى أن ذلك الرجل يشكل خطراً اكبيراً على المجتمع الذى يعيش فيه ، كما أنه يعد مأساة للتعليم فى هذا البلد ، وهو أيضا لعنة للإنسانيه كلها .

وقد مللت وسئمت من مطالبة الادعاء بإعداد القضايا إعداداً جيداً قبل إحالتها إلى هذه المحكمة أو أية محكمة أخرى . وأكرر هنا أننى وجدت أن المتهمين غير مدانين ، لا لأنهم لم يخرجوا على القانون وإنما لإحالتهم إلى المحكمة هنا طبقا لنصوص قانونية غير مناسبة . وإذا كان هناك فى داخل هذه المحكمة أو خارجها ، من يظن أن قاضى هذه المحكمة ليس عادلا ، فأنا أريده أن يعرف ظروف الحكم ويقف عليها " .

الفصل الحادى والعشرون

بعد الابتهاج والتهليل خارج مبنى المحكمة فى أبينو حمل مؤيدو بنيامين بنيامين وأتباعه ، حملوه إلى منزل الرئيس الوطنى لاتحاد الأسلاف الإيباجى . وملأ الجمهور بهو منزل ذلك الرجل العجوز ، وملأ أيضا غرفة نومه الوحيدة ، وملأ مطبخه وشرفته ، كما زاد الجمهور وفاض أيضا ممتدا إلى الطريق الخارجى . كانت هذه الجموع كلها تتسابق إلى مصافحة البطل .

وبعد محاولات عدة نجح الرئيس فيما يشبه استعادة شىء من الصمت من كل تلك الفوضى . ثم تحدث الرئيس بعد ذلك إلى الجمهور . وأخبرهم أنهم وهم فى غمرة السعادة ونشوتها لا يجب أن ينسوا الأولويات . وهنا طلب إليهم جميعا أن يقفوا معه ويقدموا فرائض الشكر والثناء لواهب كل الانتصارات . ودعا الرئيس رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب وابتهل إليه . وأعاد على مسامع الحاضرين كيف أن الله كان معهم دوما إلى الأبد ، وكيف وقف الله إلى جانبهم فى هذه المرة ، وأن الله سيظل معهم بعدها إلى أبد الآبدين .

" يا الله إنك إذا لم تبن البيت فسيكون عمل العاملين هباءً . أنت المحامى العظيم حامل الدرجات التى تفوق الدرجات التى يحملها محامى الحكومة . أنت صاحب الأذرع الطويلة التى تنقذ بها أبناءك من خليج الخطر .

ولو قدر لنا أن نجثو على ركبنا ونظل جاثين عليها اليوم ، وغداً ، ودوما – سنظل عاجزين عن تقديم معشار الشكر والثناء الذى تستحقه ، يا الله ، يا قادر ، يا عظيم ، يا واهب كل الطيبات ، يا زوج الأرامل ، يا والد الأيتام ، يا مدافع عن الضعفاء .

أنت ، يا من تعرف احتياجات مدينتنا إيباجا المسكينة ، ندعوك أن تطيل عمر ولدنا حتى يواصل الكفاح من أجل قضية مدينتنا .. المدن الأخرى بوسعها أن تتباهى وتتفاخر بأطباء ومحامين ومهندسين عديدين . ولكننا ليس لدينا سوى هذا الابن الوحيد والسبب فى ذلك راجع إلى سوء أعمال عدونا . احفظه لنا ، يا ربنا . يا رب السماء ، احفظ لنا بنيامين بنيامين ، وبارك اللهم فى مدينتنا إيباجا " .

"نحن هنا أجانب ، فى أبينو . نرجو يا الله أن توجه أقدامنا وأنظارنا صوب وطننا إيباجا . وإذا وجدت من بيننا من أصابهم الفساد بسبب وجودهم هنا فى أبينو ، ووصل بهم الأمر إلى حد نسيان آبائهم وأمهاتهم فى إيباجا ، فخذ بيدهم وأنزلهم طريق العودة إلى الوطن . وإذا ما ضل أحد من أبنائنا ، حاليا أو مستقبلا ، الطريق الضيق المؤدى إلى بوابات الحياة ، وانساق وراء الإغواء والنساء الفلستينيات

فى أبينو سعيا إلى إشباع رغبات الجسد الخاطئة ، ندعوك يا الله ، يا قادر ، يا رب السماء أن تجعل أجراس إيباجا تطن فى أذنيه " .

" أيها الإله الأب .. أيها الإله الابن .. أيها الإله الشيخ المقدس - أغفر لنا عيوبنا نحن أبناءك ، أعضاء الاتحاد ، المجتمعين حاليا لنشكرك على النصر الرائع الذى هيأته لأخينا على من اتهموه ، ولتخليصه من بوابات السجن . تآمر حكام هذه الأرض لإطفاء الشعلة التى تهتدى بها أقدام اتحاد إيباجا . ولكن شأنهم شأن الحكام الدنيويين فإن مملكتهم أرضية ودنيوية أيضا ، وسوف تعنى تلك المملكة على الأرض . وهذا هو السبب يا والد كل الرحمات فى أننا نصلى لك حاليا وندعوك بصوت واحد ، وبكل تقدير ووقار ونقول :

آت بمملكتك يا الله

ابدأ حكمك على الأرض

اطلع علينا يا نجم الصباح

اطلع علينا ولا تغرب مطلقا عن إيباجا " .

كان استقبال الأبطال ينتظر وصول بنيامين بنيامين إلى إيباجا . فقد أمضى الليل فى أبينو ووصل فى الصباح إلى إيباجا . كانت الأخبار قد سبقته إلى إيباجا لتقول لأهلها إن بنيامين بنيامين لم يكسب القضية المرفوعة على الحكومة فحسب وإنما أصدرت المحكمة قرارا أيضا بإبعاد الرجل الأسود الأبيض عن الحى ، فضلا عن إعفاء أهل

إيباجا من دفع الضرائب طوال الأعوام الخمسة التالية ، وإنه اعترافا بشجاعة بنيامين بنيامين ومهارته فقد تقرر أن يكون هو رئيس الوزراء من الآن فصاعداً . وقيل أيضا ، إن القاضى قد كتب خطاب تعيين البطل رئيساً للوزراء ، كما قيل أيضا ، إن الحاكم طار بالفعل إلى بلاد الرجل الأبيض لإبلاغ ذلك الخبر إليهم .

استغرق انتشار الخبر فى إيباجا ، وفى القرى والكفور وقتا طويلا ، وبذلك أصبحت للخبر ظلال متباينة قبل وصول بنيامين بنيامين إلى النهر الذى يبعد نصف ميل عن بوابات إيباجا . وكان جمع كبير من الناس قد تجمعوا فى ذلك المكان انتظارا لوصول البطل .

كانت هناك ثلاث سيارات خاصة إضافة إلى لورى لدعم ومساندة السيارة الأجرة التى حضر فيها بنيامين بنيامين من أبينو . كان بنيامين هو ورئيس اتحاد تحسين إيباجا ، الذى كان يرافقه فى أثناء العودة من أبينو ، يركبان فى مؤخرة أفخم سيارة من بين السيارات ، التى كانت سيارة صالون من طراز أوبل كابيتان التى كان يجرى اختبارها تمهيدا لشرائها للأمين العام "لمتابعة قضية إيباجا ". ووزع بقية الرجال المهمين أنفسهم على السيارات الثلاثة المتبقية ، فى حين شق الرجال الأقوياء من بين الصف والجنود طريقهم نحو اللورى . وتقدم الموكب بعد ذلك صف طويل من راكبى الدراجات ، ومن المشاة ، ومن قارعى الطبول ، وراح الجميع يشقون طريقهم صوب المدينة .

هرعت النســوة وهرع الرجــال والأطفــال إلى شــرفــات المنازل ليشـاهدوا الموكب ويهتفوا . وانضم إلى الموكب أناس كثيرون مشاركة منهم فى ذلك الذى سيتحول إلى عيد وطنى .

كان هناك صبى من صبية اللوريات ، يجلس على الرفرف الأمامى للورى ، وراح يطلق صافرته على نحو مستمر ، ويشير إلى النظارة والمتفرجين بالانضمام إلى الموكب إلى موقف اللوريات الذى سيجرى فيه احتفال شعبى كبير . وأطلق اللورى والسيارات آلات التنبيه وشق الموكب طريقه على طول الطريق الضيق أحمر اللون قاصدا وسط المدينة .

كان جمهور كبير قد تجمع فى موقف اللوريات عندما وصل الموكب إليه . كان الضجيج والضوضاء المنبعثان من وسط مدينة إيباجا أمرا لا يصدقه عقل : صيحات الترحيب ، إطلاق آلات التنبيه من السيارات ، اختلاط طنين أجراس السيارات ، كل ذلك اختلط ببعضه متحولا إلى ضوضاء مخيفة تحية لبنيامين بنيامين العظيم .

فى الماضى كان بنيامين بنيامين بنفسه هو الذى يدبر الأمور فى مثل هذه المناسبات . ولذلك كان يعرف متى يلتمس من الجماهير العودة إلى الصمت والنظام ويحصل على ما يريد . لم يكن هناك فى ذلك الوقت (ريِّس) محدد للاحتفالات ولذلك لم تفلح جهود اثنين من صبية اللوريات كانا يتنافسان على المنصب . تمتع بنيامين بنيامين بتلك الفوضى . هو وحده الذى كان بوسعه السيطرة على المواقف التى من

هذا القبيل . كان بحاجة إلى المزيد من الوقت كيما يعطى الناس فرصة التحقق من ذلك .

نزل بنيامين بنيامين من السيارة بعد ذلك وهو يحفه احترام كبير . ثم أخرج من فمه غليونه الطويل الذى يضعه فى فمه معظم الوقت . وأمسك غليونه فى يده اليسرى ، ثم أزاح نظارته من على أنفه وعقص على وجهه تعبيراً كئيبًا . ثم أعاد النظارة إلى مكانها وظهرت على محياه ابتسامة : فعل بنيامين بنيامين كل ذلك ليولد لدى الجمهور انطباعا مفاده أن بصره ضعف بسبب الجهود التى يبذلها من أجل استرداد أرض الآباء وأنه لم يعد يستطيع رؤية الأشياء إلا باستعمال النظارة .

ثم أشار بغليونه رافعا إياه إلى الأعلى . وهنا انطلق الصياح بدلا من الصمت . وابتسم بنيامين بنيامين ، وابتسم معه الجميع وراحوا يهتفون باسمه .

وفى النهاية تمكن من الحديث إلى الجماهير فقال : " أيها الآباء ، أيتها الأمهات ، أيها الكبار ، أيها الشباب ، يا رفاق الوطنية فى إيباجا ، يا رفاق السلاح .. أحييكم جميعا على انتصاركم العظيم فى المعركة العظيمة التى دارت بين الحق والقوة . الانتصار هو انتصاركم . وأنا لست سوى مجرد وسيط عديم القيمة استطاع مؤسس إيباجا من خلاله تقديم ذلك النصر لكم ". ثم توقف عن الكلام بعد ذلك . ولم يفشل كلامه فى تحقيق التصفيق الذى كان يرمى إليه . واصل بنيامين بنيامين كلامه قائلا : " عندما أراكم فى مثل هذا الموقف : تقفون من خلفى مثل بنيان

مرصوص ، مؤكدين تأكيدا راسخا على الحرية والحق ومؤكدين أيضا على استرداد الأرض ، الأرض الخصبة التى كانت ملكًا لآبائكم من قبل ، ولكن الرجل الأبيض سرقها وأعطاها للأبينيين أعدائكم .. أرانى أبكى فرحًا ".

بكى بنيامين بنيامين ، وأخرج من جيبه منديلا حريريا جفف به دموعه . وأحدث ذلك الأثر المطلوب .

" مضى حتى الآن حوالى ثمانية عشر عاما علىَّ هنا ، منذ أن كنت تلميذا فى بلد الأجداد هذا . ذلك البلد الذى أقسمت أن أهبه حياتى وذلك خدمة منى لموطنى .. إيباجا . عندها أقسمت على تصحيح الأخطاء التى ارتكبها الرجل الأبيض وعملاء الرجل الأبيض فى حق وطننا .

عندما تغيبت عن هنا سعيا وراء مصالحكم ، حاول يودو أكبان ، ذلك الذى يسمونه رئيس الحى ، هو وأتباعه وعملاؤه خداعكم ويجعلونكم تصدقون أنى هربت منكم . وكادوا ينجحون فى مكائدهم عن طريق زعزعة ثقتكم بشخصى وينبل موقفى وثباته ...

وقع بعد ذلك حادث اغتيال كبيرنا المبجل الرئيس مومو الشجاع . اغتالته الحكومة بعد أن أثبت أنه لن ينصاع لذلك الكلام الفارغ والهراء الذى تقوله الحكومة والذى مفاده أننا يتعين علينا قتل أشجار الكاكاو حتى نجعلها تعطى مزيدا من الإنتاج ! من ذا الذى سمع هراءً كهذا ؟ استطاع الرئيس مومو وحده أن يجلد عملاء الرجل الأبيض ويخرجهم من مزرعته . كنت أنا ولجنة الدفاع عن مومو ما زلنا نعد العدة للدفاع

عنه .. عندما .. عندما اغتالوه ". وجفف بنيامين بنيامين دموعه عن خديه مرة ثانية .

" ولكن مومو لم يمت بعد . وقضيته أبعد ما يكون عن الدفن أو الإخفاء ؛ وبسبب ذلك أننى اتخذت بعض الترتيبات مع مستشار ملكى King's Counsel من إنجلترا لينوب عن أسرة الرئيس المرحوم بصفة خاصة وعن المجتمع الإيباجى بصفة عامة وذلك فى قضية الأضرار التى رفعناها على كل من يودو أكبان والحكومة منفصلين ومتضامنين .

وأنا أرجو كل واحد منكم هنا ، رجالا ونساءً ، شيبا وشبانا أن تصمتوا معى مدة دقيقتين حداداً على الرئيس مومو الشجاع .. ضحية الاغتيال الوحشى" .

استطرد بنيامين بنيامين من بعد دقيقتى الحداد قائلا : " ظنت الحكومة أنها عندما تضطهدنى فسوف أتنازل أو أعزف عن الكفاح من أجل قضيتكم . ولذلك أمرت الحكومة بتشكيل لجنة تحقيق . والسبب فى ذلك ، أنهم قالوا إنى كنت أجمع منكم مبالغ مالية . وأنا أسألكم ، يا أهلى ، ما شأنهم فى ذلك ؟ هل هذه المبالغ من أموالهم ؟ وأكرر سؤالى هنا ، هل هذا المال ملكا للحكومة ؟ لماذا لا ترفع الحكومة الغماء عن عينيها ؟ ولعل الحكومة تطلعنا على مائة المليون جنيه التى أرسلت من ملك إنجلترا إلى أهل إيباجا ، ولكنها سرقت وجرى توزيعها على مسئولى هذه الحكومة الفاسدة .

حقا ، إنهم فاسدون بحق . أنا لم أخبركم بذلك . لأنكم لن تصدقوه . هذا شيء أعجب من الخيال . قبل التحقيق ، أرسلت الحكومة لى رجلا ومعه عشرة آلاف جنيه إنجليزى ، راح يلتمس منى الكف عن نشاطاتى . عشرة آلاف جنيه . يريدون منى أن أبيعكم بعشرة آلاف جنيه . يريدون لى أن أغتنى ويريدون لكم أن تكونوا عبيداً . ورفضت ذلك . رفضت ذلك لأننى رجل من رجال إيباجا بحق وحقيقة . ولأننى واحد من أبناء إيباجا بحق وحقيقة ، فأنا رجل شريف .

عندما عجزوا عن رشوتى شرعوا فى التحقيق ، التحقيق العار والشنار . ثم انتقلوا من الاضطهاد إلى الادعاء . وبالرغم من الاضطهاد والادعاء . فإننى أقف اليوم حراً طليقا . لقد أعلن القضاء براءتى" .

" بنجا بنجا " !

" ولكن أيها الآباء ، وأيتها الأمهات ، ويا رفاق الوطنية فى إيباجا ، لا يجب علينا أن نسمح لانتصارنا على العدو فى المحاكم أن يلهينا بإحساس زائف بالأمن والسلامة . يا شيب إيباجا ويا شبابها ، ويا رجالها ، ويا نساءها ، نحن لم نكسب سوى معركة واحدة فى الكفاح من أجل الحرية . لا يجب أن نحسب هذا الانتصار نهاية للكفاح . هذه ليست النهاية . وهذه ليست أيضا بداية النهاية . ولكن بوسعنا أن نقول إلى حد ما ، إنها نهاية البداية ...

ستكون المبادأة بأيدينا من الآن فصاعداً . نحن الذين سنحدد إيقاع الحرب اعتبارا من الآن ، الحرب الشاملة ، الحرب إلى النهاية .

وعندما يحين موعد الاقتحام الأخير سنخوض القتال بكل أنواع الأسلحة ، سنخوضه بكل مواردنا طوال ساعات النهار وطوال أيام الأسبوع . ستكون صيحة معركتنا : "سكين واحد لكل رجل ، وعصا واحدة لكل امرأة ، وحجر واحد لكل طفل "! .

ردد الحاضرون وراء بنيامين : " سكين واحد لكل رجل ".

صاح بنيامين : " عصا واحدة لكل امرأة "!

رددوا وراءه بصوت أعلى من صوته : " عصا واحده لكل امرأة ".

صاح بنيامين كمن تملكته قوة خارقة : " حجر واحد لكل طفل" !

صرخوا صراخا جنونيا : " حجر واحد لكل طفل " .

الفصل الثانى والعشرون

بعد ذلك بأيام قلائل فى أبينو راح راعى الكنيسة الوقور جوسيا أوليا يستطلع ذلك الجزء الصغير من غرفة الجلوس من مكانه الذى كان يقف فيه فى القراندة ، وأخذ يتأمل تلك الأبهة التى يعيش فيها أفريقى مثله . كان الخادم قد أسرع للقائه عند مدخل المسكن ، وبعد أن سأله عن شخصه ، أبلغه أن سيده كان فى ذلك الوقت مشغولا مع الرئيس المقيم فى مكالمة هاتفية ، كما أبلغه أيضا أنه سوف يخبر سيده فور انتهائه من المكالمة التليفونية . وجال ببصره فى الحدائق المحيطة به ، تلك المساحة الواسعة من الأرض فوق التل ، الذى ابتلع الكابينة ، برغم كبرها ، كما لو كانت مجرد كوخ فى مزرعة . لاحظ أيضا العشب والحشائش التى جرى قصها بطريقة أنيقة . كما شاهد بستانيا أيضا وهو يسقى الزهور . وهنا وضع البستانى رشاشته على الأرض وأمسك بماكينة قص الحشائش ، وأخذ يحركها فى أنحاء الرقعة المستديرة التى تغطيها الحشائش والتى كانت تشبه جزيرة أمام المنزل . وفغر الأب جوسيا أوليا فاه متعجبا من ذلك الاكتشاف - إذن قص الحشائش الخضراء بهذه الطريقة وعلى هذا النحو هو الذى يجعلها ناعمة جدا وجميلة جدا .

" يقول سيدى ، إنك يجب أن تجلس فى داخل المنزل . وسيصل حالاً " .

انبهر جوسيا وهو داخل المنزل بفعل الأثاث اللامع المصقول – أربعة كراس ، كل منها بمسندين ، ومفروش بوسادة وثيرة ، وكنبة منجَّدة ، وطاولات وكراس وستائر فوق الأبواب وستائر على النوافذ ، فى حين كانت هناك سجادة كبيرة حمراء اللون مفروشة على الأرض . ونظر من خلال غرفة الجلوس إلى غرفة الطعام ، طاولة طعام كبيرة تحيط بها ستة كراس . وتلك ثلاجة كبيرة بيضاء اللون . هو يعرف الثلاجة ويعرف الغرض منها ، لقد سبق له أن شاهد شيئا مماثلا ، قُدم له منه مشروب مجفف من عصير الليمون أخذ من قارورة كانت داخل الثلاجة ، تناولها ناظر كلية تدريب معملى التبشير ، ولم يغب عن بال جوسيا أن ذلك المشروب قدم له على إثر انتهائه من قداس يوم الأحد الذى ألقاه فى الكلية .

قال يودو أكبان معتذرا وهو يندفع قادما من غرفة النوم : " آسف جدا . آسف جداً لطول انتظارك ، يا سيدى " . ومن خلال الباب شاهد جوسيا أوليا سريرا كبيرا مزدوجا . " كان حديثا طويلا مع الرئيس المقيم . حديث مهم جدا ، كالعادة " .

قال الزائر وهو يصافح اليد التى مدها إليه المضيف : " مسَّاك الله بالخير ، يا سيدى " .

همهم الرجل الصغير قائلا : " أنت تحرجنى عندما تقول لى سيدى . اجلس من فضلك ، وتصرف على راحتك . ماذا تريد أن تشرب ؟ أيها الخادم ، أحضر لنا شرابا لفردين " .

" شكرا لك يا سيدى ، شكرا لك . أشكرك على ترحيبك بى فى منزلك ، يا رئيس الحى . وأنا سعيد لأنى عشت إلى اليوم الذى رأيت فيه رجلا له مثل لونى يشغل منصب رئيس الحى ، ويعيش فى هذا المنزل العظيم . أشكر الله القادر العزيز الذى أطال عمرى إلى اليوم الذى طرقت فيه أنا القس جوسيا أوليا البسيط ، الذى لا يحمل درجة جامعية ، ولست طبيبا أو محاميا ، ولست أيضا مهندسا ، وإنما قس بسيط متواضع ، طرقت فيه باب هذا المنزل دون أن يطردنى الخادم أو الكلب " .

" ستكون دوما موضع ترحابى بك فى منزلى ، يا سيدى ... وأنا آسف ، يا سيدى ، لأن زوجتى ليست فى المنزل . ولو كانت هنا لقدمت لك كستليته جيدة .

ماذا تشرب ، بيرة أم ويسكى بالصودا ؟ أم جن Gin مع التونيك Tonic ؟"

بدا الاضطراب على الزائر . وراح ينظر إلى القوارير المختلفة الموجودة فوق عربة الشراب . لم يعرف مغزى الأسماء التى نطق بها يودى أكبان . " عصير برتقال ، يا سيدى ، عصير برتقال . هذا هو ما أريده يا سيادة رئيس الحى" .

قال جوسيا أوليا هذه العبارة وقد تركز بصره على البطاقة غير المعروفة له .

" تقول عصير برتقال .. هذا مشروب حريمى ، يا راعى الكنيسة ، سوف أقدم لك كوكتيلاً . ليس هناك ضرر من قليل من الشراب .. وهذا يصلح معدتك . لا تقل إنى لا أعرف إنجيلى " ؟

فهم يودو أكبان ما قاله القس أوليا على أنه الهدف من زيارته التى استمرت وقتا طويلا بدون أن يفصح عما يريد . وأشعل سيجارة وأخذ منها نفسا عميقا . ثم هز رأسه . " أنا على يقين من أن ذلك غير صحيح بالمرة ، غير صحيح تماما أيها القس " .

" ذاعت القصة وانتشرت فى أنحاء المدينة كلها ، يا رئيس الحى . سمعتها أول مرة من خادم الكنيسة والمقبرة المجاورة لها . وأكدها نائب الملك عندما جاء هو والسكرتير المساعد إلى منزلى لمناقشة تفاصيل قداس يوم الشكر" . وأردف جوسيا قائلا : " قداس الشكر على انتصارنا على العدو والشكر لأن الحكومة أصدرت قرارا بألا نقطع أشجار الكاكاو بعد اليوم . وعندما سألته عمن أخبره باتخاذ الحكومة مثل هذا القرار قال إن بنيامين بنيامين هو الذى أبلغه بذلك ، وأن ذلك الخبر كان صحيحا " .

هنا شاهد الزائر امتعاض الكراهية الذى ظهر على وجه رئيس الحى بعد أن أتى على ذكر اسم بنيامين بنيامين . " أنا ، أعلم أن بنيامين بنيامين يكذب دوما . مع ذلك فهم جميعا يصدقونه . أنا أعلم

أيضا أن ذلك الخبر غير صحيح . ولكن وجدت لزاما على أن ألقاك شخصيا لمعرفة حقيقة ذلك الموضوع على وجه الخصوص . فهذا أمر مهم جدا. وهذا هو سبب مجيئى إليك . فهل هذا صحيح يا رئيس الحى ، أم غير صحيح " ؟

وهنا راح يودو أكبان يفكر فى الأمر مليا من جديد . وراح يقطع غرفة الجلوس جيئة وذهابا . وظهر القلق والحصر على وجه الزائر . هل سيغير رئيس الحى رأيه ، ليقول بعد كل ذلك ، إن الخبر صحيح ، وأن الحكومة أصدرت قرارًا بعدم المضى قدما فى تقطيع أشجار الكاكاو ؟ هذا يعنى أن بنيامين بنيامين كان على صواب . وهذا يعنى أيضا انتصارًا آخر لغريمه القديم ؛ وتلك خطوة أخرى إلى الأسفل على طريق التفاهة والنسيان . كانت تتنازع قلب القس جوسيا أوليا رغبتان فيما يتعلق بالسيادة : الرغبة الأولى تتمنى إثبات خطأ بنيامين بنيامين وإدانته ، أما الرغبة الثانية فكانت تتمنى أن يكون قرار الحكومة المزعوم صحيحا وذلك من أجل رعايا كنيسته الذين تعتمد رفاهتهم على الكاكاو وأشجاره .

" ها أنت أيها القس ، ترانى قد ترددت قبل الرد عليك بالإثبات أو النفى ، وليس سبب ذلك وجود أى شك يخامرنى حول هذا الموضوع ، فأنا متأكد تماما أن الحكومة لم تتخذ قرارًا من هذا القبيل . وسبب ترددى أننى أردت أن أعطى نفسى فرصة أعرف من خلالها الأسباب المحتملة لمثل هذا الإفك والكذب . يا راعى الكنيسة ، بنيامين بنيامين رجل خطر . رجل خطر بحق . أنا لا أود لنفسى أن أعرف أنه كاذب

فحسب ، وإنما أريد أن أكون على يقين من أنى عندما أمسك به فى المرة القادمة فلن يكون أمامه مهرب . كل ما يمكن قوله حاليا هو أن الحكومة لم يطرأ أى تغيير على سياستها " .

أخرج السيجارة من فمه ، وسحقها تماما فى طفاية السجائر المصنوعة من البورسلين " أنا أعدك مؤتمنا على أسرارى فى هذا الحى ، أيها القس . وأنا سعيد لأنك لم يبدر منك ما يجعلنى أندم على ذلك . كنت فى العاصمة بالأمس ، ودار بينى وبين مسئول الشرطة نقاش طويل ، وعرّجْت أيضا على مسئول الزراعة المساعد ، وفى اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر ستصل إلى هذا الحى فرقة خاصة من رجال الشرطة ، وبعد ذلك بثلاثة أيام تصل جماعة التقطيع الخاصة التابعة لإدارة الزراعة لتبدأ عملها . وهذا هو واقع الأمر ، أيها الأب ".

صمت الرجلان فترة قصيرة . واستأنف الرجل الأصغر سنا عملية التدخين ، وملأ لزائره كأسه ثانية .

أتى الزائر على الكأس الثانية كاملة ، وبدا عليه أنه بحاجة إلى المزيد . وهنا دار بخلد يودو أكبان أن ذلك الولد العجوز لا يعدو أن يكون غرًّا مثلما حسبه فى البداية . وملأ له كأسًا ثالثة .

" أشكرك شكرا جزيلا على كرمك ، يا سيدى ، أشكرك جزيل الشكر ". ثم نهض القس ليستأذن فى الانصراف . " يتعين على الانصراف على الفور" . ثم تناول قبعته التى كان قد وضعها فوق الأباجورة ، ليضعها على رأسه.

" أنا مصر ، على أنك يجب أن تأخذ كأسا أخرى ، أيها الأب " .

" لا ، لا يجب أن أفعل ذلك يا رئيس الحى ، لا يجب أن أفعل ذلك . القليل يكفى لإصلاح معدتى ، هذا صحيح . ولكن شرب الكثير لا يصلح لرجل الدين ... أشكرك على كرمك السخى . قلبى فرحان ، وشفتاى تنبسان بالشكر لله العلى القدير الذى أحيانى لأرى هذا اليوم الذى أستطيع فيه الجلوس فى منزل رئيس الحى كى أشاركه تناول الشراب ... رئيس الحى الأوروبى ، الذى كان هنا قبل ثلاث سنوات كان عنده كلب ضخم مثل كلاب الصيد ، ولم يكن أحد من الأفارقة يستطيع الاقتراب أو يجرؤ على دخول ذلك المنزل أو الاقتراب منه . لكل هذه الأشياء الطيبة ، يا رئيس الحى فنحن نشكر الله واهب كل هذه الطيبات " .

قام يودو أكبان بتوصيل ضيفه فى سيارته الفورد البريفكت Prefect ، إلى موقف اللوريات . وبينما كانا فى الطريق إلى موقف اللوريات اتكأ الرجل العجوز إلى الخلف وغفت عيناه فى السيارة الوثيرة . ورأى أكبان أن يترك شراب الكوكتيل يعمل عمله . كان أكبان يعلم أن مفعول الكوكتيل سوف ينتهى قبل أن يصلا إلى موقف اللوريات ، وكان يتمنى ذلك . وراح يشغل باله بمشكلات إدارته ، والمصاعب التى خلقها له بنيامين بنيامين ، وعدم كفاءة أولئك الذين لهم علاقة أو صلة ، من قريب أو بعيد ، بالقضية التى انتهت إلى فشل ذريع .

بعد يوم واحد من الزيارة التى قام بها جوسيا أوليا ، كان يودو أكبان يجلس على كرسى مستطيل ويلبس بنطالا أبيض وقميصا من قمصان كرة الماء ، بعد تناول العشاء ، ثم راح يتصفح الصحف اليومية . لقد استغرقت وصول تلك الصحف نهارا كاملا لتصل من العاصمة التى يجرى طباعتها فيها . قرأ العناوين كاملة ، وتصفح الصفحات الأولى ، وبخاصة الصفحة الأولى من جريدة الشئون Affairs الوطنية National التى كان عنوانها الرئيسى : وقف تنفيذ الإعدام فى أشجار الكاكاو . ثم قرأ ما يلى تحت عنوان فرعى : انتصار الموقف الشعبى . وواصل قراءته وهو يستشعر خليطا من الإثارة والقلق :

يسرنا ، هذا الصباح ، أن نزف أخباراً سارة إلى الخمسين المليون نسمة الذين يعيشون على هذه الأرض العظيمة بصورة عامة ، وإلى الستة الملايين فلاح ، بصورة خاصة ، الذين يرعون أشجار الكاكاو . لقد أصبحت أشجار الكاكاو ، مصدر ثروة الفلاحين ، والمصدر الرئيسى للدخل فى هذا البلد العظيم ، فى مأمن الآن من المؤامرة الإمبريالية الاستعمارية الشريرة . لقد أجبرت حكومتنا مؤخرا على التخلى عن سياستها الشريرة التى تستهدف القضاء الجماعى على كل مزارع الكاكاو . فقد تفهم مجلس الوزراء الأسباب مؤخرا وأصدر تعليماته إلى فرعه فى هذا البلد بالتخلى عن ذلك المشروع ، المشروع الشرير ، بالتخلى عن تلك المؤامرة الدنيئة التى كان سيرتكبها فى حق فلاح الكاكاو المسكين .

ونحن العاملين فى هذه الجريدة التزامًا منا بشعارنا الذى يهدف إلى خدمة الأمة دونما انتظار لمكافأة أو ثناء أو الاعتراف بالفضل ، نشارك الأمة فرحها بهذا الانتصار العظيم . نحن لا نريد أن نعدد المسافات الكثيرة التى قطعها ذلك الكفاح الدموى إلى أن وصل إلى ما نحن فيه الآن ، أعظم الانتصارات التى تحققت ضد الإمبريالية . كل مسافة ، أو مرحلة من تلك المراحل تعد شاهدا على طلقات المقالات الافتتاحية فى جريدة الشئون الوطنية ، والتى تكيل الموت لكل من تصيبه . ونحن سعداء لأن طلقاتنا أصابت قلب ذلك الوحش . نحن سعداء لأننا استحققنا عن جدارة ، القيام بدور بارز فى تلك المعركة الدموية التى انتهت إلى ذلك الانتصار المشهود والرائع .

ونحن فى ساعة النصر هذه ، نحذِّر شعب هذه الأرض العظيمة بأن يْحذَر المخربين . نحذر شعب هذه الأرض ألا يستمعوا إلى أى أحد مهما علت مكانته ، إذا ما حاول تضليلهم عن طريق التشكيك فى هذا البيان . ولا ينبغى أن يسمح بوجود أمثال هؤلاء المخربين بين طوائفنا - أو فى دروب الحياة كلها ، ولا نستثنى من ذلك أيضا بيوت الله . إذا ما جاء إليكم هؤلاء المخربون ليقولوا لكم " أيها الفلاح ، لا يوجد بعد هناك علاج لمرض الكاكاو . وبالتالى ينبغى عليك تقطيع كل الأشجار المريضة " . هنا يتعين عليك أن تدعو عليهم بالذهاب إلى الجحيم ، وإذا ما استمروا فى تنغيص حياتك عليك ، ينبغى عليك أن تُرِيَهُم الطريق إلى الجحيم ... ونحن لدينا فريق من محامى الدفاع نحتفظ به فى خطتنا التى رسمناها لدق المسمار الأخير فى نعش التنين الإمبريالى .

أقنع يودو أكبان نفسه بسهولة ويسر أن ما قيل لم يكن صادقا بطبيعة الحال . ما قيل كان اختلاقا تماما من بدايته إلى منتهاه . والواضح أن الذى كتبه هو بنيامين بنيامين . ولم يكن هناك شك فى أن تلك القصة كانت هى القصة نفسها التى سمعها أهل القرى فى إيباجا ، وأن ذلك هو الذى استبدأ فى هؤلاء الناس ذلك الموضوع السخيف الذى دار الحديث حوله فى أثناء زيارة جوسيا أوليا فى اليوم السابق .

أطال يودو أكبان النظر إلى الصفحات الأخرى وهو يتصفحها . وقرأ العناوين والمنشتات الرئيسية التالية : الحزب الوطنى يضغط من أجل أغلبية أفريقية فى الهيئة التشريعية ، الخبراء يعلنون عن اكتشاف حقول غنية بالبترول فى البلاد ، زيادة تجارة البلاد ، الوطنيون يحزنون لوفاة الرجل الذى بلغ من العمر ثمانين عاما . واسترعى انتباهه عنوان رئيسى على الصفحة الأخيرة يقول : وطنى شهير يصل إلى العاصمة قادما من المحمية . ثم قرأ التفاصيل التالية تحت هذا العنوان :

كان بنيامين بنيامين واحداً من الشخصيات المهمة التى وصلت العاصمة يوم أمس ، وبنيامين بنيامين هو البطل الأول من بين فلاحى الكاكاو ، وهو أيضا بطل الحركة المعادية للضرائب فى منطقة إيباجا . والسيد بنيامين بنيامين برأ القضاء ساحته فى القضية المرفوعة باسم الملك ضد بنيامين بنيامين وآخرين . وعندما التقى مندوبنا ذلك الوطنى الكبير فى الفندق الذى يقيم فيه يوم أمس ، رفض الإفصاح عن سبب أو طبيعة زيارته للعاصمة . والمصادر العليمة عادة ما تؤكد ذلك الذى نعرفه

بالفعل ، وهو أن زيارة بنيامين بنيامين ليست منبتة الصلة بالتطور الجديد الذى طرأ على مسألة الجدل الدائر حول مرض الكاكاو ، الذى يدور حوله المقال الافتتاحى المنشور اليوم فى الجريدة . وأيا ما كانت طبيعة تلك الزيارة ، فنحن نرحب بوصول هذا الابن العظيم من أبناء الشعب إلى العاصمة ، ونؤكد له أننا نحن العاملين فى هذه الجريدة نقف ، كعهده بنا ، إلى جانبه دوما فى كفاحه الذى يخوضه من أجل تدمير العدو تدميرا كاملا .

لاحظ الخادم أن يودو أكبان لم يأكل كثيرا فى العشاء فى تلك الليلة ، فضلا عن كونه معتل المزاج . هز الخادم رأسه وراح يتمتم فى نفسه .

دخل أكبان غرفة نومه طلبا للنوم الذى لم يستمر سوى وقت قصير جدا . وراح يفكر ويفكر فى احتمال حدوث المستحيل . هل يمكن افتراض أن ما ورد فى الجريدة صحيح ؟ وبافتراض أن بنيامين بنيامين هو والصحيفة كانا صادقين وأنه لم يكن على صواب ، وبافتراض أن الحكومة أصدرت بالفعل قرارا يقضى بعدم تقطيع أشجار الكاكاو .. من الحكومة أولا وأخيرا ؟ لقد كان هو الحكومة فى كل من أبينو وإيباجا . بل هو الحكومة أيضا فى العاصمة - ولم لا ؛ فقد كان فى المكان نفسه قبل ستة أيام . حاول أن يقرأ جلبا للنوم ، وصاحب القراءة بشرب ثلاث كئوس كبيرة من الويسكى المخلوط بالصودا .

وفى الليلة التالية لتلك الليلة التى تحتم على يودو أكبان أن يشرب فيها ويقرأ طلبا للنوم استقبل صاحب الجلالة ملك إيباجا زائرا غير عادى . لم يكن الملك غير معتاد على حضور أناس لمقابلته فى ساعة مبكرة من الصباح . كانت الأعراف والتقاليد تقضى بأن يكون رئيس بعينه هو الآدمى الأول الذى يتعين على عينى الملك أن تراه يوميا ، وجرت العادة أن يتم " إيقاظ " الملك بواسطة ذلك الرئيس صباح كل يوم قبل صياح الديكة . ومع أن الأمور قد تغيرت تغيرا كبيرا ، ولم تعد هناك سوى قلة قليلة من الناس ، وهى التى تحمل مشكلاتها إلى الملك ، إلا أن أولئك الذين يفعلون ذلك يفضلون أن يجيئوا إلى الملك فى الصباح الباكر - عندما تكون أذنا الملك جاهزتين للاستماع إلى شكاواهم ، وعندما يكون ذهنه مستعدا لإعطاء أفضل الأحكام . ولكن الملك نفسه اندهش ، عندما علم أن الزائر هو القس جوسيا أوليا راعى كنيسة القديس چون . قال جوسيا إنه جاء لأمر مهم . وبعد استشارة هامسة جرت فى غرفة النوم بين الملك وواحد من زواره المبكرين ، وجه الملك باصطحاب القس إلى واحدة من الغرفتين اللتين تفتحان على الشرفة . وهنا ارتدى الأوبا ملابسه المصنوعة من القطيفة ثم دخل للقاء الزائر ، بينما كان يحمل فى يده مصباحا من مصابيح الغابات .

وقف جوسيا أوليا تحية بينما كان الملك يضع الفانوس على الأرض ، ويغلق الباب من خلفه . وأدى جوسيا التعبيرات المعتادة التى تدل على تمنى طول العمر للملك . وأخبر الملك أنه كان يعلم أن الملك لابد أن يكون مستغربا الأسباب التى دفعته إلى المجىء فى تلك الساعة

الباكرة من الصباح . صحيح أن الملك (الأوبا) كان يستغرب ذلك ، ولكنه احتفظ بصمته الوقور إلى أن يفصح جوسيا عن أسباب مجيئه فى تلك الساعة المبكرة من الصباح . حسب الملك أن جوسيا ربما جاء مستهدفا الصلاة كيما يتخلى (الأوبا) عن ممارسة الطقوس الوثنية المتصله بكثير من أعياد إيباجا ، ولكن جوسيا أكد له من جديد ، أنه بالرغم من أنه سيكون أسعد الرجال إذا ما تحققت تلكم الأشياء التى كان يصلى توسلا لزوالها منذ فترة طويلة ، فإن ذلك لم يكن السبب الحقيقى لزيارته للملك فى تلك الساعة المبكرة من الصباح . ونظرا لأن جوسيا واحد من خدَّام الله ، وبصفته أيضًا أحد المتعلمين الأفارقة ، فمن الواجب عليه إبلاغ الملك وإبلاغ الشعب أيضا أنهم سمحوا لأنفسهم بأن يضللهم أولئك الذين يستغلونهم لأغراضهم الدنيئة . قال أيضا : إنه يعرف ذلك منذ زمن بعيد ، ولكنه كان يعزف عن المجاهرة بذلك ، نظرا لأن أولئك الذين أتى على ذكرهم كانوا يكرهونه وعلى استعداد لأن يوجهوا إليه ويلصقوا به كل أنواع الاتهامات . أضاف أيضا أنه لم يشغل باله أو يعبأ بتلك الأشياء الخبيثة التى كتبوها عنه فى الصحف ، ولكنه بصفته قسيسا يتعين عليه أن يعى ما يفعل ويحرص عليه .

وبالرغم من كل ذلك ، لم يقو على منع نفسه من المجىء إلى الأوبا والتحدث إليه . وأنهم لا يجب أن يصدقوا القصة التى بدأت تذيع وتنتشر ومفادها أن الحكومة البريطانية فى لندن قد أصدرت تعليمات مباشرة تقضى بأن يكون السيد بنيامين بنيامين رئيسا للوزراء ،

والتوقف عن تقطيع أشجار الكاكاو . حاول جوسيا أن يشرح للملك المتطلبات الأولية التى يحتاجها شخص من الأشخاص لخوض الانتخابات كيما يصبح عضوا فى الجمعية Assemblyالوطنية National، قبل أن يصبح رئيسا للوزراء . كل ذلك كان مجرد جهد ضائع وبلا جدوى مع الرجل العجوز . وفهم القس نفسه أن الأوان قد فات . أما فيما يتعلق بالقرار الخاص بالتخلى عن قرار تقطيع أشجار الكاكاو المريضة ، فقد قال جوسيا إن ذلك أمر مستحيل تماما ، وأعاد إلى مسامع الأوبا مدى قوة الرجل الأبيض . ولو كان هناك شىء يمكن أن ينقذ أشجار الكاكاو لكان الرجل الأبيض قد اكتشفه . ولكن الواقع ، أن ذلك الشىء غير موجود ، غير موجود بالمرة . وقال أيضا ، إنه متأكد من ذلك تمام التأكد . " وكم تمنيت أنا نفسى أن يكون الاختلاف حقيقة . وكم أتمنى أن ينزل إله الحصاد رحمته على أطفاله وعياله ، وأن يرفع عن أرضنا تلك الكارثة المخيفة . وأنا مازلت أصلى ليلا ونهارا وسوف أواصل الصلاة ليلا ونهارا لعل الله يخلصنا ويرفع عنا تلك المحنة الشديدة فى أقرب الأوقات . ولكن صلواتنا لم تستجب إلى يومنا هذا ، ونحن فى انتظار الاستجابة . وأنا أتوسل إليك ، يا صاحب الجلالة ، يا مالك إيباجا ، ألا تسمح للخصوم بإثارة حميتك بلا مبرر وأن يعترضوا على الإدارة فى الإجراءات التى ترى أنها أفضل ما يمكن اتخاذه فى مواجهة مرض الكاكاو . وفعل ذلك معناه الاصطدام بالأشواك ".

أنهى القس كلامه . ودخل فى موضوعه ، وفى النهاية دوى صوته بحقيقة منزَّلة ، كما لو كان يتكلم من فوق منبر كنيسته .

تنهد الأوبا ، وبدا عليه الاقتناع . قال الملك : " أحييك ، يا راعى الكنيسة ، أحييك ، ومرحبا بك . أشكرك على كل ما قلته . إنه كلام الحكمة والحق . وأنت منذ أن كنت مدرسا وقسا فى بلدنا لم نر منك ما يشينك مطلقا . لقد قلت شيئا الآن ، أيها القس عن الأشواك ، فهل لن تؤذيه الأشواك ؟ ألن تؤذيه الأشواك ؟ أجبنى " .

أومأ أوليا برأسه علامة الموافقة .

" هل تعانى الأشواك .. هل تعانى " ؟

أومأ أوليا برأسه مرة ثانية . الأشواك لا تعانى .

" ولكنك أيها القس تعلم أننا لسنا متعلمين .. رؤسائى وأنا أيضا لسنا متعلمين . وأنت رجل متعلم ، وتعرف أساليب الرجل الأبيض وتعرف أيضا ما يريد . والسيد بنيامين بنيامين رجل متعلم أيضا ويعرف أساليب الرجل الأبيض كما يعرف أيضًا طرق المحامين وأساليبهم . كلاكما متعلم . وأنتما تقرآن الكتب نفسها . ولكنكما تربكانا نحن غير المتعلمين . تقولان لنا أشياء مختلفة . ومع ذلك تقرآن الكتب نفسها . إذن لماذا تقرآن أشياء مختلفة من الكتب الواحدة ؟ وهذا هو سبب ارتباكى أنا ورؤسائى . نحن لا نعرف من منكما ينبغى أن نتبعه . ونحن لم نعد بعد نتسود أنفسنا . أيها الأب ، أيها الأب ، أود أن أقول شيئا ... الدنيا كلمة خبيثة حاليا " .

عاد الأوبا بعد رحيل زائره ، إلى غرفة نومه مرة ثانية ، التى كان قد ترك فيها زائره الآخر . وأخبره عما فعله وما ناقشه مع جوسيا .

كان الرئيس أولووكيرى ينصت للملك فى صمت . ثم قال له بسذاجة شديدة : " يا صاحب الجلالة ، كيف نتصرف فى ذلك"؟

" تسألنى كيف نتصرف فى ذلك ؟ هذه كلمة . كيف نتصرف فى ذلك يا نائب الملك "؟

لاذ نائب الملك بالصمت من جديد . لاذ الاثنان بالصمت . وراح الملك يعدِّل فتيل الفانوس .

كان نائب الملك (الأوبنالا) أول المتكلمين . " أنت تعلم أن القس لا يحب بنجا بنجا ولا يرتاح إليه . هما يكرهان بعضهما بعضا ... القس يغار من التعليم الكبير الذى حصل عليه بنجا بنجا . تعليم القس أكل عليه الزمن وشرب . وهو لا يستطيع كتابة رسالة إلى مكان آخر غير أبينو . ويصعب عليه جدا الكتابة للعاصمة . أما بنجا بنجا فهو قادر على الكتابة إلى لندن نفسها . بل إنه كتب لملك الرجل الأبيض " .

" أنت لا تقول بنجا بنجا الإنسان" !

" بنجا بنجا له تأثير كبير على أولئك الذين يكتبون أخباراً فى الصحف . كما أنه يعرف كل الناس أصحاب المناصب الكبيرة فى مكاتب الحكومة فى المدينة ... ألم تر كيف كسب القضية التى رفعها على الحكومة .. ألا ترى أن لديه قدرات وعلاقات غير عادية " ؟

" هذا الولد يستعمل سحراً عجيباً . إنه بنجا بنجا الإنسان " .

" السحر الذى يستعمله مصدره الهند . وهم يطلقون على ذلك السحر اسم الطلسمان . وهو سحر قوى جدا . وقد استطاع ، عن طريق ذلك السحر ، التحدث إلى ملك إنجلترا ، وأبلغه أن يصدر تعليماته إلى الحكومة هنا بأن يكون هو (بنجا بنجا) رئيسا للوزراء ، كما أبلغ الحكومة أيضا بعدم التعرض لمزارع الكاكاو . هذا الصبى ساحر" .

الفصل الثالث والعشرون

قرأ ستانفيلد Stanfield للمرة الثانية بينما كان يجلس فى شرفة الحاكم المقيم الواسعة فى أبينو ، الرسالة التى سبق أن أرسلها إليه المفوض الرئيسى فى المحمية المركزية . كان ستانفليد قد أحضر الرسالة من المكتب لمناقشة محتواها مع هنرى جريجورى ، القائم حاليا بعمل كبير المسئولين الزراعيين الإقليميين ، الذى كان يتوقع وصوله على الغداء :

"١- تلقى سيادة الحاكم بيانا من وزير المستعمرات يتعلق بالأخبار المشجعة التى تقول إن الأبحاث التى تجرى منذ مدة فى كلية الزراعة المدارية الإمبريالية ، تحت إشراف الدكتور إى . إم . رودنت ، وصلت إلى مرحلة تستطيع عندها حكومة صاحب الجلالة أن تقول بمزيد من الثقة واليقين ، إن التوصل إلى علاج لمرض الكاكاو أصبح قاب قوسين أو أدنى ، يضاف إلى ذلك أن الرسالة التى وردت من مكتب الاستعمار تحتوى أيضا على تفاصيل التجارب الناجحة التى أجريت على بعض مزارع الكاكاو النموذجية فى البرازيل . فقد جرى حقن المرض فى بعض الأشجار مختلفة الأعمار من حيث النمو ، وثبتت فاعلية المادة

الكيمياوية التى ابتكرتها كلية الزراعة الإمبريالية بالتعاون مع شركة من شركات الكيمياويات الصناعية .

٢- الرسالة الواردة من مكتب الاستعمار لا تركز على الأهمية التى سوف تترتب على اكتشاف الدكتور رودنت وذلك فيما يتعلق باقتصاد هذا البلد ، أو بالامتياز الذى سيحظى به العلم البريطانى ، بل بريطانيا نفسها . وسيادة الحاكم المقيم يود من الجميع سواء أكانوا مقيمين أم من كبار المسئولين الإداريين أن يتعاونوا على نشر القيمة العظيمة للبحث الذى أجراه الدكتور رودنت ، والتركيز على أن العلماء البريطانيين هم الذين أنقذوا كاكاو هذا البلد . ومن الأهمية بمكان أيضا نشر الحقيقة التى مفادها أن تلك الأبحاث إنما مولها دافع الضرائب البريطانى .. وفى الوقت الذى يجرى فيه توجيه انتقادات حادة وقوية لسياستنا الاستعمارية النموذجية من بعض المحرضين فى الداخل وفى الخارج أيضا (بما فى ذلك بعض البريطانيين المضللين فى بريطانيا) نجد أن مضمون تلك المعلومات يمكن أن يكون له قيمة سياسية عظيمة . إذا كان الإعلان سيسير على هدى من هذه الخطوط ، فإن سياسيى الساحل الذين جردوا من صفاتهم القبلية سيواجهون صعوبات جمة فى الحصول على التأييد والمساندة التى تحتاجها الحملات " المعادية للاستعمار" ، من الفلاحين الذين سيفهمون أن المال البريطانى والخبرة والمهارة البريطانية هى التى حافظت على ثروتهم .

٣ - سيوالى سيادة الحاكم إطلاع المقيمين ، وكبار موظفى الإدارة على التطورات الجديدة التى تصله عن طريق مكتب الاستعمار الذى

يتلقاها من كلية الزراعة المدارية . ومقر الحكومة على اتصال وثيق بجزر الهند الغربية .

يسعدنى ويسرنى أن أكون ، يا سيدى ،

خادمكم المطيع

إم . سينت . أنثونى

القائم بعمل وكيل الوزارة " .

كما أرفق بالرسالة نبذة مختصرة عن سيرة الدكتور رودنت جاء فيها :

" إدوارد Edward ملفل Melville رودنت Rodent (المولود فى ٢٠ من شهر أغسطس من العام ١٩٠١) هو الابن الأوحد الذى أنجبه كل من الرائد إدوارد والسيدة إميليا Amelia رودنت ، اللذين يعيشان فى المنزل رقم ١٤٦ فى ليدز Leeds رود Road آيدل ، بالقرب من برادفورد Bradford . وبعد الانتهاء من دراسته المدرسية فى مدرسة برادفور جرامر التحق بكلية يمبروك ، فى جامعة كمبردج ، حيث حصل على جائزة فى لعبة الكريكت وجائزة أخرى فى الرياضة البدنية ، كما حصل على المرتبة الأولى فى القسم الأول من امتحان بكالوريوس الشرف ، ولكنه ترك الكلية بدون الحصول على الدرجة العلمية . خدم الرجل فى الكتيبة التى كان والده يقودها فى الهند ، وأصيب بجرح على الجبهة الشمالية الغربية . ثم استأنف من جديد حياته العلمية فى جامعة

مانشستر ، حيث حصل على مرتبة الشرف الأولى ، ثم حصل بعدها على درجة الدكتوراه فى مجال غير محدد هو الأمراض الفيروسية فى النباتات المدارية . وعمل محاضرا عدة سنوات فى جامعة مانشستر ثم بعد ذلك فى جامعة لندن . وبقى مدة أربع سنوات واحدا من كبار هيئة الباحثين فى قسم الأبحاث فى حدائق كيو Kew، ثم عين بعد ذلك رئيسا لقسم الأمراض فى كلية الزراعة المدارية الإمبريالية وذلك فى العام ١٩٤٣ .

والدكتور رودنت متزوج من السيدة روزا Rosa ولهملينا ، الابنة الثانيه للسيد جون آنجوس هو والسيدة حرمه ، اللذين يعيشان فى ميدلزبورو Middlesborough فى مقاطعة يوركشير Yorkshire . وهما لهما ولدان عمر أولهما ١٧ عاما والثانى ١٢ عاما . وهوايته الرئيسية هى دراما الهواة " .

وما إن انتهى ستانفيلد من قراءة الرسالة حتى وصلت سيارة هنرى جريجورى . ارتقى هنرى سلم الشرفة ليجلس فى النهاية على كرسى من الكراسى التى تستعمل فى البلاجات أو على ظهور المراكب . ثم طلب من الخادم أن يحضر له شيئا من مشروب البراندى - وكان الخادم يرتدى زيا أبيض - ثم راح يرشف ذلك المشروب رشفا يوحى باستمتاعه به .

قال ستانفليد وهو يطيل النظر إلى ضيفه : " اكتشاف مذهل ذلك الذى حققه رودنت . ما رأيكم أنتم يا أهل الزراعة فى ذلك الاكتشاف" ؟

" حسنا ، يبدو أن هناك شيئًا من التكتم حول التفاصيل الحقيقية لذلك الاكتشاف . يضاف إلى ذلك ، أن مكتب الاستعمار ، لم يذع سوى القليل عن ذلك الشيء . والمؤسف أنهم لم يرفقوا مع ما نشروه عن ذلك البحث تاريخا عن خطته ، كما أن المكتب لم ينشر سوى القليل جداً عن رودنت نفسه . وأنا طوال أشهر عدة لم تصلنى سوى نتف صغيرة عن هذا الأمر ، من الزملاء فى الكلية الإمبريالية " .

" هذا صحيح يا هنرى . لقد نسيت أنك حضرت ذلك المؤتمر الذى انعقد فى ترينداد " .

" نعم ، لقد حضرته فعلا .. ولكنى لا أكتمك القول إننى ندمت بعض الشىء على حضور المؤتمر . فقد ترتب على ذلك إلغاء مشروع إجازتى الذى كنت خططت لتمضيتها فى تسلق جبال الألب ، واستبدالها بالسفر بالطائرة إلى جزر الهند الغربية . وهو المناخ المدارى نفسه الذى ازداد سوءاً لوجودى بصحبة بعض الباحثين الذين كانوا مسافرين من الصين إلى بيرو . والمعروف أن رفاق الإنسان فى مجال أبحاثه يكونون منفرين عندما يتكتلون . كان المؤتمر بكامله مضيعة للوقت " .

" المؤكد ، يا ولد ، أنك خرجت بشىء من ذلك المؤتمر . ولابد من أنك ألقيت نظرة على البحث الذى أجراه رودنت " .

" فعلا ، ألقيت عليه نظرة . كان رودنت فى ذلك الوقت قد تمكن من عزل الفيروس . شىء له شكل خلاب تحت المجهر . وحش له رأس تشبه رأس حيوان الهيدرة .. إنه لسحر أفريقى حقيقى " .

" هذا مهم جداً " .

" والأهم من هذا المهم هو ذلك الجهاز المعقد الذى صممه ذلك الرجل لمراقبة تأثير الكيمياويات المختلفة على ذلك الوحش . وقد شرح لنا مرافقنا ذلك الجهاز . الجهاز عبارة عن عدد غير معروف من إبدالات ومركبات الكيمياء العضوية ، والطفيليات ، والزراعة المدارية ، والمناخ ، والتفاضل ، والجولوجيا ، فضلا عن السحر الأفريقى بطبيعة الحال .. وقد تعامل مع كل هذه الأشياء بواقع شيئين فى المرة الواحدة . يضاف إلى ذلك الذكاء الواضح وتكرار العملية سرارا وتكرارا . تلك كانت الوصفة التى جاء بها رودنت " .

قال ستانفيلد : " ولكن ، الحق ، إنه اكتشاف ثورى . واحد من الأشياء العظيمة التى حدثت فى تاريخنا الاستعمارى لأفريقيا . وستكون لذلك الاكتشاف آثار بعيدة المدى " .

" هذا صحيح ، بطبيعة الحال . إنه اكتشاف يفتح آفاقا جديدة ، فهذا مركب من الزئبق يقضى على فيروس ، أليس كذلك "؟ جاء هذا الرد تهكميا من جريجورى ." لقد تعلمنا ذلك فى الكيمياء الأولية فى المدرسة . ولا يزال ذلك الذى تعلمناه اختراعا جديدا ومهما نحن ندين به لقريبنا تيدى Teddy رودنت ، الحاصل على درجة الدكتوراه ... إلخ . وقد كلف معمله وهيئة العاملين فيه دافع الضرائب البريطانى ما يقرب من مائة ألف جنيه إنجليزى حتى الآن ، فهل ، لا تعرف ذلك "؟

صمت الرجلان فترة قصيرة . ثم قال جريجورى : " هل تعرف ذلك الولد الإيباجى ، ذلك الوغد الذى عمَّد نفسه منتحلا اسما من أسماء قبائل بنى إسرائيل " .

" بنيامين بنيامين " .

" نعم ، بنيامين بنيامين ، ذلك الاسم بارع الاحتيال ، ذو النكهة الرومانسية . حسنا ، بلغنى أنه يجادل بالفعل فى قيمة الاكتشاف الذى أنجزه رودنت . استعراض غريب .. عالم إنجليزى ومشاكس أفريقى أحمق يجادل فى أمر مثل هذا الأمر . شخص حقق اكتشافه عن طريق الأساليب والطرق العلمية ، والآخر عن طريق السحر الأفريقى ، أو بالأحرى من خلال العلم الأسود . مبلغ علمى أن الاثنين على صواب . فهما أولا وقبل كل شىء ، من سلف مشترك هو [سيدنا] نوح ؛ ودونت يستحق الفضل والشكر على اكتشافه " .

هنا ، نهض چيم Jim ستانفيلد متجها مع الآخرين صوب غرفة الطعام .

صحيح أن چيم ستانفيلد كان يستلطف جريجوى ، وكان يؤكد دوما على أنه سيكون له مستقبل عظيم فى خدمة الزراعة فى المستعمرات . ومسألة أن جريجورى يشغل حاليا منصب القائم بعمل كبير مسئولى الزراعة الإقليميين ، تعنى أن ثقة ستانفيلد لم تضع هباء . ومع ذلك كانت بعض سمات جريجورى الشخصية تؤرق ستانفيلد وتضايقه : من ذلك مثلا أنه طائش فى معظم الأحيان .

كان ستانفيلد قد أمضى فترة طويلة فى العمل فى وزارة المستعمرات ، الأمر الذى جعله يستشعر أن قدرا معينا من خفة الدم البريطانية التقليدية يمكن أن يخفف من صرامة عمل الموظف الإدارى ، ويجعل الأمور تسير بلا منغصات . وهذا بدوره يساعد على الهضم ، كما أنه جيد أيضا ومفيد فى ضغط الدم . ولكن واقع الأمر أن جريجورى كان يتخذ موقفه اتخاذا صارما وإلى أبعد مدى .

خذ ، على سبيل المثال ، موقف جريجورى من الاكتشاف الجديد ، فهو موقف غير مبال وموقف لا مسئول . ومن رأى ستانفيلد ، أن جريجورى يجب أن يضع فى اعتباره مدى التأثير الذى يمكن أن يحدثه ذلك الاكتشاف فى سياسة إدارته وفى نشاطاتها .

هناك شىء واحد أثار مخاوف ستانفيلد قبل وصول جريجورى . كانت الشكوك تدور برأس ستانفيلد حول مسألة الحكمة من إرسال نسخة من رسالة الحاكم إلى كل المقيمين ، وكبار المسئولين الإداريين ، وكبار موظفى الزراعة . كان من رأى ستانفيلد أنه فى الوقت الذى يتعين فيه أن يفرح الجميع ويبتهجون بالإنجاز الذى حققه العلم البريطانى ، فإن أنسب الوسائل إلى ذلك الفرح وهذا الابتهاج ، هى رسالة دورية تصدر من السكرتارية العامة إلى كل الأطراف المعنية بذلك . ورسالة من هذا القبيل ، عندما تصدر على يدى رجل مثله ، يمكن أن تحدث التأثير المطلوب ؛ والخطأ كل الخطأ هو وضع وثيقة من هذا النوع بين أيدى الرجال الشبان . وموقف جريجورى واحد من هذه الأمثلة .

صحيح أن الرسالة كان مكتوبا عليها " سرى " ولكن چيم ستانفيلد أدرك آسفا أن أمثال جريجورى الذين وجدوا أنفسهم يشغلون مناصب مهمة وهم مازالوا صغارا ، عجزوا عن التزام الصمت (كما أن انتشار جو الوطنية العام يعنى تبوأ أمثال جريجورى للمزيد من المناصب الرئيسية) . وأعاد ستانفيلد إلى الأذهان ، بهدوء ، الأخبار المدهشة أمام لجنة التحقيق عن ملف السكرتارية العامة فى إيباجا ، الذى قيل إنه " وضع فى مكان غير مكانه " .

وفى الوقت الذى بدأ الأفارقة فيه يدخلون مجال الإدارة ، تعد مسألة تداول رسالة على هذا النحو أمرا طائشا وغير حكيم . كانت سياسة الحكومة ترمى إلى تعيين المزيد والمزيد من الأفارقة فى المناصب الكبرى ، يضاف إلى ذلك أن الأفارقة ، أمثال يوبو أكبان سوف يستاءون من نغمة امتداح الذات التى تسيطر على الرسالة . كان ستانفيلد لا يزال يثق بيوبو أكبان ؛ فقد كتب عنه تقريرا سريا يمتدحه فيه فى الشهر السابق . وورد فى التقرير " سمعته لا تشوبها شائبة ... مقدرة بارزة ... شاب لطيف من جميع الوجوه يعد رصيدا كبيرا لبنى عرقه ، بل لكل عرق آخر " . كان ستانفيلد يعلم أن أكبان تأثر بعض الشىء بالقومية غير المسئولة التى كانت تحيط به ، ولكنه أولا وأخيرا كان أفريقيا ووطنيا متحمسا .

" ألا يحتاج الحفل إلى الحساء "؟

استيقظ چيم ستانفيلد من حلم يقظته على صوت الخادم وهو يسأله " . تسألنى ، هل أريد حساءً ؟ أنا أريد حساء بالقطع " . ثم نظر إلى رفيقه ، الذى كان قد أوشك على الإجهاز على الطبق الرئيسى .

تنهد ستانفيلد .

أرسل ستانفيلد فى اليوم التالى رسالة إلى يودو أكبان :

تلقيت رسالة من مفوض المحمية الرئيسية يبلغنى فيها بأحدث التطورات فى البحث الذى يجرى على دراسة فيروس مرض الكاكاو فى كلية الزراعة المدارية الإمبريالية ، كما يبلغنى فيها أيضا عن تجارب السيطرة التى أجريت على بعض مزارع الكاكاو فى المناطق القريبة من أمريكا الجنوبية .

٢ - والرسالة ليس فيها أية توجيهات أو تعليمات تتعلق بما يجب اتخاذه فى الحى فى المرحلة الراهنة . وأنا مازلت أتشاور مع مكتب المفوض حول هذا الموضوع . وقد أبلغنى كبير الباحثين أن الأمر لا يزال يحتاج إلى المزيد من العمل ، وأن وزارة الزراعة لا يمكن أن تقول أى شىء بثقة ويقين فى هذه المرحلة . ومع ذلك ، نستطيع أن نزعم أنه يلوح فى الأفق حاليا علاج لمرض الكاكاو لا يقوم على تقطيع الأشجار ؛ ومن ثم فإن الأمر يحتاج إلى مراجعة السياسة الحالية التى تقوم على استئصال المزارع التى تحتوى على أشجار مريضة .

٣- يرجى عدم المضى قدما فى القرار الذى اتخذ بشأن استئناف عمليات تقطيع الأشجار فى منطقة إيباجا - أبينو لحين اتضاح

الموقف ، وبخاصة أنك سبق أن قلت إن عمليات التقطيع سوف تبدأ فى القريب العاجل ، وهذا من حسن الحظ ويمن الطالع بطبيعة الحال ، والسبب فى ذلك أننى تلقيت مكالمة تليفونية ، ليلة أمس ، من نائب مفوض الشرطة تفيد أن الفصيلة "ج" (من القوة التى تقرر أن تأتى منها جماعة مرض الكاكاو) قد جرى تحريكها حاليا إلى منطقة الحدود لقمع بعض الأنشطة الإرهابية التى تسبب بعض القلاقل الخطيرة للحكومة .

٤ - أنا أحاول إنهاء الترتيبات الأخيرة الخاصة بجولتى القادمة . وإذا ما سارت الأمور على ما يرام ، فسوف أسافر من هنا فى اليوم الخامس من هذا الشهر وأعود فى اليوم السابع عشر . وأنا أجد لزاما علىَّ أن أبعد نفسى عن مسألة الملفات كى أقوم بالجولة ، نظرا لأننى أجلت القيام بها ثلاث مرات . وعندما أعود يتعين عليك أن تجىء إلى هنا أيضا لنناقش سويا مسألة النادى الرياضى . ويتعين عليك أن تحكى لى عن الخمسة والستين نقطة التى كسبتها للمحمية فى الأسبوع الماضى ، وهو الأمر الذى يعد إحياء لعظمة الكريكت التى بدأت فى المحمية .

المخلص

چيمس ستانفيلد

الرئيس المناوب

كان چيم ستانفيلد على حق فى شكوكه التى مفادها أن مكتب المفوض الرئيسى كان ينبغى عليه ممارسة كثير من الضغوط فى مسألة توزيع رسالة دورية تصدر عن مكتب الحاكم . كان يودو أكبان قد تسلم بالفعل صورة من تلك الرسالة قبل يومين من وصول رسالة ستانفيلد إليه .

الفصل الرابع والعشرون

أثار خطاب استقالة يودو أكبان دهشة چيم ستانفيلد .

قرأ ستانفيلد الخطاب مرة ثانية . كان الخطاب مكتوبا بلغة رسمية صارمة وموجه إلى السكرتير العام للحكومة " بواسطة مفوض المحمية الرئيسى ، بواسطة كبير المسئولين الإداريين ، بواسطة القائم بأعمال الرئيس المقيم " .

"قررت بعد تفكير مضن وطويل الاستقالة من وظيفتى باعتبارى رئيس حى من الدرجة الأولى فى الخدمة المدنية ، على أن تسرى تلك الإستقالة خلال شهر من تاريخ تقديم هذه الرسالة .

وأنا ليس مطلوبا منى ، حسب قانون الخدمة المدنية ، إبداء الأسباب التى دفعتنى إلى تقديم الاستقالة . ومع ذلك ، سوف أقتصر هنا على ما مفاده أننى اتضح لى منذ مدة بصفتى مسئولا إداريا بحكم منصبى السابق ومنصبى هنا فى إيباجا - أبينو ، اتضح لى أن الموارد الهزيلة المتيسرة هنا للحكومة غير كافية ، بصورة مؤسفة ، لعلاج مشكلة الإدارة الأفريقية الضخمة . يضاف إلى ذلك ، أن جهودى الحثيثه باعتبارى ترسا فى عجلة الحكومة يجرى تسفيهها والتقليل من

شأنها بفضل الحقيقة التي مفادها أنى لست على علم إلا بشىء قليل جدا من سياسة الحكومة ، ومرد ذلك يرجع إلى أولئك الذين يرسمون هذه السياسة فى هذا البلد وفى مجلس الوزراء البريطانى . يزاد على ذلك ، أن ذلك القليل من تلك السياسة ، والذى تسرب منذ يومين أقنعنى أننى بوصفى بأفريقيا لا أجد نفسى فى تنفيذ تلك السياسة .

وأنا على قناعة إننى أستطيع أن أخدم عرقى وربى على نحو أفضل مختلف تماما فى مكان لا أكون فيه مقيد بالتوجيهات والأوامر العامة ، أو التعليمات المالية ، أو الجوانب الأخرى من بيروقراطية قانون الخدمة المدنية التى حولت الإدارة إلى جثة هامدة ، وجعلت من منظومة العدل التى تتبعها محطا للاستهزاء والسخرية ، وسوف تؤدى فى القريب العاجل إلى انهيار القانون والنظام فى هذه البلاد" .

كان چيم ستانفيلد لا يزال ممسكا بالرسالة فى يده ويقطع الشرفة جيئة وذهابا عندما وصل هنرى جريجورى .

جلس هنرى فى أحد الكراسى وهو مرهق تماما . "وآه ... درجة الحرارة ٥٨٩ درجة ، والرطوبة ٩٠ ٪ . التركيز الفيروسى فى الجو يصل إلى حوالى مليون فيروس فى المليمتر المكعب . تلك هى بلاد الله التى نسرقها من الرجل الأسود ... ولكن ، ماذا حدث أيها الرجل العجوز " ؟

" أرسل يودو أكبان خطاب استقالته إلىَّ هنا " .

قال جريجورى مندهشا : " أوه ، هذا مستحيل " . ثم مد يده وتناول الرسالة . " لا يمكن أن يخيب ذلك الولد العجوز ظننا فيه بهذه الطريقة . لماذا ، لقد كنا ندربه ليكون أول حاكم لهذه البلاد السوداء الخاضعة للتاج البريطانى " .

تلا ذلك صمت استمر لحظة من الزمن . وراح جريجورى يقرأ الرسالة بينما كان چيم ستانفيلد يدخن فى عصبية واضحة .

قال جريجورى بعد الانتهاء من قراءة الرسالة وتسليمها إلى رفيقه : " إنه لرجل مجنون " .

" أنا عاجز عن فهم ذلك الأمر . هذا شىء لا معنى له " . قال ستانفيلد هذه العبارة كما لو كان يناجي نفسه أكثر من جريجورى .

" أوه ، نحن لا نفهم سوى القليل مما يفعله هؤلاء الرفاق ، يا چيم " .

" هنرى ، آمل ألا تتكلم بهذه الطريقة " .

كان جريجورى يعلم أن ستانفيلد كان يتسامح مع موقفه ويتغاضى عنه إلى حد بعيد . وجاء ذلك اللوم والتوبيخ بمثابة قمة الاختلاف .

" آه ، أنا أعرف إحساسك تجاه هذا الأمر ، أيها الرجل العجوز . هو رفيق رائع إلى آخر كل هذه الأمور . ولكن ما معنى تقديم هذه الاستقالة ؟ رفيق يتنازل عن منصب رائع بدون إبداء الأسباب " .

" يودو أكيان لديه الأسباب المؤيدة لاستقالته " .

" اقرأ هذه الرسالة مرة ثانية ، يا رجل . اقرأها ثانية . خيوط طويلة من الكلمات التى لا معنى لها . هذا يعنى أن هذا الرفيق لم يجد لنشاطه أى مغزى على الإطلاق " .

" لماذا تقول هذا الكلام ، يا هنرى " ؟

" هذا صحيح . لقد أخذ نصف الكلمات التى استعملها فى استقالته من خطاب استقالة الملك إدوارد العجوز . من ذلك مثلا العبارة التى وردت عند أكبان " أستقيل من وظيفتى" استعملها بدلا من "التخلى عن العرش" . وهذا هو ما بدأ به موظفك يودو أكبان .. كما لو كان يتنازل عن العرش " .

" مسألة التخلى عن وظيفة أو منصب كبير من مناصب الخدمة المدنية أمر خطير جدا " .

" إنها مسألة خطيرة بطبيعة الحال . الملك إدوارد قدم ، فى أضعف الأحوال ، أسبابا منطقية لتنازله عن العرش . يضاف إلى ذلك ، أن العالم كله عرف هذه الأسباب . ولكنك عندما تقرأ هذه الرسالة مرة ثانية ، تجد أنها عبارة مقطوعة طويلة من التعميم . كما أنها غامضة تماما من بدايتها إلى منتهاها • .

قال ستانفيلد : " الاستقاله مرفوضة " .

" أنا لست متأكداً إن كان من حق الرئيس المقيم قبول أو رفض استقالات الموظفين من أمثال مرتبة أكبـن . ربما تكون بحاجة إلى دورة تنشيطية فى القسم الخاص بهذا الموضوع فى قانون الخدمة المدنية " .

قال چيم ستانفيلد ببطء بعد تفكير عميق : " اسمعني يا جريجوري ، لو قدر أن يكون ذلك آخر شيء في حياتي العملية ، فلابد من أن أبذل قصاري جهدي للتأكد من بقاء يودو أكبان في منصبه في الخدمة المدنية في هذه البلاد " .

تعرف يودو أكبان على سيارة چيم ستانفيلد عندما توقفت في موقف سيارته . نهض يودو أكبان من أمام مكتبه ، وارتدى " الروب " فوق البيجاما ، ثم اتجه ليفتح الباب .

" آسف لإزعاجك في هذه الساعة من النهار يا يودو . خطر ببالي أن أدردش معك قليلا على وجه السرعة . آسف لإزعاجك في وقت راحتك . هل تسمح لي بالجلوس" ؟

" تفضل بالجلوس ، يا سيدي . هذه مفاجأة بحق " .

ربما يكون أكبان قد اندهش لمجيء الرئيس المقيم لمقابلته في منزله عند الساعة الثالثة - ولأنه أيضا لم يطلب منه الحضور إلى مقر الرئاسة . ولكن مسألة عزم چيم ستانفيلد على مناقشة استقالة أكبان معه لم تكن أمرا مفاجئا أو مدهشا للأخير .

كان چيم ستانفيلد على علم بذلك أيضا .

" عامل التحويلة التليفونية عندك ربما يكون قد مات أو شيء من هذا القبيل . حاولت أن أطلبك ثلاث مرات . واتخذت بعدها قراراً وجدت من الأفضل ، على إثره ، أن أجيء إليك بشخصي بدلا من الانتظار على التليفون . فهل أنت بخير ، يا يودو " ؟

" أنا بخير تماما ، شكرا لك ، يا سيدى . هل تتفضل بأخذ سيجارة " .

" شكرا لك " .

صمت الاثنان . ثم قام چيم ستانفيلد بإشعال سيجارة من عود الثقاب الذى كان يودو قد أشعله له . ثم تفحص أركان الغرفة .

كسر ستانفيلد الصمت وقال : "يودو ، لقد جئت إلى هنا لأعيد إليك هذا " . قال ستانفيلد هذه العباره وهو يناول أكبان مظروف فلوسكاب غير مختوم وغير معنون أيضا . وأردف قائلاً : " أنا على يقين من أنك ترويت ، وقررت سحب تلك الرسالة " .

أخـرج يودو من المظروف أوراقا ثلاثة . ولاحظ أن الرئيس المقيم لم يكتب عليها أى تعليق ، بل إنه لم يكتب عليها أية تأشيرة من أى نوع كان . يضاف إلى ذلك أنها لم تأخذ تاريخا عندما وصلت مقر الرياسة .

" لقد ترويت وفكرت مليا فى هذه الرسالة . ولكنى قررت عدم سحبها " .

تلا ذلك فترة صمت قصيرة ، استأنف ستانفيلد بعدها كلامه قائلا :
" قل لى يا يودو ، لماذا تود الاستقالة ؟ "

" أحس بأنى لم أعد أستطيع بعد العمل فى منصب المسئول الإدارى فى ظل الظروف الحاكمة للخدمة المدنية هنا " .

" لماذا ، وما الخطأ الذى تراه هنا فى الخدمة المدنية ؟ "

" كل شىء فيها خطأ " .

أدرك چيم ستانفيلد أنه وجه إلى يودو سؤالا سخيفا : إذ كان يعرف حق المعرفة أن هناك أمورا كثيرة خاطئة وغير صحيحة . ولكن كل ما فى الأمر أن يودو كان صبيانيا وغامضا ، عندما قال إن كل شىء فى الخدمة المدنية كان خاطئا وغير صحيح . ومع ذلك ، لم يكن ستانفيلد على استعداد للتدليل على غباء ذلك الرجل الذى يصغره سنا ، تحسبا لأن يزيد ذلك من تشدده وتمسكه بموقفه .

" انتبه يا يودو ، أنت لا تعنى بكلامك أن كل أمور الخدمة المدنية هنا خطأ فى خطأ . ترى ، ما الأشياء التى تعد سببا رئيسيا فى تقديم استقالتك " ؟

" الخطاب الذى كتبته بخصوص آخر التطورات فى موضوع الأبحاث الدائرة عن مرض الكاكاو ، والقرار الذى اتخذ بشأن تغيير سياستنا فيما يتعلق بتقطيع الأشجار المريضة " .

هنا بدت الحيرة على الرجل الإنجليزى . " ولكن ، لماذا نجد ، يا يودو ، فى ذلك دفعا لك على تقديم استقالتك من الخدمة المدنية ؟ نحن جميعا سعداء لك ولمواطنيك بسبب ذلك الاكتشاف العظيم . ألا تتخيل التأثير العظيم الذى سيحدثه ذلك الاكتشاف على اقتصاد هذا البلد . وسيكون لذلك الإكتشاف أثره وأهميته أيضا على السياسة وبخاصة فيما يتعلق بالجانب الإدارى . هل فهمت المغزى الحقيقى لذلك ، يا يودو "؟

" فهمته جيدا ، يا سيدى ، أنا أراه رؤية واضحة تماما " .

" تقول إنك تفهمه جيداً "؟

" ولكن هناك شخصًا آخر يفهم ذلك المغزى أيضا . إذ كان بحوزته المعلومات الرسمية "السرية" التى أرسلت لكبار المسئولين الإداريين . هذا الشخص حصل على تلك المعلومات قبل أن أحصل أنا عليها ."

" آه ، ذلك الموضوع . أنت تعرف كيف يتصرف الصحافيون . تصرفاتهمٍ واحدة فى كل أنحاء الدنيا فى اللحظة التى يحصلون فيها على أخص المعلومات السرية ، ثم يلوونها على شكل مانشيتات براقة تحرج الحكومة " .

" أنا أرى أن مسألة تسرب المعلومات الرسمية السرية إلى الصحف أمر سيئ للغاية . ولكن ما حدث هنا أمر أسوأ مما نعتقد . كانت المعلومات فى حوزة بنيامين بنيامين قبل أن تنشر فى جريدة الشئون الوطنية . وقد لوى بنيامين بنيامين عنق الحقائق كيما تخدم غرضه . لقد أبلغ أهل إيباجا أنه هو المسئول عن قرار الحكومة بالتخلى عن مسألة تقطيع أشجار الكاكاو ، وصدقه الناس عندما قال لهم ذلك . والأدهى من ذلك ، أننى عندما نصحتهم بأن بنيامين بنيامين كان يكذب عليهم وأن الحكومة لم تتخذ مثل هذا القرار ، ولا يمكن أن تتخذ مثل هذا القرار ، حدث كل ذلك قبل أن تصلنى رسالتك . وأنا لا أجرؤ الآن على مواجهة أهل إيباجا . إذا ما فعلت ذلك فقد يرجموننى بالحجارة " .

" أنا أتفهم موقفك الصعب يا يودو " .

وهنا صمت الرجلان مرة أخرى . وكان ستانفيلد هو الذى كسر الصمت من جديد . " ولكن ، صدقنى يا يودو ، إننا لا نعرف فى حقيقة الأمر من ذلك الذى ارتكب ذلك الخطأ بإعطاء تلك المعلومات الخاصة باكتشاف مرض الكاكاو ، بنيامين بنيامين . هو المصدر نفسه الذى سرَّب تلك الأخبار إلى الصحافة . ولكن ذلك لم يكن خطؤك أنت . كل ما فى الأمر أننا ننظر إلى مثل هذه الألاعيب نظرة استهزاء واحتقار ليس إلا . وما عليك إلا أن تواصل عملك وتستمر فيه ، وهذا هو ما نفعله نحن " . وهنا سحق ستانفيلد عقب سيجارته فى الطفاية ، ثم أخرج علبة سجائره وناول يودو منها سيجارة .

" لقد ركزت لى عندما توليت أنا رئاسة الحى هنا ، أن أعمل على إقناع أهل إيباجا بمسألة الإبادة الكلية لأشجار الكاكاو المريضة . من هنا فقد تركز جهدى على جعل أهل إيباجا يتقبلون تلك الحقيقة التى لا جدال فيها . كنا جميعا ، نؤكد لهم أنه لم يوجد بعد هناك علاج لذلك المرض . ولكن الفلاحين احتجوا على ذلك من واقع كراهيتهم الفطرية للتدمير الذاتى ، وصعَّب ذلك الاحتجاج من مهمتنا . قلنا لهم أنهم ليسوا على صواب ، وأنهم أغبياء ...

وها نحن سنعود إليهم اليوم لنقول لهم إننا نحن المخطئون . وأنه تم الآن التوصل إلى اكتشاف مدهش ، علاج مدهش جرى الحصول عليه لعلاج مرض الكاكاو . ونحن الذين كنا نصر منذ أسبوع مضى

على قيامهم بتقطيع الأشجار المريضة ، سنقوم هذا الأسبوع بسحب كل ما سبق أن قلناه وأصررنا عليه " .

" ولكن ، يودو ، يجب أن تعلم أن تلك مسائل متعلقة بمسيرة العلم ، وأن هذا الأمر لا علاقة له بنا . وبالتالى فإن الناس سيرحبون بذلك التطور " .

" صحيح أنهم سيرحبون بذلك الاكتشاف فورا وعلى وجه السرعة . ولكنهم لن يرحبوا بى ، ولا بأى شىء أقوله لهم فى المستقبل . هذا هو أهم ما فى هذا الموضوع ، يا سيدى " .

" أوه ، لا عليك يا عزيزى ، لا عليك " .

" الغريب حقا ، أن حكومتنا عندما كلفت الدكتور رودنت ، عن طريق مكتب الاستعمار ، بالقيام ببعض الأبحاث على فيروس مرض الكاكاو ، لم يخطر ببالنا إمكانية ، أو ربما احتمال توصل الدكتور رودنت إلى اكتشاف الفيروس ومن ثم اكتشاف علاج لذلك المرض . لو كانت الحكومة قد عرفت ذلك لما أقبلت على حتمية استئصال كل الأشجار المصابة ، الأمر الذى أدى إلى حدوث أخطر المشكلات التى واجهتنا نحن التعساء الذين كتب عليهم مواجهة الفلاحين والتصدى لهم ! والمدهش بحق أنه لم يخطر ببال أى أحد منا أن يوضح الإجراءات التى كان يمكن اللجوء إليها آنئذ وهو الانتظار والتمهل فترة من الوقت إلى أن يتم الوقوف على نتائج البحث الذى كان يجريه الدكتور رودنت .

أو بالأحرى الانتظار إلى أن تتبلور بعض الدلائل على السير في هذا الطريق أو ذاك .

لم يفشل ، بطبيعة الحال ، الطاعنون في سمعة الحكومة في الاستفادة من تخريب سمعة الحكومة . فقد أخبر بنيامين بنيامين الناس أن حملة تقطيع أشجار الكاكاو كانت عملاً أحمق مدبرا من قبل الحكومة استهدافا لقمع الفلاحين وإذلالهم . وقد صدقه الناس بطبيعة الحال ، وأنا لا ألومهم على ذلك . أنا نفسي يمكن أن أصدق أن لحماقة يمكن أن تكون التفسير الوحيد لأمر من هذا القبيل ، أو قد يكون الجنون تفسيرا آخر . ولو كنت في مكان بنيامين بنيامين الذى يبحث فيه عن القوة السياسية ، لفعلت ذلك الذى فعله تماما ؛ أى استغلال التفكير المشوش ، وسياسة الحكومة قصيرة النظر . أنا آسف ، ولكن ... " .

لاحظ الرجل الإنجليزى أن الرجل الشاب كان يتكلم وقد اهتاجت مشاعره . " أنا آسف لما حدث لك يا يودو . أرجو أن تصدقنى ، وأنا أعرب لك عن شديد أسفى " .

" لقد سمحنا لذلك الرجل بنيامين بنيامين باستغلال نقاط الضعف فى إدارتنا فى خداع الناس وتضليلهم هم والإدارة طوال ذلك الوقت كله . وأنا من ناحيتى ، أنفقت ما يقرب من أربعة أسابيع من وقتى الثمين فى التحرى عن أنشطته الخاصة بجمع التبرعات فى إيباجا . كما استمعت أيضا خلال ذلك التحرى إلى شهادة ضحاياه والمتواطئين طوال النهار . ثم عدت بعد ذلك لممارسة عملى المعتاد فى أثناء الليل . وكشف ذلك

الآدمى عن احتقاره لى برفضه حضور التحقيق . واستغرق الأمر شهورا من موظفى الشئون القانونية كيما يتوصلوا إلى وجود اشتباه جنائى يسمح بإقامة دعوى عليه هو والمتواطئين معه ، واستغرق الأمر شهورا أيضا قبل نظر المحكمة فى القضية . وماذا كانت النتيجة ؟ عرف بنيامين بنيامين منذ البداية أنه سوف يبرأ ويطلق سراحه منذ اللحظات الأولى من القضية . وقد استطاع أن يتبين ذلك من خلال كفاءة الادعاء الرائعة ونزاهته ، نظرا لإقامة الدعوى عليه طبقا لنص أو فقرة خاطئة من فقرات القانون " .

" أوه ، الأمر ليس كذلك يا يودو . أنا أعرف مدى إحساسك تجاه هذا الأمر ، وأعرف أيضا مدى الإحباط وخيبة الأمل التى أصابتك بعد القضية . ولكنك لا تقصد أن الادعاء - التاج - أقام الدعوى عامداً متعمدا على ذلك الآدمى طبقا لنص من نصوص القانون "!

" هناك شىء آخر ، يا سيدى . إنك إذا كنت لم تشر فى رسالتك إلا إلى الرسالة التى أرسلها سيادته عن الاكتشاف الذى حققه الدكتور رودنت ، فإن السكرتارية أرسلت لى ، فى واقع الأمر ، صورة من رسالة سيادته " . واستطرد يودو فى حديثه عندما تبين أثر كلامه على وجه رفيقه فقال : " من وجهة نظرى ، كان خطاب سيادته مجرد تمجيد لإنجازات العلم البريطانى أكثر منه ابتهاجا باكتشاف شىء سيحقق الرفاهة للفلاح الأفريقى . وأنا أرى أنه لو كانت تلك الرسالة إشارة إلى المضى قدما أو الالتزام بها ، فإن أى أفريقى يحترم نفسه لا يمكن أن يوافق على مثل هذا العمل . الأفريقى ليس له مستقبل فى التركيبة

الإدارية الحالية فى بلاده . ولذلك عقدت العزم على الابتعاد عن هذا الأمر قبل الالتزام بأسلوب لا يمكن الحيدة عنه ، أو إن شئت فقل : قبل أن يمضى علىَّ فى الخدمة الوطنية هنا وقت طويل جدا يستحيل علىَّ معه أن أبدأ حياة جديدة خارج ذلك النطاق " .

" آهٍ ، يا يودو ، أنا أعرف مدى إحساسك . لا تزال ... " .

هنا دق جرس التليفون .

قال يودو فى جهاز الاستقبال : " رئيس الحى " .

سأل الطرف الآخر من الخط : " أهذا هو منزل رئيس الحى " .

" نعم . هذا هو رئيس الحى " .

قال الصوت : " هل تسمح لى بالتحدث مع رئيس الحى "؟

" أقولها للمرة الثالثة ، أنا رئيس الحى . من الذى يتكلم ، وماذا تريد ؟ "

" أريد رئيس الحى " .

أغضب ذلك يودو واستثار سخطه .

" اسمعنى . أنا رئيس الحى . ماذا تريد ؟ "

" أوه . مسَّاك الله بالخير ، يا سيدى . هذه إشارة عاجلة من مركز الشرطة ، فى إيباجا . تدور مظاهرات خطيرة هنا . كثير من المنازل ... " .

" يا إلهى ، مظاهرات فى إيباجا "!

" نعم ، يا سيدى ، مظاهرات خطيرة يا سيدى . لقد دمرت منازل كثيره ، وإناس كثيرون ... " .

" ماذا تقول ، ماذا تقول ، هل تسمعنى " ؟

صمت . تعطلت توصيلة التليفون ." يا عامل التحويلة ، يا عامل التحويلة ، يا عامل التحويلة ...".

لا إجابة .

" يا عامل التحويلة يا عامل التحويلة يا عامل التحويلة ...".

لا شيء . لا شيء ولا مجيب مطلقا .

اقترح چيم ستانفيلد قائلا : " اطلب منزل مسئول البريد " .

" يا عامل التحويلة يا عامل التحويلة يا عامل التحويلة ...".

قال صوت كان يغط فى نوم عميق : " ما الرقم الذى تريده ، من فضلك "؟

" أريد مركز شرطة إيباجا ، على وجه السرعة " .

" الرقم ، من فضلك " .

" شرطة إيباجا . عاجل " .

" هل أنت رئيس الحى ؟ مسَّاك الله بالخير يا سيدى . لحظة من فضلك ، يا سيدى ...".

سمع يودو عامل تحويلة التليفون وهو يقول : " اطلعوا جميعا من الخط . رئيس الحى يود الاتصال بإيباجا أوه ، لابد أن عامل تحويلة إيباجا نائم . لو علم رئيس الحى بذلك وأبلغه إلى المراقب على الفور ، فسوف يتهمونني بطرد ذلك العامل من عمله . ما الذى أفعله الآن ؟ ... إيباجا ، إيباجا ، إيباجا .... هل أنت رئيس الحى" ؟

" نعم ، أنا رئيس الحى . هل أمكنك الاتصال بإيباجا " ؟

" لا ، يا سيدى . أنا آسف يا سيدى . خط إيباجا معطل " .

الفصل الخامس والعشرون

يصعب فى الوقت الراهن تحديد متى وكيف اندلعت المظاهرات فى مساء ذلك اليوم ، بل من المستحيل تماما تحديد الحد الفاصل بين الاجتماع المشاغب الذى تصاب فيه قلة قليلة من الناس وبين الاضطرابات التى يجرى فيها تدمير المنازل وإصابة الناس بإصابات بالغة وقتلهم .

منذ إطلاق سراح بنيامين بنيامين وتبرئة ساحته والمتواطئين معه من جريمة السرقة والتآمر حدثت سلسلة من الاجتماعات الهمجية فى إيباجا ، وكان السواد الأعظم من تلك الاجتماعات من صنع بنيامين بنيامين نفسه . ولكن بعض هذه الاجتماعات كان يجرى تنظيمها وتوجيهها بفعل أعوانه ورفاقه عندما يكون غائبا خارج إيباجا ، أو عندما يكون مشغولا فى أمر من الأمور .

وأصبح أهل إيباجا يربطون بين هذه الاجتماعات وبين البلطجة ، والجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من أولئك الذين يحترمون أنفسهم ، اللهم باستثناء صبية اللوريات هم والتلاميذ الذين يتغيبون عن مدارسهم بلا إذن ، ينأون بأنفسهم عن تلك الاجتماعات خوفا على حياتهم . وبالرغم من ذلك لا يزال هؤلاء الناس مؤمنين ببنيامين بنيامين

ويصدقونه : وكل ما فى الأمر أنهم لا يريدون شيئًا سوى تجنب الأذى . وبالرغم من أن تلك الاجتماعات كان ينقصها ويعيبها الكثير من حيث الكيف فإنها كانت تشهد ازدهارا كبيرا من حيث الكم .

يضاف إلى ذلك ، أن هذا الذى كان يعد مجرد اجتماع روتينى فى الحملة تحول الآن إلى ما يعرف باسم " فأس واحدة لكل رجل " ، وهو ما دار بالفعل فى مساء ذلك اليوم فى موقف اللوريات . لم يكن الحضور فى ذلك المساء أكثر من الاجتماعات السابقة ، بل أقل منها ، ولكن منظمى ذلك الاجتماع لم يقروا أو يعترفوا مطلقا بأن نفوذ زعيمهم بدأ يذوى ويتلاشى .

تحدث بنيامين بنيامين فى ذلك الاجتماع . وركز على جوانب الشر و الحماقة عند الإمبرياليين الأجانب ، كما ركز أيضا على دناءة وعدم كفاءة المرتزقة الذين يعملون معهم ، كما أطنب أيضا فى تركيزه على رئيس الحى وعلى الكنيسة .

قال بنيامين بنيامين إنه يكره الهجوم على تنظيم بكامله ، نظرا لأن بعض أفراد ذلك التنظيم كانوا أجوادًا بلا أدنى شك ، وأصحاب ضمائر حية ، ويخافون الله ؛ أى أنهم من أتباع يسوع البسيط مسيح الناصرة . ولكن لما كانت تلك القلة القليلة من هؤلاء الناس الطيبين تأوى فيما بينها متعصبين وأعوانا للاستعمار من أمثال جوسيا أوليا ، فإنها يجب أن تتحمل النتائج التى تترتب على حماقة أولئك المتعصبين وأعوان الاستعمار .. إدانتهم جميعا فى الغضب القادم . تكلم بنيامين بنيامين

أيضا عن أن الأمر لن يتعدى بضعة أيام قلائل أو ربما سويعات قبل أن تجد حكومة البلاد نفسها مضطرة إلى إعلان فشلها أمام أهل إيباجا ، وأن بنيامين بنيامين هو المنتصر في تلك المعركة .

اختتم بنيامين بنيامين حديثه بشعار الحملة ، " فأس واحدة لكل رجل " . ولا أحد يعرف على وجه الدقة ، من ذا الذى رفع شعار " فأس واحدة لكل رجل " .

وهنا رددت قله من الناس الشعار : " فأس واحدة لكل رجل ".

وردد الصوت القائد قائلا : "عصا واحدة لكل امرأة " .

رددت الجماهير خلفه ، بصوت أعلى من ذى قبل : " عصا واحدة لكل امرأة ".

" حجر واحد لكل طفل " .

صاحت الجماهير خلفه صياحا مجنونا : " حجر واحد لكل طفل " .

هنا أنشد أحد الحاضرين البيت الأول من مجموعات الأغنيات التى تنشد فى أثناء الحرب بين القبائل - تلك الأغانى التى نسيها الناس حاليا اللهم إلا إذا مات رجل عظيم من رجال الحروب القبلية الشهيرة وصادفت وفاته وجود شاعر من شعراء البلاد الذين يمكن أن يتغنوا فى جنازته بإنشاد تلك الأغانى . وأهاجت كلمات الأغنية الجماهير واستثارتها إثارة كبيرة .

كانت تحيط بموقف اللوريات صفوف من الدكاكين . من بين تلك الدكاكين واحد يمتلكه رجل سورى ، ويحتوى على كميات كبيرة من مختلف السلع ، بدءا من الدراجات وماكينات الخياطة إلى كبريت الأمان والمصابيح . واقتحم جزء من الجمهور ذلك الدكان . وهاجموا وروعوا صاحب الدكان وأخرجوه منه هو وعماله وسرقوا كل ما وصلت إليه أيديهم فى الدكان .

كانت الفئوس أول ما أخذه هؤلاء المتظاهرون ، إذ كانت هناك كميات كبيرة من تلك الفئوس خزَّنها صاحب المحل توقعا منه لحاجة الفلاحين إليها فى إيباجا . كان المتظاهرون تحت قيادة وطنيى إيباجا أكثر التزاما من تلك الجماهير بالشعار الذى يقول : فأس واحدة لكل رجل ! استولوا على أربع بنادق من بنادق الرش – التحضير الأولى للحصول على التصريح المحدد من قبل رئيس الحى ، ذلك التصريح الذى نسى المتظاهرون الحصول عليه فى غمرة الإثارة . ثم استولى المتظاهرون بعد ذلك على البلط والكواريك والمدَمَّات (أمشاط تسوية التربة) والأحواض والدلاء . ماذا يعنى ذلك ، ولأى شىء صممت تلك الأشياء ؟

وفى الوقت الذى توجه فيه القسم الأكبر من المتظاهرين إلى بقية الدكاكين الأخرى بقيت قلة قليلة منهم لتأتى على المشروبات : البراندى ، الجن ، الويسكى . ولما كانوا غير معتادين على تلك الأشياء فقد أدارت المشروبات الروحية رءوسهم . واتجهت مجموعة ثالثة من هؤلاء المخربين إلى ميدان السوق بحثا عن مزيد من الغنائم والسلب والنهب .

وفى منطقة قريبة من ميدان السوق التقت تلك المجموعة سيارة نقل كانت تحمل شعارها مكتوبا على ألواح كبيرة فى مقدمة السيارة وفى مؤخرتها ، وكان الشعار يقول : لا للحوادث . لم يكن سائق تلك الشاحنة معتاداً على جماهير عندما نسير فى وسط الشارع أو الطريق وهى ترفض أن أن تفسح له الطريق . وهنا جرت النساء خوفا على حياتهن عندما شاهدن ذلك السائق بسيارته : كانت قيادة ذلك السائق شهيرة بسوء سمعتها . كان ذلك السائق قد تأخر تماما عن موعد وصوله إلى المكان المحدد ، وضع السائق يده ضاغطا زر آلة التنبيه ، ولم يعره أحد أى قدر من الانتباه . واغمض السائق عينيه بإحكام وهو يضع رجله بشدة على بذال فرامل السيارة ، وضغط بشدة على البذًال . بشدة جدا ، وبقى فترة طويلة بعد ذلك لا يتذكر أى شيء .

عندما فتح السائق عينيه مرة ثانية أفاق على محبوبته لا للحوادث وقد انقلبت على ظهرها على جانب الطريق . كانت عجلاتها الأربع فى الهواء . شاهد أشياد متناثرة فى كل أنحاء المكان ت- على الطريق ، وعند حافته ، وفى مصرف تصريف المياه الزائدة - صناديق السجائر التى كانت تشكل القسم الأكبر من حمولته الناقلة ، والتى كانت متجهة من العاصمة إلى أبينوعن طريق إيباجا . حاول الرجل أن ينهض واقفا ليوقف عمليات السلب والنهب . وشاهد بعض المتظاهرين وهم يفرون حاملين معهم تلك الأشياء . حاول الوقوف ، ولكنه سقط على إثر إحساسه بالألم فى ساقه اليسرى .

صرخ السائق قلقا وهلعا . ثم انفجر باكيا : " يا لهم من لصوص" !

واصل الجمع الرئيسى من المتظاهرين مسيرهم حاملين السكاكين والعصى ، وهم ينشدون أناشيد الحرب والأغانى العتيقة . كانوا يلوحون بأسلحتهم ويلوحون بها إلى من ينظرون إليهم من شرفات منازلهم ومن خلف نوافذهم ، وينادونهم ويطلبون منهم النزول والانضمام إلى المتظاهرين والمظاهرات .

توقفت حشود المتظاهرين أمام بناية الرئيس أولووكيرى المكونة من طابقين ، أولووكيرى نائب ملك إيباجا . كانت تلك أول بناية جرى بناؤها باستعمال الطوب المصنوع من الرمل والمثبت بملاط من الأسمنت . لم يقم مهندس محترف بعمل المخططات المطلوبة لتلك البناية ، ولم يحسب كمياتها مساحون متخصصون فى إعداد جداول الكميات ، ولم يجر استعمال بنائين محترفين فى إنشاء تلك البناية التى كانت تحتوى على بهوين واثنتى عشرة غرفة التى كان يعيش فيها أولو مع زوجاته الثمانية وأبنائه الثلاثة والعشرين فضلا عن أقاربه أيضا . ولكن بالرغم من كل ذلك كان " منزل أولو " بألوانه الزاهية أشهر منازل إيباجا كلها فضلا عن كونه أيضا معلما مهما من معالم إيباجا التى كان الناس يصطحبون إليها كل من يزور إيباجا .

فوجئت عائلة الرئيس أولو عندما بدأ شخص من الناس ، كان يقف فى الصف الأمامى من جمهور المتظاهرين يعرفون أن أولو من أنصار ومؤيدى بنيامين بنيامين قبل أن يختار رئيسا وبعد أن أصبح رئيسا

أيضا . كان أولو مواطنا شهيرا ورئيسا شهيرا أيضا ، ومعروف عنه أنه لولا حرج منصبه لكان قد شارك فى تلك المظاهرات .

لم تنتظر أسرة أولو مناقشة الهجوم المحدق . وبدأ بعض أفراد الأسرة يغلقون الأبواب ويحصنون أنفسهم داخل الغرف ، وهرب بعض الشباب والشابات الصغار من خلف المنزل إلى المجمعات السكنية فى المنازل القريبة منهم .

بدأ المتظاهرون عملهم . حطموا النوافذ . وكسروا بابا فى مؤخرة المنزل فى الطابق الأرضى . كما كسروا أيضا الدواليب المليئة بالأوانى الفخارية : الأطباق ، والصحون ، والأكواب ، والكئوس ، التى كان القسم الأكبر منها يستخدم للزينة فقط . كانوا يحفظون تلك الأوانى فى دواليب زجاجية ، كيما يعجب بها الناظرون إليها ، ويحسدهم عليها أولئك التعساء الذين يترددون على ذلك المنزل .

أخرج المتظاهرون من إحدى غرف الطابق الأرضى ، والتى كان دخولها محرماً على أى أحد من أهل المنزل ، أخرجوا ذلك الذى قيل عنه إنه سحر أولو ومصدر قوّته المالية . كان ذلك السحر عبارة عن جمجمة لما يمكن أن يكون كلبا . كانت تلك الجمجمة تتعلق فوق الباب وملفوفة بحزام من الجلد الأحمر القانى ومزينة بالأصداف التى تستعمل بدلا من النقود فى بعض البلاد الأفريقية . أحضروا ذلك السحر بضربة فأس واحدة ، تهشمت على أثرها الجمجمة وتبعثرت الأصداف فى كل الاتجاهات . كان بعض المتظاهرين يعرفون مدى خطورة التعرض لمثل

هذا السحر ، والنتائج الخطيرة التى يمكن أن تترتب على ذلك . فر المتظاهرون مبتعدين عن الغرفة إلى فناء المنزل الخلفى مخافة أن يدخلهم السحر فى زمرة الملعونين . مجموعة أخرى لم تكن على علم بمخاطر ذلك السحر ، أو إن شئت فقل : تجرأت على المخاطرة المترتبة على ذلك ، جلست فوق السرير الذى علاه التراب وغطاه العنكبوت داخل الغرفة .

تزاحم المزيد من المتظاهرين فوق السلم الخشبى الوحيد الضيق ، الذى كان يحمل أكثر من طاقته . وتناسى المتظاهرون الأخطار وراحوا يستعملون سكاكينهم فى تكسير روافد الأرضيات وألواحها المصنوعة من الخشب فى الطابق الأول . وتهاوى الأساس غير المتين تحت وطأة الهجوم وأوزان المهاجمين .

قالت الرواية التى وصلت قرية أبيبى Abebe الصغيرة إن ممولهم الملك أباجا الإيباجى أعلن الحرب على عدوهم القديم ملك أبينو . وهنا قام رجال أبيبى Abebe تحت قيادة خمسة من صياديهم بالتوجة على شكل موكب اتجه إلى إيباجا ، وهم ينشدون أغانى الحرب ، ويطلقون بنادقهم دانمراكية الصنع . وعند مدخل المدينة أطلق الموكب وابلا من النيران على سبيل التحية . وبضربة واحدة استطاع واحد منهم ضخم الجثه ، ريفى الملامح ، استطاع فصل رأس كلب ضخم عن جسده عندما بدأ ينبح وكأنه يحذر أهل المدينة . وضرَّج اثنان من الصيادين أيديهما بالدم فى الوقت الذى راح يرتعد فيه جسد الحيوان بعد أن جرى فصله عن رأسه .

مضى موكب رجال القرية على طريق الحرب متوجهين صوب الطريق الرئيسى المؤدى إلى وسط المدينة ، وهم يفتحون نيران بنادقهم ، وينشدون أناشيد الحرب المعادية للأبينيين . وقتل كلب آخر ، واثنان من الماعز ، والعديد من البط عندما داس الموكب تلك الحيوانات . وانضم المزيد من الرجال إلى الموكب مع اقترابه من وسط المدينة . ولكن ذلك الموكب ، وعلى العكس من المواكب الأخرى التى كانت تشكل معلما منتظما من معالم المدينة ، خلا من النساء والأطفال . إذ لم تسمح الأمهات لأطفالهن بمغادرة شُرفات المنازل خوفا عليهم ، فى الوقت الذى راحت فيه النساء تراقب ذلك الموكب من شرفات المنازل وتقفن على ما كان يحدث ، وهن تضعن أياديهن على صدورهن تخوفا من النتائج التى يمكن أن تترتب على كل ذلك .

توقف الموكب خارج مجمع سكنى يقيم فيه شيخ عجوز شهير فى مجال الحروب القبلية . خرج الشيخ العجوز من منزله . وهو لم يتجه عند خروجه إلى الطريق مباشرة ، وإنما توقف فى الشرفة الخارجية ، وقد شد على وسطه إزارا يستر عورته ، فى حين كان يتكئ بكل ثقله على عصاه ، ويمضغ فى فمه بعضًا من فلفل التمساح . بصق ذلك الفلفل من فمه وعلا صوته مرددا أغنية شهيرة من أغانى الحرب ، ولا يتغنى الناس بها إلا عندما يؤبنون أو يحتفلون بانتصار تحقق فى حرب من الحروب القبلية . وشاركه الغناء من بين الموكب أولئك الذين يعرفون تلك الأغنية . كما شاركت قلة قليلة فى تلك الرقصة الغريبة ، التى كانت خليطا من الأكروبات والرقص . رقص الراقصون على انفراد مدة دقيقة

واحدة ، متناسين تماما وجود الراقصين الآخرين . وبعد ذلك بدقيقة واحدة بدأوا يشتبكون مع بعضهم بعضًا فيما يشبه معركة حقيقية من معارك الحياة والموت . وبدأ مزيد من الناس يشاركون فى رقصة الحرب تلك ، بعد أن شاهدوا الرقصة وأقنعوا أنفسهم بأنهم أصبحوا يجيدونها . وهنا طلب الرئيس العجوز من الراقصين التزام الصمت ومضى يبارك جيش إيباجا ويلعن أهل أبينو .

كان رجال قرية أبيبى لا يزالون يتدفقون حماسا بفعل ما تلقوه من ذلك الرئيس المحارب القديم عندما وصلوا إلى مبنى مكتب البريد . كان مسئول مكتب البريد من أهل أبينو ومن ثم كان من الرجال البارزين . كان ذلك المسئول هو ومن معه قد ولوا الأدبار مع أول إشارة لاحت لهم عن المتاعب التى بدأت تتبدى فى الأفق .

صعد المتظاهرون إلى الشرفة الواسعة ، وسرعان ما تناثر الزجاج المكسور الذى تطاير من النوافذ ، فوق أرضية الشرفة .

لاحظ أحد الرجال للحظة واحدة ذلك السلك الذى كان يبرز من سقف المبنى . وتتبعت عيناه ذلك السلك إلى أن وصل إلى قمة عمود عند جانب مكتب البريد من ناحية الطريق . وأدرك أن السلك ملفوف حول جسم أبيض عند قمة العمود ، ويمتد عبر الطريق ومتصل بجسم آخر على عمود آخر على الجانب الآخر من ذلك الطريق . ونظر إلى مسافة أبعد على الطريق نفسه فرأى سلسلة من الأعمدة المتماثلة وشاهد السلك نفسه وهو يمتد من عمود إلى العمود الذى يليه . شاهد تلك الأعمدة

مرارا ، شاهد المئات منها على الطريق المتجه من إيباجا ، مارا بقرية أبيبى Abebe الغالية ، ومنها إلى أبينو . لم يشغل باله مطلقا بمعرفة السر وراء ذلك السلك الذى يمتد من عمود إلى الذى يليه . أما اليوم فهو مناسب مثل أى يوم آخر لاستكشاف ذلك السر والوقوف عليه . وبضربة واحدة فصل السلك على امتداد بوصات قليلة عن اللوح المتصل بسقف مكتب البريد .

هنا ، وعند هذه اللحظة انقطعت المكالمة التى كانت بين يودو أكبان فى أبينو ورقيب الشرطة فى إيباجا .

كان القس جوسيا أوليا على يقين من أنه بالرغم من أن المتظاهرين يبدون وكأنهم أصابهم مس الجنون ، فإنهم لن يجرءو على مهاجمة بيت الله متمثلا فى كنيسة القديس چون . كما كان متأكدا أيضا أن أحداً منهم لن يجرؤ على مد يده على مسيح الله (الرب) . والكلب مهما بدا مسعورا ، ألا يمكن أن يتعرف النار (ويفر منها هاربا) ؟

كان أوليا على حق تماما . والسبب فى ذلك أن القسم الأول من المتظاهرين عندما وصل الكنيسة تجاوزها ، وهم يغنون ، ويصيحون ، ولكنهم لم يقدموا إشارة واحدة على أنهم سيهاجمون المبنى . ولكنهم عندما كانوا يمرون من أمام سكن راعى الكنيسة تغافلوا عن وجود القس هو وزوجته وثلاثة من أطفاله كانوا يراقبون وينظرون إليهم من نافذة من النوافذ .

وبعد فترة قصيرة من انصراف المتظاهرين ، امتلأت شرفة سكن القس وكذلك غرفة جلوسه بالرجال والنساء ، وجيران القس ، وأفراد عائلته ، وراح ثلاثة منهم أو بالأحرى من سلالة ذلك القس يتجادلون جدالا شديدا حول الأسباب التى أدت إلى تلك الاضطرابات والنتائج التى ستترتب عليها .

فسر أحد هؤلاء الرجال الأمر كله في ضوء النبوءة المتعلقة باليوم الأخير . ألم وشائعات عن الحروب . وأنه ستكون هناك هرطقة وإنشقاقات وانقسامات . ألم يرد فى الكتاب المقدس أن الابن سيثور على أبيه والأخ على أخيه ؟ ثم حول المتحدث وجهه المتعض ناحية القس كيما يقر تفسيره ويوافق عليه . ولكنه وفر على أوليا حرج الاختلافات وعدم الموافقة ، بأن مضى واستطرد فى كلامه بدون أن ينتظر ردا من القس .

" خذ ، على سبيل المثال ، ذلك الهجوم الذى وقع على منزل الرئيس أولووكيرى ، نائب الملك . كنت موجوداً هناك ساعة أن وقع ذلك الهجوم ، على بعد مسافه ثلاثة أبواب فقط . وشاهدت كل ما جرى بعينى رأسى . هل تدرى أن الهجوم كان بقيادة شقيق أولوو كيرى نفسه .. شقيقه جوئل Joel رأيت كل شيء بنفسى ." قال هذه العبارة وهو يمضغ التبغ فى فمه .

تمتم أوليا قائلا : " أخوه شقيقه . أنا أذكر أنى أعرف ذلك الرجل فهو لا يتردد على الكنيسة ".

صاح أحد الرجال : " ولكن ، ما الذى يمكن أن يفعله أى إنسان لهاتف الغيب دون أن يظهر فى سلوكه أو تصرفاته جوهر الأسلاف ؟ ألا يتصرف ابن الزنا دوما مثل أبناء الزنا ؟ من منا هنا لا يعرف أن أم جوئل كانت حاملا منذ شهر من رجل من رجال أبينو قبل أن تفر هاربة عائدة من أبينو لتجعل زوجها يضاجعها ؟ وهذا هو السبب وراء وفاة تلك المرأة فى اليوم الذى ولدت فيه ذلك الولد غير الشرعى . هذا هو السبب وراء لعنة الابن غير الشرعى التى تحيق إلى اليوم بأفراد الأسرة " .

ولكن الرجل صاحب نبوءة الصراع بين الأمم قدم أسبابا أخرى لتفسيره . هل سمع أهل إيباجا ، فى تاريخها الطويل كله ، عن رئيس حى أسود ؟ ألم يكونوا يشهدون ثورة على حكومة الرجل الأبيض ؟ ألم يروا أن إخوانهم المواطنين كان يجرى تدميرهم والقضاء عليهم ؟ ألم يكونوا يردون إخوانهم المواطنين وقد أصابتهم الجراح ؟ ما الذى يريدونه برهانا غير ذلك ؟

بكت إحدى الأمهات قلقا وخوفا على سلامة ابنها الذى كان يعمل فى وظيفة حكومية فى العاصمة . قالت الأم متشاكية : " أنا الذى طلبت منه أن يعمل بوظيفة من وظائف التعليم هنا فى إيباجا ، ولكنه أصر على أنه يود العمل فى المدينة الكبيرة . ها هى الدنيا قد أوشكت على الانتهاء . ها هو ليس موجوداً معنا هنا ... " .

بعد أن تخلص أوليا من ضيوفه المتوترين عصبيا لم يستقر على روايات الكنيسة وحكايات بنائها . فقد انزعج كثيرا بفعل الاضطراب والخوف الذى كان شائعا من حوله ، وبالتالى كان يتعذر عليه التركيز ؟

بعد أن عادت إليه زوجته بعد فترة قصيرة وجدته يلبس ملابسه استعدادا للخروج . نظرت إليه نظرة حب واهتمام . فها هو يرتدى قميصا من قماش البوبلين الأزرق تحت بدلة من القماش البنى السميك ، يلبس فى قدميه حذاء من أحذية الكرة الطائرة ، له كعبان . وبينما كان أوليا يعدل ياقته قالت له زوجته إن أحدا لا يمكن أن يخرج أو يغادر منزله فى يوم كهذا . ولكنه أكد لها أنه لن يصيبه أذى ، وقبلت هى تأكيده هذا عن طيب خاطر . فقد اعتادت على تقبل أحكامه الطيبة ومعرفته للأمور كلها – اللهم باستثناء النقود – طوال عشرتهم الطويلة . كما كانت على يقين من أنه ليس هناك ما يخيفها، من ذا الذى يمكن أن يفكر فى إيذاء راعى الكنيسة ، مثلما كان يحلو للناس أن يطلقون عليه ؟

وعليه تناول القس عصاه التى كان يتكئ عليها ، كما تناول أيضا قبعته السوداء ، وحيا زوجته مودعا إياها ، وانطلق يمشى فى الشارع . واعتبارا من تلك اللحظة أصبح جوسيا أوليا المحترم ، راعى كنيسة القديس چون فى إيباجا ، فى عداد الشخصيات الضائعة أو التى خرجت ولم تعد .

الفصل السادس والعشرون

بعد أن أظلمت الدنيا تماما راحت زوجة القس تكشف عن أولويات إشاراتها إلى قلقها لغياب زوجها وخوفها على سلامته . وأقنعت نفسها بأنه لم يحدث أن عاد متأخرا إلى منزله . إذ كان من عادته التردد فى معظم الأحيان على أعضاء الكنيسة فى ساعات متأخرة كيما يحل المشكلات والمشاجرات بين الأزواج والزوجات ، ولتأنيب طفل على كسله وسوء سلوكه ، أو لقراءة مقتطفات من الإنجيل لعجوز تنام فى سريرها ، متمسكة فى عناد بحياتها المؤلمة .

راحت زوجة القس تكرر فى نفسها المزمور التاسع عشر كيما تريح نفسها وتهدئ من روعها .

من يعيش فى مكان العَلِىِّ السرى سيمكث فى ظل القادر العزيز ...

لن تخاف الرعب فى أثناء الليل ، ولا السهم الذى يطير بالنهار .

ولن تخاف الوباء الذى يسير فى الظلام ، ولن تخاف الدمار الذى يُدَمِّر عند الظهيرة .

ألف سيسقطون إلى جانبك ، وعشرة آلاف عن يمينك ، ولكن لن يقترب منك مطلقا .

سترى بعينيك وتشهد جزاء الأشرار .

لأنك خلقت الرب الذى هو ملاذى ، والأعلى هو سكنك .

لن يصيبك شر ، ولن يقترب أى وباء من مسكنك .

لأنه سيجعل ملائكته حرّاسا لك ، لتحرسك فى كل أحوالك .

سيحملونك إلى الأعلى على أيديهم ؛ مخافة أن تصطدم قدمك بحجر من الأحجار .

ستدوس على الأسد وعلى الأفعى ، ستسحق تحت قدميك كلا من الأسد الصغير والتنين ...

سيسألنى وأجيبه : سأكون معه فى الضيق ، سأخلِّصه وأكرِّمه .

سأرضيه بحياة طويلة ، وسأريه خلاصى .

ومع ذلك ، لم تذهب قراءة ذلك المزمور عن زوجة القس مخاوفها . وبدأ الشك يتسرب إلى داخلها فى مسألة الصلاة وجدواها ، بالرغم من أن بنيامين بنيامين ومتظاهره كانوا يشكلون خطرا أكيدا تحصن ضده ذلك المسيحى الصادق طبقا لما هو وارد فى المزمور الحادى والتسعين . وبعد أن أصابها الارتباك والذهول اندفعت إلى أقرب منزل من منازل

الأعضاء الذين يترددون على الكنيسة وبكت تعبيرا عن قلقها وتخوفها على سلامة زوجها .

هل تقصدين القس ؟ لقد رأيناه جميعا وهو يمر من أمام منزلنا . والأكثر من ذلك أنه ألقى عليهم التحية ، ولا يمكن أن يكون قد حدث له مكروه . لا شىء بأى حال من الأحوال .

هل رأى عضو الكنيسة صاحب البيت الثانى القس راعى الكنيسة ؟ أوه ، رآه بكل تأكيد ، لقد مر القس من ذلك الطريق . صحيح أنه لم يره هو بنفسه ، ولكن اثنتين من زوجاته رأتاه ، ونقلتا إلى زوجهما تحية القس له .

خرج الجميع من منازلهم ، أصحاب المنزل الأول ، وأهل المنزل الثانى ، وأناس آخرون من المنازل التى يحتمل أن يكون القس قد زارها . ساروا كلهم خلف زوجته ، بعضهم يواسيها ويؤكد لها أن زوجها بخير وسلامة ، وأنهم سيعثرون عليه فى منزل من المنازل التالية ، فى حين راح بعض آخر من الناس يسألون عنه فى المنازل المجاورة .

تسألون عن راعى الكنيسة ؟ لقد زار هذا المنزل بطبيعة الحال . وأمضى فيه وقتا طويلا إلى حد ما أيضا . ولكنه تركه منذ مدة ليست بقصيرة . لماذا ؟ لقد سار فى اتجاه كنيسة القديس چون ، والمفروض أن يكون قد وصلها منذ مدة .

امتد البحث عن القس المفقود حتى الساعات الأولى من الصباح . وصل بحثهم إلى كل الأماكن التى تخطر على البال .. بحثوا عنه خلف

منازل الأعضاء الذين يترددون على الكنيسة ، كما بحثوا عنه أيضا فى تلك القلة القليلة من بيوت المسلمين ، وبحثوا عنه أيضا فى منازل عبدة الشانجو الذين لا يمكن أن يكون بينهم وبين القس أية صلة من الصلات . وواصلوا البحث إلى حد أنهم بحثوا عنه فى القصر وفى منزل بنيامين بنيامين . وقبل أن يكفوا عن البحث ، بعد منتصف الليل بوقت طويل ، كانوا قد وصلوا إلى جبَّانة المسلمين بالقرب من بوابة أبينو .

ومع صياح الديكة ، كانت قصة اختفاء جوسيا أوليا قد وصلت أخبارها إلى خارج حدود إيباجا لتعم الحى والمنطقة بكاملها .

ووصلت تلك الأخبار بالفعل إلى مسامع يودو أكبان .

استشعر يودو أكبان مسئوليته عن سلامة أوليا بشكل أو بآخر ، وتملكته قوة أكبر من واجبه بكثير وحتمت عليه اقتفاء أثر ذلك الرجل والبحث عنه . فهو لا يزال يتذكر تلك الأمسية التى زاره فيها أوليا ليستفسر منه عن مدى صحة الكلام الذى يقول إن الحكومة قد تتخلى عن موقفها من حملة تقطيع أشجار الكاكاو . ولا يزال يذكر أيضا كيف أقنعه بأن ذلك الكلام لا أساس له وأنه لا يعدو أن يكون عملاً آخر من أعمال الإساءة المتعمدة التى يرتكبها بنيامين بنيامين . كان يودو أكبان على ثقة تماما بمدى وثوق ذلك الرجل كبير السن به ثقة عمياء ، وكيف أنه تحول أيضا إلى مساند قوى لآرائه ووجهات نظره ، كما كان يعرف أيضا أن ذلك الرجل ضحى بشهرته وعرَّض نفسه للإيذاء البدنى عندما

وقف إلى جانب يودو أكبان . ولكنه اكتشف بنفسه أنه تحول إلى حصان خاسر ، وأن جوسيا أوليا كان يدفع ثمنا غاليا جزاء له على وقوفه إلى جانب يودو . لقد خذله يودو أكبان .

واستعاد يودو أكبان لقاءه الطويل مع ستانفيلد ومدى صراحة ذلك الرجل . لم يكن يتوقع حدوث تلك المظاهرات على وجه الإطلاق ، غير أنها أكدت قناعته التى مفادها أن الإدارة لم تكن فى ذلك الوقت على المستوى المطلوب من الكفاءة التى تمكنها من تطبيق القانون والمحافظة على النظام . لقد اختطُف أحد رجال الدين ، وربما يكون قد قتل ، لا لشيء سوى محاولة إقناع أولئك الذين وثقوا به بأن الحكومة تعرف الأفضل وأنها سوف تفعل ما ينفع الناس .

ولكن ، ماذا عن استقالته ؟ لقد أرسل يودو أكبان خطاب استقالته قبل حدوث المظاهرات وقبل اختفاء جوسيا أوليا ، ولكنه استشعر التزامه الخلقى إزاء إجلاء اللبس الموجود فى إيباجا أولا . وهذا يحتم عليه سحب استقالته ولو مرحليا .

وإجلاء لذلك اللبس ووقفا للهياج اتخذ يودو أكبان من الترتيبات ما يسمح بإحضار ثلاث جماعات من جماعات الشرطة على أن تصل تلك الجماعات إلى إيباجا قبل ظهيرة اليوم التالى للمظاهرات .

كانت تلك الجماعات مكونة من رجال من شرطة الحكومة المركزية ، ورجال من الشرطة الإقليمية ، وضباط من الشرطة البيضاء ، وضباط الشرطة السوداء . كان رجال الشرطة يرتدون قمصانا أنيقة وسراويل

قصيرة ، ومنهم من كان يرتدى سراويل فضفاضة ، ومنهم من كان يرتدى زيا موحداً ، ومنهم من كان يرتدى الملابس العادية . كل هذه الأنواع من رجال الشرطة كانوا هناك - كان مركز شرطة إيباجا يعج بكل هذه الأنواع من الجنود .

تجول أولئك الجنود فى شوارع إيباجا وفى حواريها وحوارى قرية أبيبى الصغيرة يسألون الناس ، ويدونون الأقوال . كانوا ينتقلون من بيت إلى بيت ، ومن قرية إلى قرية . وكانت لوريات الشرطة تنطلق من إيباجا إلى أبينو ، ومن أبينو عائدة إلى إيباجا .

قتل فى تلك المظاهرات ستة رجال وجرح سبعة عشر رجلا ، أربعة منهم كانت جراحهم خطيرة . ومن بين المنازل التسع التى أتلفت كانت تلفيات منزل الرئيس أولووكيرى ، نائب الملك هى الأكبر من حيث القيمة . وفى إحدى الزيارات الخاطفة التى قام بها يودو أكبان إلى أبينو عائدا من إيباجا ، طلب من رئيس الكنيسة أن يطلعه على أهم المعاملات البريدية التى وصلت مكتب الرئاسة اعتبارا من تاريخ تحرك أكبان وانتقاله إلى إيباجا ، وقدم له رئيس الكتبة رسالة رأى أنها أهم ما حمله البريد ، ، جاءت من أحد المحامين فى أبينو يقول فيها إنه وكيل الرئيس أولووكيرى ، نائب الملك . وقد اشتملت الرسالة على قائمة بأشياء عدة جرى إتلافها فى بناية موكله الحديثة فى مدينة إيباجا ، ويطالب الإدارة فيها بدفع ١٧٥٠٠ جنيه إنجليزى . ولم يحسن ذلك من حالة أكبان النفسية .

تعقدت التحقيقات التى دارت حول مظاهرات إيباجا بالحقيقة التى مفادها أن حفلة أورو التنكرية حدثت فى الليلة نفسها التى نشبت فيها المظاهرات . ورفض يودو أكبان القول بأن حفلة أورو الراقصة التنكرية لم تكن جزءا من المظاهرات ، ولكن الشواهد التى تيسرت بعد ذلك أثبتت أن طقوس أورو الدينية إنما كان يؤديها أتباعها منذ أسبوع بدأ قبل حدوث المظاهرات وأن الرقص الليلى فى الحفلة التنكرية الرئيسية كان بمثابة الفقرة الختامية فى تلك الاحتفالات . وهنا حدث خلط لدى يودو أكبان فيما يتعلق باختفاء جوسيا أوليا وهل هو راجع إلى المتظاهرين أم إلى عبدة أورو Oro ؟ فإذا كان اختطافه بسبب المتظاهرين فذلك يعنى أنه أسير ويعذب فى منزل واحد من أولئك الأوغاد ، وإذا كان اختطافه بفعل عبدة أورو ، فقد اقشعر بدن يودو أكبان تخوفا من ذلك الذى يحتمل أن يكون قد حدث له ؛ والسبب فى ذلك أن يودو لم يكن من أهل هذه المنطقة . ولكنه يعرف جيدا ذلك الذى حدث لواحد من غير أتباع تلك العبادة ، تجرأ على محاولة الوقوف على أسرار تلك العبادة ، وبخاصة تلك الأعمال المقدسة التى يأتيها عبدة أورو فى الحفل الختامى لتلك الاحتفالات .

كان بنيامين بنيامين أول المشتبه فيهم فى تلك المظاهرات . ولم يخامر يودو أكبان أى شك فى أن بنيامين بنيامين كان هو أس الفساد وراء كل شىء ، ولكنه كان يدرك ، بالرغم من كراهيته له ، أنه يجب أن يتوخى الحذر فى التعامل معه . كما كان على يقين من أن حياة الإدارة فى ذلك الحى إنما أصبحت معلقة بخيط رفيع جدا . وأن ذلك الخيط

لا يقوى على تحمل فشل أية محاولة أخرى للإمساك بمثيرى الشغب والقلاقل فى إيباجا .

من هنا ، طرح يودو أكبان شباكه بعيدا عن الاتجاه الذى يسير فيه بنيامين بنيامين . واستطاعت تلك الشباك أن تمسك ثلاثة عشر رجلا فى ثلاثة أيام : منهم تسعة رجال من إيباجا ، وكلهم نواب ورفقاء لبنيامين بنيامين ، أما الأربعة الباقون فكانوا من قرية أبيبى Abebe .

أدخل هؤلاء الرجال الثلاثة العشر السجن فى أبينو . وهنا ضرب يودو أكبان عرض الحائط بالمعارضة الفنية بإدخال أناس السجن قبل أن تثبت إدانتهم ، وكان ينبغى احتجازهم فقط انتظارا لما تسفر عنه تحريات الشرطة .

كان بنيامين بنيامين قد اكتشف أن الإدارة تتحاشى الاصطدام به إصطداما مباشرا فى تلك الآونة ، ولذلك راح يغازل مسألة إلقاء القبض عليه . وكان يعرف أيضا مدى المكسب الذى سيعود عليه من إعلان القبض عليه " فى مظاهرة نظمت ضد الاضطهاد" . من هنا راح بنيامين بنيامين يجعل من نفسه مصدرا للقلق والاضطراب . وفى مساء يوم من الأيام قام رقيب غاضب من رقباء شرطة العاصمة باتهامه بعرقلة حركة الشرطة ومنعها من أداء عملها ، جراء محاولته الإخلال بالأمن ، كما وجه إليه أيضا ثلاثة اتهامات أخرى دونها فى مفكرته . وتعاون بنيامين بنيامين تعاونا مدهشا مع الشرطة ، ورحبوا به ترحيبا حارا على متن السيارة الأوستن من طراز بلاك ماريا ، والتى نقلته من إيباجا إلى أبينو .

وفى الوقت الذى كان يجرى فيه البحث عن القس الضائع فى مدينة إيباجا ، كان مواطن إيباجا الأول الغريم وكريم المحتد يمثل أمام القضاء فى أبينو ، بتهمة عرقلة الشرطة ومنعها من القيام بعملها . أما مواطنى إيباجا الذين كانوا أقل شهرة من بنيامين بنيامين ، وكان يتزعمهم شقيق أولووكيرى وعدوه ، فقد كانوا يمثلون أمام الدائرة القضائية نفسها باتهام سريع وجه إليهم لعدم أهميتهم ، ويقع تحت اسم المشاركة فى المظاهرات ، وإحداث تلفيات فى الممتلكات ، وإيذاء بعض الأشخاص الذين وردت أسماؤهم فى عريضه الدعوى ، الأمر الذى أدى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى وفاة سبعة من مواطنى إيباجا ، وردت أسماؤهم أيضا فى عريضة الدعوى .

جرى سحب قضية تعطيل الشرطة عن القيام بعملها . وذلك عندما طلب مدعى الشرطة من المحكمة السماح له بسحب القضية ، وهنا نبهه القاضى إلى حتمية حزم الشرطة لأمرها قبل تقديم القضايا للمحكمة . وهنا ابتسم بنيامين بنيامين وسرعان ما انقلب عليه القاضى انقلابا شديدا .

" أنا لا أعرف ولا يهمنى أن أعرف الأسباب التى دعت إلى سحب قضية منع الشرطة من القيام بعملها . وأنت إذا ما كان لديك سبب لفرحك وسرورك ، فأنا مضطر إلى لفت انتباهك إلى أن هذه محكمة وليست موقفا من مواقف اللوريات التى تقف فيها وتتحدث إلى مستمعيك عن صندوق من الصابون . وأنا لن أتردد فى اتهامك هنا وعلى الفور بالاستخفاف بالمحكمة وعدم احترامها " .

وهنا وقف محامى الدفاع ممسكا برفير جاكت بنيامين بنيامين قائلا : " يا سيادة القاضى ، أنا أعتذر نيابة عن موكلى . وأنا أؤكد لسيادتكم أن موكلى لم يقصد الاستخفاف بالمحكمة أو عدم إحترامها أو بشخص سيادتكم . وهذه واقعة سيئة ونحن نعتذر عنها أشد الإعتذار . "

وثبت عدم إدانة بقية الأشخاص الآخرين . وأُجلت القضية . وازدرت المحكمة مطالبة بنيامين بنيامين لها بالإفراج عن أولئك المتهمين مقابل ضمان أو كفالة . وجرى وضع هؤلاء الأفراد فى الحجز مرة أخرى فى فناء السجن .

ظهر بنيامين بنيامين ، مثل العملة الرديئة ، مرة ثانية فى موقف لوريات إيباجا . وبينما كان واقفا فى ذلك المكان يروى لبعض أنصاره ومؤيديه قصة عرضه الشجاع دفع كفالة أو توفير ضمان " للوطنيين ، أبناء إيباجا ، ضحايا القمع والإضطهاد " ، فتح النار عليه الرئيس أولووكيرى ، نائب ملك إيباجا ، وأرداه قتيلا .

الفصل السابع والعشرون

كان من الواضح أن الرئيس لم يكن بحاجة إلى إطلاق نارى ثان على بنيامين بنيامين ، وأدار أولووكيرى بندقيته إلى عنقه وفتح على نفسه طلقا ناريا منها . وصاح وهو يقع على الأرض ، يتضور ألما ، فى حين سقطت البندقية من يده .

حدث كل ذلك فى لحظة واحدة ، وكان الرئيس أولووكيرى يتضور ألما ويندفع الدم خارجا من عنقه على أرض السوق المعبدة بالحجر الأحمر . حدث كل ذلك قبل أن يعرف الواقفون فى موقف اللوريات هم والمتسوقون حقيقة ما جرى .

وهنا صاح الناس فزعا وخوفا وفروا هاربين فى كل الاتجاهات اللهم باستثناء الاتجاه الذى سقط فيه جثمان بنيامين بنيامين ، والذى كان جثمان الرئيس أولووكيرى لا يزال يتضور فيه ألما . وهنا اندفع صبى من صبية اللوريات قافزا فوق سور الموقف الذى يصل ارتفاعه إلى أربعة أقدام وراح يجرى على الطريق الذى يربط الموقف بالسوق وهو يصيح قائلا : " لقد قتله . . لقد اغتاله ! " وحذا آخرون حذو ذلك الرجل .

وبذلك يكون وصول بنيامين بنيامين إلى موقف اللوريات والذى سبق أن استرعى انتباه الجماهير وجذبها إليه ، قد جذب انتباه الشرطة واسترعاه أيضا إلى ذلك المكان . واعتبارا من تاريخ قصر زمان ومكان التجمع على اثنين أو ثلاثة فقط من الإيباجيين ، بدأت تقل الفوضى والاضطرابات بين تلك التجمعات .

حدث أيضا ، أنه بالرغم من الزى الأزرق الموحد ، وبالرغم أيضا من الصفارات ، وبالرغم أيضا من العصى وكل رموز السلطة الأخرى ، فإن الكونستبلات الأربعة التابعين للشرطة أثبتوا بل برهنوا أيضا على أن حماة أمن الملك وسلامته كانوا هم أيضا عرضة لنقائص البشر وعيوبهم المعتادة . السبب فى ذلك أن الشىء نفسه الذى فرق الرجال وشتتهم من كل من موقف اللوريات والسوق هو أيضا الذى جعل كونستبلات الشرطة الأربعة يفرون هاربين من مسرح المأساة المزدوجة . ولكنهم فروا ، فى أضعف الأحوال ، فى الاتجاه نفسه .

حدث بعد ذلك ، أن ظهر جوسيا أوليا من جديد وسط كل هذه الفوضى وذلك الارتباك .

ظل القس راعى كنيسة القديس چون ، يلوذ بصمت غريب حول اختفائه الشهير . وتكتم - إلى أبعد الحدود - الحديث عن تفاصيل تجربته التى دامت ثلاثة وأربعين يوما . ترى ، هل كان فى إيباجا ، محبوسا فى منزل أحد من الناس ؟ أم أنه كان فى قرية من قرى الحى، ، مربوطا أو مقيدا إلى جذع شجرة مثل عنزة من الماعز ؟ أم أنه كان

فى غاية تأليه أورو Oro الصغيرة ، فى أعماق إجبودودو ؟ ومن الذى حلق شعر رأس هذا الرجل ؟ كان شعر رأس القس قد اختفى وتحول رأسه إلى صلعة لامعة ، اللهم باستثناء لحيته الكثة غير المشذبة .

وعندما أخبروا جوسيا أوليا باغتيال بنيامين بنيامين لزم الصمت أكثر وأكثر فيما يتعلق بالأيام الثلاثة والأربعين التى ضاعت من عمره . لم يستطع أحد تعرُف الأسباب التى دفعته إلى ذلك الصمت وهذا السكوت ، والسبب فى ذلك أن هذا القس كشف عن بوادر أسفه وندمه على وفاة بنيامين بنيامين ، بحكم أن العلاقة التى كانت تربط بينهما لم يكن يشوبها أى شىء سوى الصداقة والود .

زار يودو أكبان أوليا فى مكتبته البسيطة فى سكنه البسيط داخل الكنيسة . وتكلم أوليا بلا أية قيود عن مبنى الكنيسة الجديد ، وتكلم أيضا عن تطلعه إلى الرفاهة والرخاء الذى سيعم هذه الأرض بعد اكتشاف علاج لمرض الكاكاو ، كما تحدث أوليا أيضا عن عدم نسيان جمهور المصلين شكر (الله) واهب كل الطيبات ، فى كل احتفال من الاحتفالات التى يقيمونها . وتحدث القس أيضا عن مدرسة الكنيسة التى كان فى يوم من الأيام ناظرا لها ، كما أعرب عن أمله فى استخدام يودو أكبان لنفوذه فى الحصول على معونة حكومية للكنيسة . وتحدث أيضا عن تدهور مستوى التمسك بقواعد اللغة الإنجليزية وبتراكيبها فى المدارس . وتنهد حزنا وشوقا وألما على الأيام الخوالى الجميلة يوم أن كان هو نفسه مدرسا فى إحدى المدارس ، ذلك الوقت الذى كان المدرسون يؤدون عملهم فيه بإخلاص و تفان .

ازداد يودو أكبان فضولا على فضول عندما قال له أوليا أنه بناء على اقتراح أو أمر من ذلك الرجل الذى كان يبدو أنه زعيم لأولئك الناس الذين خطفوه واحتجزوه ، لم يصيبوه بأى أذى على الإطلاق ، بل إنهم عاملوه ، على العكس من ذلك ، معاملة حسنة واحترموه الاحترام الواجب لرجال الدين . ولكن القس الذى بدأ يتحدث فجأة عن موضوعه توقف فجأة أيضا عن الكلام وحوَّل مجرى الكلام إلى موضوعات أخرى ، الأمر الذى أحبط ضيفه وخيب أمله . وبقدر محاولة يودو أكبان إعادة القس إلى الحديث عن موضوع اختفائه العجيب أصر جوسيا أوليا هو الآخر على الإبقاء على نافذة ذلك الحادث الغريب مغلقة تماما .

وفى أحد عنابر مستشفى أبينو أُجلس الأب جوسيا أوليا إلى جوار سرير الرئيس أولووكيرى ، نائب ملك إيباجا .

قال أولووكيرى بصوت ضعيف : " تفضل بالجلوس أيها الأب ، تفضل بالجلوس" .

" يا سيادة الرئيس ، أنا حزين لما بلغنى عن هذه المأساة كلها . هذا هو عمل الشيطان . إنه عمل الشيطان بحق وحقيقة " .

قال المريض بصوت واهن وهو يحملق فى الفضاء : " فتحت عليه النار وأرديته قتيلا . وأنا لست نادما على قتل بنجا بنجا . لقد كان محتالاً ونصابا . كان لابد من إدخاله السجن مدة سبع سنوات عقابا له على المبلغ الذى سرقه من المبالغ التى جرى تحصيلها من الناس ...

لقد غشنى واحتال علىَّ مرتين . أولاهما عن طريق تآمره مع جوئل ذلك اللقيط ، الذى يدعى أنه ابن أبى ، وإيباجا كلها تعرف أن أمه كانت قد حملت بالفعل من رجل فى أبينو قبل أن تفر هاربة إلى أبى مرة ثانية ! لقد تآمر بنجا بنجا مع جوئل .. كما أنه هو الذى قاد العصابة التى دمرت منزلى وأتلفته . لقد دمر بنجا بنجا بيتى بالرغم من كل ما فعلته من أجل مساعدته .

لكن ألا تعلم أيها القس أن بنجا بنجا كان يمارس - قبل ذلك - الجنس مع زوجتى الثانية ، تلك المرأة الأبينية التى كانت فى الأصل متزوجة من كاتب محكمه أبينو ! ولعلك تتذكر مبلغ الغرامة الكبيرة التى تحتم علىَّ دفعها لتلك المرأة التى لا تعرف الحياء . كنت طوال تلك المدة أظن أن بنجا بنجا يتردد على منزلى طلبا لزيارتى ولكنه كان يأتى فى واقع الأمر لرؤية عشيقته ...

فتحت النار عليه ، وأرديته قتيلا . وهل تدرى ، أيها القس ، أننى لست نادما على ما فعلت . وأنا راض عن كل ما ستفعله الحكومة معى " .

نظر القس إلى المريض نظرة إمعان . واغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول : " لعل الله يمنحك القوة التى تجعلك تحب ذكرى جارك الفقيد حبك لنفسك . ولعل الله يمنحك القوة التى تجعلك تسامح هؤلاء الذين تعدوا عليك وبالتالى يغفر الله لك تعدياتك على الغير " .

حكمت المحكمة العليا فى العاصمة على الرئيس إبراهيم أولووكيرى ، نائب ملك إيباجا بالإعدام شنقا لقتله بنيامين بنيامين .

قال ستانفيلد ذات يوم لـ يودو أكبان بعد أن وصل خبر اتهام أولو إلى مدينه إيباجا : " أنا أعرف أن القانون سينصف أولو فى يوم من الأيام ". ثم قدم ستانفيلد علبة السجائر إلى أكبان ، الذى أخذ منها ثم تمتم شاكرا وهو يقول : " كنت أعلم منذ البداية أن بنيامين بنيامين كانا نصابا ومخادعا ، منذ البداية ". ثم تناول سيجارة أخرى وأشعل عود ثقاب لأكبان .

تساءل يودو متأملا : " هل كنت تعرف ذلك منذ البداية ، يا سيدى" ؟

" كنت أعرف ذلك ، بطبيعه الحال . أما ما لا أعرفه فهو أن عنق ذلك الرجل كانت محطا لحبل الجلاد . والمؤسف أنه وصل إلى هذه النتيجه المأساوية ... والأدهى أننى سمعت أن محاميه استأنف الحكم" .

" تقصد مجموعة المحامين الذين يدافعون عنه . إنهم سبعة . وهذا يعنى بطبيعة الحال الانتظار مدة ثمانية عشر شهرا أخرى أو عامين قبل أن تصدر المحكمة العليا ثم المجلس الخاص فى لندن حكمها بتنفيذ أو عدم تنفيذ الإعدام " .

" يتعين علينا أن نعطى المتهم كل الفرص التى يستطيع أن يثبت براءته من خلالها . وهذا مبدأ أساسى فى قانوننا الجنائى ، يا يودو ".

قال يودو على مضض : " أنا أعرف ذلك . المتهم برىء إلى أن تثبت إدانته ... مسئولية إثبات الإدانة تقع على الادعاء ، وكل ما يتعلق به . أنا أعى ذلك ، وأعرف أيضا إلى أين سيقود هذا البلد" .

قال ستانفيلد ، بعد أن أخذ على غرة : " المؤكد ، أنك لا يمكن أن تعد ذلك خطأ فى قانوننا . وهذا القانون واحد من أفضل قوانين الدنيا كلها ، إنه الشىء الوحيد الذى ستتذكره الدنيا كلها للبريطانيين" . ثم سحق عقب السيجارة فى طفاية السجائر .

" هذا هو الإحساس البريطانى بالعدالة والمحاكمة العادلة ! لقد طبقنا ذلك المبدأ واعتبرنا بنيامين بنيامين بريئا إلى أن تثبت إدانته . فقد ثبت أنه هو وعصابته جمعوا مبالغ مختلفة من رجال أبرياء ومن نساء بريئات وأنهم أساءوا استعمال تلك المبالغ ... القاضى لم يقل إنه لم يصدق ذلك . وعبر عن إدانته الكاملة لبنيامين بنيامين ... ولكن بالرغم مما كان يعتقده القاضى وبالرغم أيضا من إدانته لبنيامين بنيامين ، فقد أطلق سراحه وبرأ ساحته . وماذا كانت نتيجه الإجراء الذى اتخذه القاضى ؟ أطلق بنيامين بنيامين مرة أخرى على كل من أهل إيباجا الأبرياء الذين وثقوا به وعلى الإدارة . كان ذلك هو الإحساس البريطانى بمعنى العدالة والمحاكمة العادلة ".

" هل تريد سيجارة أخرى ، يا يودو " ؟

تناول يودو سيجارة . أدرك أنه تكلم بشىء من الغضب . كان يودو قد سبق له أن تعلم أنه يتحتم أن يعبر عن رأيه تعبيرا حراً أمام هذا الرجل الذى يكبره سنا ، الذى كان يهتم بمستقبل يودو العملى اهتماما كبيرا .

" لعلك تفهم يا يودو ، أن بنيامين بنيامين أطلق سراحه اعتمادا على نقطة فنية . وأن تلك النقطة تتعلق بتوجيه الشرطة تهمة القتل إليه طبقا لنص غير مناسب من نصوص القانون . ترى ماذا كان يمكن للقاضى أن يفعله فى مثل هذه الظروف ؟ لا شىء ! وستظل هذه المفارقات تقع ، إلى أن نتمكن من تحسين الشرطة وهيئة مكتب المدعى العام " .

" ولكن هذه الحوادث تكلف الكثير ، يا سيدى . هذه هى المشكلة ... هذه الحوادث هى إحساسك بالعدالة والمحاكمة العادلة ، هما اللذان جعلا هذا الأفّاق المشاكس يطلب فدية مالية من الإدارة . كان يطلب منا فدية مالية منذ وقت طويل جداً .

أشعل سيجارته الثالثة وهو يقول : " نعم ، إلى أن تدخل رفاقه وتسببوا فى مستقبله العملى ".

راح الاثنان يدخنان فى صمت . وكان يودو هو الذى تحدث أولا ، وظهر على وجهه أن ذهنه انصرف على الفور إلى نقطة جديدة . قال يودو : " قبل مجيئك إلى هذا البلد ومعك السلام البريطانى ، كان من السهولة بمكان التخلص من شخص كهذا البنيامين بنيامين الذى تعادى نشاطاته المجتمع . لقد تلاشى واختفى بعد أن فشلنا نحن فى الإدارة فى تخليص أنفسنا من تلك اللعنة التى اسمها بنيامين بنيامين ، ذلك الرجل الإيباجى الذى لم يسمع عن الإحساس البريطانى بالعدالة والمحاكمة العادلة ، وأنها لا تستخدم بأى حال من الأحوال فى التخلص

من عدو مشترك . ولكنه هو نفسه فعلها فى لحظة . أما نحن فقد فشلنا فى الاستفادة منها على امتداد عامين" .

توقف يودو عن الكلام . أطال ستانفيلد النظر إليه . ثم استأنف يودو حديثه قائلا : " كره أولو الحياة بعد أن قتل عدوه رميا بالرصاص . فقد أدار بندقيته إلى عنقه ، ولكننا لم نمكنه من الموت . نقلناه إلى المستشفى ، وفتحنا عنقه ، وأخرجنا الطلقة . وأخطنا الجرح ونحن الآن نتولى تمريضه كيما يستعيد صحته وعافيته . طوال كل هذه الفترة ركزنا عليه أفضل العناية الطبية المتوافرة فى هذا البلد . وبعد كل هذه الرعاية وبعد كل هذا الاهتمام ما الذى سنفعله لأولو Olowo ؟ سنعدمه شنقا إلى أن يفارق الحياة " .

الفصل الثامن والعشرون

مضى ثمانية عشر شهرا .

كان يودو أكبان يضع اللمسات النهائية لخطوات وتعليمات التسليم والتسلم . وبذلك يكون يودو أكبان قد أكمل الجولة الأولى التى قام بها فى إيباجا بصفته رئيسا للحى أو إن شئت فقل رئيسا لمنطقة إيباجا - أبينو ، على أمل القيام قريبا جدًا بإجازته فى غضون أيام قلائل . كان أكبان يتطلع شوقا إلى تلك الإجازة نظرا لأنه سيمضى القسم الأكبر منها فى حضور مؤتمر يستمر ستة أسابيع عن الإدارة الأفريقية ، تنظمه جامعة أكسفورد . كتب يودو يقول :

بوفاة بنيامين بنيامين يعد الملف الخاص بقضية إدانة الرئيس إبراهيم أولووكيرى بالقتل وكذلك الاتهام الموجه إلى الرجال الذين شاركوا فى مظاهرات إيباجا ، وأولئك المشاركين فى استئناف قضية أرض إجبودودو ، والأمور الأخرى المتعلقة بها ، يعد هذا الملف قد أغلق تماما (ويتعين التنويه هنا إلى أن رسالة المدعى العام الخاصة بمسألة إقامة أو عدم إقامة دعوى على بنيامين بنيامبن لعدم حضوره أمام لجنة التحقيق ، لم تصل مكتبى إلا منذ عدة أسابيع قلائل) . ويتعين عليك

قـراءة الملف السـرى ٢٣٧ / ٨حـ (٣ أجـزاء) الخـاص بتـواريخ الأنشطة التى كان بنيامين بنيـامين يمارسـها فى الحى ، كما يتناول الملف أيضا موضوع لجنة التحقيق التى أمرت بتشكيلها . كما ينبغى عـليك أيضا الاطـلاع عـلى الملـف السرى رقم ٢٣٨/ ١ حتى يتسنى لك الوقـوف على إجـراءات المحكمـة والاطلاع على الحكم ... ويجـدر التنويه هنا إلى أن المجلس الخاص طوى الاستئناف المقدم من الرئيس إبراهيم أولووكيرى ، فقد قدم محاموه التماسا بطلب الرحمة من مجلس الحكم ...

يضاف إلى ذلك أن إنشاء مشروع مياه إيباجا - أبينو ، يعد قيد التنفيذ (انظر الملف رقم ١٧٦٥) . والمعروف أن مصدرى إمداد المدينة بالمياه يأتيان من مصدر واحد ، هو نهر إجبار Agbara، الذى يمتلئ بالماء على مـدار العـام . وقـد أبلغنى المهندس الإقليـمى أو المحلى أن العمل معطل بسبب عدم تسلُّم الأنابيب أو المواسير المرسلة من إنجلترا . ولذلك أرسل مـركـز رئاسـته برقـية إلى هيئـه وكـلاء التـاج حـول هذا الموضـوع ، ومن المنتظر أن تصل سفينة البريد التى تبحـر من ليفربول هذا الأسـبوع ، وعليـها شحنة طيبـة من المواسـيـر . ويتـعين على كل الأطراف المعنية بهذا الموضوع تعزيز الأرضية التى وصل إليها المدير فى مسـألة التقريب بين الأبينيين والإيبـاجيين ، منذ أن كان بنيـامين بنيـامين على قيد الحـياة ، كمـا يجب عـدم السـمـاح للشـعور الحـالى بالتـعـاون ، بالتـراخى نتـيـجـة الإبطـاء فى مـد أنابيب الميـاه فى المدينتين ...

زد على ذلك أن المخططات التى أعدتها إدارة الزراعة لمشروع إجبودود قد قطعت شوطاً طويلا . ولعلك تطلع على المذكرة المرسلة من مدير الزراعة المساعد ، والتى عرضت على المجلس التشريعى فى جلسته الأخيرة (ملف ٢٩٦ / ١) سيجرى إنشاء مشتل على مساحة ١٦ فداناً لأشجار الكاكاو ، يجرى منه توزيع شتلات أشجار الكاكاو ذات الأصل البرازيلى والمقاومة لمرض الكاكاو ، على الفلاحين بأسعار معانة فى منطقة أبينو - إيباجا . كما تنشأ أيضا مزرعة موالح نموذجية على مساحة ٣٢٠ فداناً ، فضلا عن إنشاء مزرعة تجريبية أخرى للمحاصيل النقدية على مساحة ٣٢٠ فداناً أخرى . واتحاد فلاحى أبينو- إيباجا متحمس تماما لذلك المشروع ، ولابد من بذل الجهود اللازمة لتدعيم ذلك الحماس ومساندته ....

كان خلف يودو أكبان أفريقيًّا آخر . ولكنه كان يكبر يودو ببضع سنين ، إضافة إلى أنه كان يتمتع بعضوية القبيلة الرئيسية التى يعد الأبينيين والإيباجيين قبيلتين فرعيتين منها . يضاف إلى ذلك ، أن ذلك الرئيس الجديد كان واحداً من التعيينات الأربعة الأخيرة التى جرى إحداثها تنفيذا لتوصيات ستانفيلد ، الذى يشغل حاليا منصب المفوض المناب فى المحمية ، وبخاصة أن تلك التوصيات أشارت إلى أن النجاح الذى أصابه يودو أكبان فى ظل الظروف الصعبة التى كان يعمل خلالها ، فى منطقة إيباجا - أبينو ، يوحى بتعيين المزيد من الأفارقة ضمن جهاز الإدارة وذلك من باب المضى قدما فى التجربة نفسها .

قال يودو بينما كان يجلس فى المكتب مع ستانفيلد ، ويتطلع ناظرا إلى ملف تعليمات التسليم والتسلم : " الواضح أنك كنت فى لندن فى الوقت نفسه الذى كنت أنا فيه فى جامعة كمبردج " . كان الاثنان قد عادا لتوهما من الزيارة التى قاما بها إلى ملك إيباجا ، والتى قدم فيها يودو أكبان خلفه الجديد إلى الرجل العجوز . " أنا أعجب لعدم لقائنا فى لندن . فأنا من عادتى أن أمضى القسم الأكبر من إجازتى فى لندن " .

" أظن أنك كنت تقيم فى سكن طلاب المستعمرات فى إبرلز Ebrls كورت Court . أنا أذكر على وجه اليقين أننى التقيتك فى إحدى المرات فى منزل حركة الطلاب ، الكائن فى شارع جوور Gower ، وأظن أن المناسبة ، كانت محاضرة كان يلقيها وزير الدولة لشئون المستعمرات ...".

" كان عنوان المحاضرة " تاريخ الخدمة فى مناطق ما وراء البحار " . وأذكر جيداً أن الطلبة قاطعوه بالأسئلة المحرجة والملاحظات المحرجة أيضا إلى الحد الذى كادت تفر معه الدموع من عينيه" .

" لقد شاهدت الطلبة وهم يفضون اجتماعا من ذلك القبيل . فى قاعة كونوى Conway . كانت جمعية فابيان Fabian هى التى دعت إلى انعقاده . كان الطلبة لا يطاقون . واضطر رئيس الاجتماع إلى طلب النظام مرات عدة. تلك كانت أبشع واقعة فى حياتى .. كنت أشعر بالخجل تمامًا من أداء طلابنا فى أثناء الاجتماع . تخيل ، أن السواد الأعظم مما قاله ذلك الرجل العجوز كان ينصب على الفساد البريطانى .

ولعلك على علم بالموقف البريطانى المعتاد من السرعة المذهلة التى كان البريطانيون يتحركون بها فى المستعمرات . كيف ، إذا ما استمرت تلك السرعة ، يمكن لدول غرب أفريقيا أن تصبح مناطق مستقلة إبان حياة بعض الإنجليز الحاليين .... من الصعوبة بمكان إبعاد عقول هؤلاء عن ذلك الشق أو الأخدود . هم يفكرون على مستوى القرون وليس على مستوى العقود ... وما رأيك فى الملك (الأوبا) "؟ هنا عاد يودو أكبان إلى الأرض مرة أخرى ليعيش موضوع إدارة أبينو – إيباجا . "سوف تكتشف أن هذا الرجل كبير السن يقظ تماما . صحيح أنه خاف بعض الشىء من النهاية التى انتهى إليها بنيامين بنيامين . وخاف أيضاً من النتيجة التى انتهى إليها الرئيس أولووكيرى . وإنها لميزة كبيرة أنك تتكلم لغة الرجل العجوز . وأنا أحسدك على ذلك ".

" رجل عجوز عظيم . يذكرنى بملك مسقط رأسى . وآمل أن يستغل معرفتى للغته وتحدثى إياها ...".

قال يودو أكبان بعد تفكير عميق : " وهى ناجحة من الناحيتين ، بطبيعة الحال . هى ميزة بالرغم من كل شىء ...".

صمت الاثنان فترة قصيرة . راح يودو خلالها يدخن ، فى حين راح رفيقه يدون ملاحظة على غلاف ملف من الملفات . ثم تكلم يودو بعد ذلك فقال : " نسيت أن أقول لك ، إننى أخبرتك بالأمس أننى سوف أحكى لك المزيد عن الاختفاء الغريب الذى حدث للأب أوليا ".

" أوه ، صحيح ، ماذا حدث لذلك الرجل " ؟

" هو نفسه يرفض أن يحكى أى شىء عن ذلك . ولكننا استطعنا الحصول حاليا على الخطوط الرئيسية لقصة ذلك الاختطاف . اختطفت جمعية تأليه أورو السرية ذلك الرجل ، ونقلته إلى المكان الذى يعيشون فيه . وهناك أمران غريبان حول ذلك الاختطاف . أولهما أنهم نقلوه إلى غابة صغيرة خارج حى إيباجا ، وثانى هذين الأمرين أنهم عاملوه معاملة طيبة . واقع الأمر أن الخطف بدلا من أن يكون نوعا من العقاب ، تحول إلى إعطاء رجل الدين هذا شيئًا من التثقيف فى أصول تلك القبيلة وحكومتها الباكرة. وقد أثر ذلك تأثيرا كبيرًا فى نظرة هذا الرجل العامة . فقد جعلوه يقسم قسم الحفاظ على السرية قبل أن يطلعوه على أى شىء . وهذا هوالسبب وراء التزامه الصمت والسكوت عن الحديث فى هذا الموضوع من قريب أو بعيد . ولن تستطيع الحصول منه على أى شيىء حول هذا الأمر ".

" يا للعجب" .

" عجيب جدًا . لو قدر لك ، أن ترى نفسك على أنك ابن من أبناء هذه التربة ، فقد تكتشف أن مسألة الانضمام إلى هذه الجمعية السرية أمر يستحق القيام به والسعى إليه . وقد تكتشف أن الإيباجيين القدامى ربما يكون لديهم أمر أو أمران يريدون أن يعلموننا إياهما عن الإدارة . هل تعطينى سيجارة أخرى من فضلك " ؟

قال يودو أكبان بعد شىء من الصمت وهو يتناول ملفا يدور الحديث بشأنه : " أوه ! أود أن أقول لك شيئًا عن مسألة تشريح الجثث .

ستجد ذلك يحتل مساحة كبيرة من هذا الملف . فالشرطة تواصل كتابة كل أنواع الرسائل عن سبب هذا الحادث أو ذاك . وقد يكون الحادث قد وقع منذ فترة طويلة يصعب على أى أحد معها تحديد الجثة التى ترتبط بحادث بعينه" .

" أوه ، هذا حقيقى ، والغريب أن رئيس الحى يجرى دس أنفه فى كل ذلك" ؟

" هذا هو ما يخيفنى ، ضرورة تشريح الجثث أمر من الأمور التى تحتاج - من وجهة نظرى - إلى إعادة النظر فيها فى ظل الظروف العجيبة للإدارة الأفريقية . رجل يدوسه لورى ... على سبيل المثال ، ويرى كثير من الناس ذلك اللورى بعينه وهو يدوس ذلك الرجل أيضا . وبالتالى تحدث الوفاة فى التو واللحظة . ويترتب على ذلك أن يضيِّع ذلك الطبيب الذى ينتظره صف طويل من المرضى ، وقته ثمين فى تقطيع أو إن شئت فقل تشريح جثة مثل جثة هذا الرجل الذى مات فى الحادث ، دونما نظر أو اعتبار لمدى حاجة أولئك المرضى إلى مثل هذا الطبيب" .

ويتوقف يودو أكبان قليلا ، ثم يشعل سيجارة أخرى قبل أن يستأنف حديثه . ولكن رفيقه لم يقل شيئًا ، بالرغم من أنه كان يتابع حديث يودو باهتمام شديد .

" وبعد أن يعبث الطبيب ببعض أجزاء الجسم يعيد تحنيط ذلك الشىء المبارك ، ثم يكتب بعد ذلك تقريره بلغة الطب عن سبب الوفاة . والشىء الطبيعى أن عشرات الرجال والنساء الذين شاهدوا الحادث

اللورى والضحية - يعرفون سبب الوفاة حق المعرفة . والأمر يحتاج إلى كل ذلك اللف والدوران بعد أن سمع الناس صوت الارتطام وشاهدوا اللورى وجثمان الضحية " .

قال الرجل الآخر : " هذا شيء مريع ، ولا معنى له مع مثل هذه الظروف . وماذا لو أصرت الشرطة على ذلك "؟

" صحيح ، القانون يصر على ذلك ويشدد عليه . لأن ذلك له علاقة برفع الدعوى والإجراءات القضائية الناجمة أو المترتبة على مثل هذا الحادث ... وأنا أرى أن مسألة ترك الأحياء يموتون ، فى الوقت الذى تروح تعبث فيه بجثث الموتى فى مثل هذه الظروف ، تدخل فى إطار الجرائم . ويصعب هنا توجيه اللوم إلى الناس العاديين الذين يرون دافعا سيئا فى مثل هذا الأمر . لا يجب أن يغيب عن بالك هنا تلك القداسه التى يضفيها الأفارقة على جثمان قريب لهم عندما يموت " .

عند هذا الحد وصل الطبيب الأفريقى قادما من المستشفى الحكومى . وضحك موظفا الإدارة لتلك المصادفة الغريبة . وسألهما الطبيب ، وهو يجلس على طرف مكتب يودو أكيان قائلا : " هل تتكلمان فى السياسة ؟ لا يجب أن تغيب عنكما الأوامر العامة " .

رد يودو مفسرا : " الغريب فى الأمر أننا كنا نناقش موضوع تشريح الجثث البالغ الأهمية " .

قال الطبيب مشمئزا : " بالله عليكما فكرا فى مناقشة موضوع آخر ، غير موضوع التشريح . أى موضوع آخر غير هذا الموضوع .

طرد الموظفين المدنيين وحرمانهم من الكلام فى السياسة ، على سبيل المثال ".

تنهد يودو وقال " نعم ، القواعد العامة تمنعنا جميعا من مناقشه الأمور والشئون الوطنية على الملأ أو علانية . القواعد العامة .. ذلك الإنجيل الخاص بالخدمة المدنية الذى كتبه النازحون الذين يجعلون من الخدمة المدنية البريطانية أساسا لتفكيرهم . الموظف المدنى فى بريطانيا لا يشغل نفسه بالسياسة ".

تساءل الطبيب : " وهل من حقه أن يفعل ذلك بأى حال من الأحوال "؟

واصل يودو كلامه قائلا : " هذه مجرد نقطة . الموظف المدنى البريطانى لا يتعين عليه الاشتغال بالسياسة ، والسبب فى ذلك ، أن هناك مئات الآلاف من البريطانين لا يعملون فى الخدمة المدنية وبالتالى يكونون على استعداد للعمل بالسياسة على مستوى الحكومة الوطنية وعلى المستوى المحلى أيضا . وبالتالى يمكن للموظف المدنى أن يجلس إلى مكتبه ويؤدى مهام وظيفته ، أى مهمة تنفيذ القرارات الخاصة بالسياسة " .

صمت لحظة ليجمع شتات أفكارة . "ولكن الوضع مختلف اختلافا محزنا فى هذه البلاد . إذ إن أفضل العقول فى هذا البلد ، باستثناء قلة قليلة منهم ، تعمل كلها فى الخدمة المدنية . هل يمكن لهذه البلاد أن تتحمل ، بحكم مواردها المحدودة فى القوة العاملة المتعلمة ، تكميم

أفواه أولئك المتعلمين الذين يعملون فى الخدمة المدنية ، ويترك الحبل على الغارب لرجال الدرجة الثانية ، أو أشباه المتعلمين ، فيما يتعلق بمسألة التشريع بالغة الأهمية من ناحية واتخاذ القرارات التنفيذية الخاصة بالدولة من الناحية الأخرى ؟ ألا يمكن لنا أن نخلق حالة تسمح للموظف المدنى بأن يعبر عن رأيه على الملأ فيما يتعلق بالأمور التى يصلح لمثل هذا الموظف أن يدلى برأيه فيها فى ضوء تعليمه وتجاربه المناسبة ؟ "

" هذا كله كلام فارغ ، هذا هو ما كنت أظنه" . وأردف الطبيب قائلا : " يودو ، أظن أنك ينبغى أن تشرع فى كتابة تعليمات عامة جديدة تناسب استقلالنا وتصلح له . يتعين علينا أن نناقش إمكانية إعطاء الموظف المدنى مساحة من الحرية تسمح له بالمساهمة الفعالة فى أمور المصلحة العامة بدون أن تتطور تلك الحرية إلى ممارسة النشاطات غير المسئولة" .

وهنا تساءل الطبيب فى شىء من الحيرة : " وما هو ، يا يودو ، ذلك الشىء الذى سمعت أن المحامى كلف أهل إيباجا بدفع مبلغ ستة آلاف جنيه أتعابا له نظير ما يسمى بقضية أرض إجبودود" ؟

قال يودو ، والعبس بادٍ على وجهه : " لا ، ليس ستة آلاف . كل ما طلبه هو أتعاب متواضعة جدا تقدر بحوالى ألفين ومائتى جنيه إنجليزى" .

ردد الطبيب الكلام قائلا : " أربعة آلاف ومائتين " .

واصل يودو كلامه قائلا : " وتقرير خبير إدارة الأراضى يقول : إن القيمة السوقية للأرض تقدر بحوالى ألف وستمائة وثمانين جنيها لا غير" .

"وبذلك يكون أهل إيباجا ، إذا ما تمكنوا من كسب القضية المقامة على الأبينيين ، قد أنفقوا أربعة آلاف ومائتى جنيه ، فضلا عن تكبد بعض المصروفات الأخرى لاسترداد أرض لم تكن تساوى إلا مبلغا يقل عن ألفى جنيه ". قال الطبيب هذه العبارة وهو ينفض رماد سيجارته .

قال رئيس الحى الجديد : " هذا شىء يدعو إلى السخرية والاستهزاء " .

واصل يودو حديثه قائلا : " أنا آخر من يستهزئ أو يسخر من مهنة لها أصولها العلمية . تلك المهنة التى تستغل عدم كفاءة الشرطة وفسادها ، وجهل الجماهير ، وعدم كفاءة بعض مستشارى التاج البريطانى ، وذلك من أجل التلاعب بالقضايا الجنائية لمصلحة أفراد يستغلون المبالغ العامة ويغتنون على حساب الجماهير . هذا شىء لا يقل أبدا عن ارتكاب جريمة فى حق أمة أو شعب جديد . هذا هو رأيى . صحيح أن الديمقراطية شىء بديع . وأنا أكن كل الاحترام لنظام قانونى يعطى الفرد ميزة الشك فى مجتمع يكون فيه المدعى العام من موظفى الأمن والسلام غير الأكفاء ولا يعون مسئولياتهم ".

قال الطبيب : " احك لى مزيداً عن بنيامين بنيامين . فأنت تعلم أنى لم أكن قد جئت بعد من إنجلترا عندما بدأ هو مباشرة عمله فى هذه المنطقة . ويبدو أنه كان شخصية مرموقة وذلك اعتمادا على ما سمعته عنه فى النادى" .

تنهد يودو فضولا وقال : " بنيامين بنيامين ، صاحب الذكرى العطرة . فى كل مرة أنظر فيها إلى ذلك الرجل أجد أنه يذكرنى بذلك الشاب الذى اعتاد أن يجذب إليه الجماهير فى حديقة هايدبارك فى لندن . شاب من أفريقيا الوسطى ... تعودت التردد على حديقة هايد بارك أستمع إليه ، وإلى أمثاله . ترى ذلك الشاب مرتديا الملابس البريطانية متقمصاً الأسلوب الديمقراطى البريطانى وحرية الفرد فى أن يقول ما يشاء ... أنت تعلم إنهم يوفرون للثوار الأيرلنديين هم والفاشستيين اللندنيين حراسة الشرطة فى أثناء هجومهم اللاذع على ملك برطانيا وعلى حكومتها لتحميهم من هجوم العناصر الموالية للحكومة ... ولو قدر لبنيامين بنيامين أن يذهب إلى هايد بارك فسيكون شخصية مسلية الغاية . لن يأخذ أحد ما يقوله مأخذ الجد . لن ينظروا إليه إلا كمهرج فى السيرك . فضلا عن أن وجهه الأسود سيكون مدعاة للترفيه والتسلية عند عدد كبير من نساء يوركشير وهن تأكلن الأيس كريم أثناء وجودهن فى لندن . وسوف يتحول الهراء الذى يقوله إلى أشياء لا مغزى لها ولا قيمة لها إذا ما قارنا هذا الكلام بملايين الكلمات الفارغة التى قالها الأشقياء والمتحاملون على امتداد أجيال عدة . سيصبح بلا حول أو طول فى لندن ..... ولكن الأمر يختلف اختلافا

كبيرا فى هذا البلد الذى تصدق جماهيره ، الأمية والجاهلة ، كل ما يمكن أن يقوله شخص لا يملك أى شىء سوى أنه يعرف القراءة والكتابة ".

قال الطبيب وهو يصيح متحمسا : " أسمَعُ ما تقول ، أسمَعُ ما تقول . لقد أصبت كبد الحقيقة ، يا يودو ".

" أثبتت السنوات الثلاثة ونصف السنة التى عملها بنيامين بنيامين فى إيباجا - بما لا يدع مجالا للشك - أننا يجب أن نتأكد عندما نستورد أى شكل من أشكال الديمقراطية إلى هذا البلد أن يكون خاليا من بذور المرض الذى يمكن أن يخنق ويميت التحرر الجديد من الإمبريالية ، ذلك التحرر الذى نتطلع إلى الحصول عليه فى وقت قريب جدا" .

قال الإدارى الآخر بجدية كاملة : " هناك أمر واحد يضايقنى فى وجود بنيامين بنيامين بيننا . أنت تعرف أن عامة الناس لا تستطيع بسهولة تمييز أنصاف المتعلمين والأفّاقين عن الأشخاص الأمناء المتعلمين من أمثالنا . أنت يا يودو وبنيامين بنيامين كنتما تنتميان إلى الطبقة نفسها فى نظر كل من الملك (الأوبا) وأهل إيباجا .. الطبقة التى تعرف القراءة والكتابة وتتكلم لغه الرجل الأبيض . وعندما اكتشف عامة الناس دنية بنيامين بنيامين وتفاهته ، لم يفهموا أن الذى فشل هو بنيامين بنيامين وأمثاله ، وإنما فشلنا معه نحن أيضا الذين ننتمى إلى الطبقة نفسها ، أو إن شئت فقل طبقة من يستطيعون القراءة والكتابة

والتحدث بلغة الرجل البيض . وعندما يفقد الملك (الأوبا) هو ورجاله ثقته بنا ، فالأمر يحتاج منا ، بحق السماء ، إلى فترة طويلة جدا حتى نتمكن من استعادة تلك الثقة مرة ثانية ".

وافق الطبيب قائلا : " وقت طويل جدا بحق ".

" هذه التجمعات الخاصة تثير المشكلة الأكبر ألا وهى التجمعات الشعبية . ولا يجب أن يغيب عنا أن مبدأ تكوين التجمعات اللازمة لمشاريع تنمية مجتمعنا وتطويره أمر مطلوب ويستحق الثناء والإطراء . وأنا واحد من الذين أفرزتهم تلك التجمعات . فبدون التضحية الذاتية من الآلاف من رجال مجتمعى ونسائه ، الذين ضحوا وساهموا بالجنيهات وبالشلنات والبنسات ، لما استطعت إكمال تعليمى العالى فى بريطانيا ، بل لأصبح ذلك التعليم أمرا مستحيلا . ولكن الشئ المقزز فى ذلك أن متوسط المبالغ التى جمعت من تلك التجمعات كان مرتفعا جدا ، حتى فى عدم وجود شخص من أمثال بنيامين بنيامين ، يقوم باختلاس تلك المبالغ" .

قال الطبيب : " ماذا تعنى بهذا الكلام " ؟

" ماذا يفعل الناس أنفسهم ؟ إذا أرادت مدينة أو قررت بناء مدرسة للمجتمع ، فإن خمسة من وطنيى هذه المدينة يقومون برحلة ينفخون فيها الأبواق إلى منطقة بعيدة أو نائية من البلاد تعيش فيها قله قليله من إخوانهم المواطنين مبعثرين فى قرى بعيدة ومتفرقة . ويستقبلهم إخوانهم المواطنون استقبالا وديا ، ويُضيِّفونهم بكرم وسخاء ، ثم يقدمون لهم المبالغ المطلوبة بعد أن يخصموا منها تكاليف

الضيافة والاستقبال . ويكون ذلك المبلغ عبارة عن خمسة شلنات ، أو عشرة شلنات أو جنيها فى أحسن الأحوال . وهذه مسألة نادرة جدا . والمشكله تكمن فى أن الشخص الذى يدفع عشرة شلنات لا يثبت أو يعترف بأنه دفع عشرة شلنات وإنما عشرين أو خمسة وعشرين شلنا ، والسبب فى ذلك أن إكرام الضيوف فى بيته كلفه عشرة أو خمسة عشر شلنا ".

" هذا صحيح جدا، أيها الرجل ".

" والذى يثير المزيد من الحزن حول هذا الموضوع هو : بعد خصم أجرة القطار والنفقات الفردية الأخرى التى ينفقها كل عضو من أعضاء الفريق من بداية الرحلة ، لا يتبقى من المبلغ المجموع سوى كسر بسيط يقدر بحوالى شلنين أو ثلاثة شلنات من أصل المبلغ الذى جرى جمعه بالفعل ، ويجرى إضافة هذا المبلغ الهزيل الذى ينفق على بناء المدرسة الجديدة . وأنا أرى أن ذلك الاستعداد من جانب المجتمعات للمساهمة فى الخدمات الضرورية التى يحتاجها المجتمع ، ينبغى الحفاظ عليه ليكون طابعا مميزا فى شخصيتنا الوطنية . ولكن كيف نستطيع تحقيق ذلك بطريقة فعالة ؟ كيف " ؟

المؤلف فى سطور

تيموث مرفولورنسو ألوكو

ولد فى الرابع عشر من شهر يونيو عام ١٩١٨ ، فى مدينة « لليشا » فى نيجيريا حاصل على الدكتوراه فى الهندسة ، وقد شغل منصب مهندس التنفيذ فى إدارة الأشغال العامة بمدينة إيبادان ، وغير خاصة المدن النيجيرية ، وفى عام ١٩٥٩ نشرت له رواية بعنوان « زوجة واحدة لكل رجل » ثم نشرت له رواية سكين واحد لكل راجل عام ١٩٦٦ وفى عام ١٩٧٠ نشرت له رواية « الرئيس : الوزير المحترم . وله عدة روايات آخرى ، منها « المتعبد » ، « أمور خاطئة فى الميناء » .

المترجم فى سطور

صبرى محمد حسن

أستاذ اللغويات غير المتفرغ ، له أكثر من عشرين بحثًا ومقالاً نشرت فى المجلات والصحف العربية المحلية والدولية منها :

له مقالات وأبحاث نشرت بمجلات الفيصل - الرياض - المملكة العربية السعودية ، ومجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، والمجلة العربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، ومجلة الهلال - القاهرة - جمهورية مصر العربية .

وله كتب مترجمة إلى العربية منها :

(أ) كتب نشرتها دور نشر عربية .

١ - التفكيكية : النظرية والممارسة ، تأليف : كرسيتوفرنوريس ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٢ - الشاعر والشكل ، تأليف : جدسون جيروم - دار المريخ .

٣ - الاستراتيجية العربية والإسرائيلية وجها لوجه - دار المريخ .

٤ - الأطفال والمخدرات دار المريخ .

(ب) كتب نشرتها دار آفاق الإبداع العالمية للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

١ – المعطف المشاكس   ٢ – عمل الفريق الفعال .

(جـ) كتب نشرت ضمن كتاب الهلال ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١ – هارون الرشيد ، تأليف : فيلبى .

٢ – الكوكائين والمراهقين .

٣ – بنات مدمنى ومدمنات المسكرات .

(د) روايات مترجمة نشرت ضمن روايات الهلال .

١ – حلم ليلة أفريقية .

(هـ) كتب وروايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية مصر العربية .

١ – سبعة أنماط من الغموض ، تأليف : وليم أمبسون .

٢ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ، تأليف : بالجريف (جزءان)

٣ – حركات التحرر الإفريققى ، تأليف : ريتشارد جبسون .

٤ – إرادة الإنسان فى علاج الأدمان .

٥ – قلب الجزيرة العربية (جزءان) .

٦ – سيرتى الذاتية ، تأليف : أحمد بللو .

(و) روايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية مصر العربية :

١ – سكين واحد لكل رجل .

٢ – نجوم حظر التجوال الجدد .

٣ – المهمة الاستوائية .

المشروع القومى للترجمة

المشــروع القومــى للترجمــة مشــروع تنميــة ثقـافيــة بالدرجــة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	أن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . توميكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديڤيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	پول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	أرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جريين	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جابيجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الروف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر ألن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (جـ١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (جـ٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣-	أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠-	أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كليتباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمي
٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازي الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت في الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائي	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدي	جمال الجزيري
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون في الأدب التركي (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصاري
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٣٥٤- الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٣٥٥- التيارات السياسية في إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوي
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعي
٣٥٧- متون هرمس	تيموثي فريك وبيتر غاندي	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٣٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشاروني
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربيني
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وأمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هايترش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبري محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجريء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادي رضا
٣٦٨- المصطلح السردي: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوي	فوزية العشماوي
٣٧٠- الفن والحياة في مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون في الأدب التركي (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	علي إبراهيم منوفي
٣٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوي وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب في إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	جون دن	بهاء جاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر باقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	برويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديساً (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٢١-	ما الذى حدث فى «حدث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحى
٥٢٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٢٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٢٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٢٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٢٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٢٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٢٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٢٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن ڤان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣-	مدخل لشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومی بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجناتس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى	جون ماهر وجودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتپ الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديُبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	أرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١١٩٧ إلى [illegible]	أليس بسيريني	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن وورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٣)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن
٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى م. ألوكو	صبرى محمد حسن

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٣٩٦ / ٢٠٠٤